رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد ٤٧١ لسنة ١٩٨٩

دار ابن الاثير للطباعة والنشر
جامعة الموصل

عِلْمُ النَّفْسِ الاِجْتِمَاعِيّ

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة بغداد
بيت الحكمة

علم النفس الاجتماعي

للصفوف الثانية في كليات التربية

تأليف
الدكتورة آمال أحمد يعقوب

استاذ مساعد / قسم العلوم التربوية والنفسية
كلية التربية الاولى (ابن رشد)

١٩٨٩ م - ١٤١٠ هـ

الاهداء
الى معلمي الاول المرحوم
والدي

المقدمة

الانسان كائن اجتماعي يعيش ضمن الجماعة ويؤثر فيها ويتأثر بها ويتحدد سلوكه على مدى تفاعله معها وعلى اساس السلوك الاجتماعي . فالانسان منذ طفولته يكتسب بالتدريج القدرة على انشاء علاقاته الاجتماعية الضرورية لحياته اضافة الى اكتسابه المعايير الاجتماعية والقيم والاتجاهات . وينمو لديه مفهوم الذات ، ويختار مهنة ملائمة له ويستقل اقتصادياً . ويتقبل التغيير الاجتماعي المستمر ايضاً ويتوافق معه وينمي مهاراته الاجتماعية التي تحقق التوافق السوي مع المجتمع .

ان علم النفس الاجتماعي يدرس سلوك الافراد والجماعات في المواقف الاجتماعية المختلفة أي يدرس التأثير المتبادل بين الافراد وبين الجماعات وبين الافراد والجماعات . ولا يقتصر علم النفس الاجتماعي على الاهتمام بدراسة مجالات التفاعل السابقة بل يهتم ايضاً بدراسة صور التفاعل الاجتماعي من حب وكره ومخاوف وتعاون وتنافس ... الخ .

وانطلاقا من أهمية دراسة هذا العلم يجيء هذا الكتاب ليسد فراغاً في كلية التربية ـ قسم العلوم التربوية والنفسية .

لقد جاء هذا الكتاب في مجمله ليضم تسعة فصول ، يتناول الفصل الاول مقدمة في علم النفس الاجتماعي وتعريفه وتاريخه وصلته بالعلوم الاخرى ثم اهميته في مجالات الحياة .

اما الفصل الثاني فيتناول اراء العلماء العرب والمسلمين (الفارابي ، ابن سينا ، الغزالي ، وابن خلدون) .

ويتضمن الفصل الثالث عرضاً لاهم المناهج التي تستخدم في دراسة السلوك الاجتماعي سواء اكانت تجريبية أم وصفية أم تأريخية أو علاجية أم سيسيومترية Sociometry أي دراسة العلاقات الاجتماعية .

اما الفصل الرابع فيشمل على عملية التنشئة الاجتماعية ودور الاسرة والمدرسة وجماعة الرفاق في ذلك .

ويتناول الفصل الخامس الامراض الاجتماعية (الباثالوجية الاجتماعية) كالجنوح ، القلق ، عقدة النقص ، والاحباط ، والعدوان ، والاعراض الاجتماعية لهذه الامراض ، الوقاية منها وعلاجها .

وفي الفصل السادس تناولت احد الموضوعات الهامة في علم النفس الاجتماعي وهو الاتجاهات من حيث مفهومها وتكوينها ووظائفها وتعديلها وقياسها وعلاقتها بالقيم والمعتقدات ثم التعصب العنصري .

ويتضمن الفصل السابع الدعاية ، الاعلام ، والاشاعة ، الرأي العام .

اما الفصل الثامن فيتضمن القيادة ونظرياتها وانواعها .

ويتناول الفصل التاسع دينامية الجماعة التي تتضمن الدور والوضع الاجتماعي والتطبيع الاجتماعي .

آمل ان يكون هذا الكتاب قد اسهم في المجالات الاساسية في علم النفس الاجتماعي وبما يؤدي افادة الطلبة من موضوعاته والله الموفق .

الدكتورة آمال احمد يعقوب

١٩٨٩

الفصل الاول

مقدمة في علم النفس الاجتماعي

تعريفه
تطوره التأريخي
صلته بالعلوم الاخرى
اهميته في مجالات الحياة

مقدمة في علم النفس الاجتماعي

يرى بعض الباحثين ان علم النفس الاجتماعي فرع من فروع علم التفس ، في حين يرى اخرون بانه علم مستقل قائم بذاته ، ومهما يكن في الامر فان علم النفس الاجتماعي هو العلم الذي يدرس السلوك الاجتماعي للفرد والجماعة كاستجابات لمثيرات اجتماعية ويهتم ايضاً بدراسة التفاعل الاجتماعي ونتائج هذا التفاعل وهدفه بناء مجتمع افضل قائم على فهم سلوك الفرد والجماعة .

وبعبارة اخرى نجد ان موضوع هذا العلم دراسة السلوك الصادر عن الفرد تحت تأثير المنبهات الاجتماعية والنفسية المختلفة وما بينها من علاقات . فيستخدم اساليب التحليل والقياس الدقيق والتجريب والمعالجة الاحصائية للبيانات والمعلومات وملاحظة الارتباط فيما بينها ، أي ان علم النفس الاجتماعي يستخدم الدراسة العلمية لسلوك الفرد في اطار المجتمع . وتوصف الدراسة العلمية في صورة مجموعة من الخطوات الاتية : تحديد المشكلة ، جمع البيانات ، الملاحظات المتصلة بالمشكلة ، وتنظيمها ، فرض الفروض المناسبة ، واختيار انسب هذه الفروض ، واختبار صحة الفروض بالوسائل المناسبة ، والوصول الى نتائج وحلول للمشكلة ، واستخدام النتائج أو الحلول في مواقف جديدة*

والسلوك الاجتماعي تفاعل بين الافراد سواء أكان ذلك وجها لوجه ام اثناء غيابهم . كما ان التفاعل الاجتماعي قد يحدث من خلال الرموز كالاعلانات المكتوبة أو المرسومة فكل هذه وغيرها تصبح مثيرات اجتماعية اذا اصبحت رمزاً للتفاعل . (٢٨ ـ ص ١٠)

وعلى هذا الاساس فسلوك الفرد هو نشاطه في محيطه وهو الوظيفة التي تفصح عن طبيعة الفعالية ضمن اطار البيئة . ووفقا لذلك تحدد العلاقة التي تصل بين الفرد وبين وسطه الذي يعيش فيه . (٨ ـ ص ٢٧)

ولا يقتصر علم النفس الاجتماعي على الاهتمام بدراسة مجالات التفاعل بل يهتم كذلك بعملية التنشئة والتطبيع الاجتماعي والعوامل المؤثرة فيها كالاسرة ، والمدرسة ، والمجتمع . ويهتم ايضاً بدراسة الامراض الاجتماعية كجنوح الاحداث ،

---

* جابر عبد الحميد جابر واحمد خيري كاظم ، مناهج البحث في التربية وعلم النفس ، القاهرة دار النهضة العربية ـ بدون تاريخ ـ ص ٢٦ .

والسلوك المضاد للمجتمع . ويتناول بالدراسة ايضاً الجماعة من حيث انواعها وتركيبها أو بنائها ، واهدافها وديناميانها . ويدرس ايضاً الاتجاهات والقيم ، والرأي العام ، والدعاية والاعلام والاشاعة وسيكلوجية القيادة ، ودورها في الجماعة .

فلعلم النفس الاجتماعي اهمية كبرى في كافة مجالات الحياة كالتربية ، التعليم ، الاعلام ، الصناعة والزراعة والتجارة والقوات المسلحة ، الصحة النفسية ، والخدمة الاجتماعية .

تعريف علم النفس الاجتماعي

لقد اهتم علماء النفس بدراسة التفاعل الذي يحدث بين الفرد والاخرين . واهتموا ايضاً بدراسة العوامل التي توثر في ذلك التفاعل والعوامل النفسية التي تحدث اثناء هذا التفاعل وما ينتج عنها من اساليب سلوكية . فعلم النفس الاجتماعي هو دراسة الفرد في موقف الجماعة او بصورة ادق الدراسة العلمية لسلوك الفرد من حيث هو فرد في صلته مع الاخرين فيعرفه كلينبرج **(Otto Klineberg)** في كتاب منهجي عام ، بأنه « الدراسة العلمية لسلوك الفرد في علاقته مع الافراد الاخرين . وهو يهتم بالفرد في موقف اجتماعي » . (٤٣ ـ ص ٣)

ويمكن تعريف علم النفس الاجتماعي وفقا لما يراه كرتش وكرتشفيلد **(Krech & Cruchfield)** على انه العلم الذي يدرس سلوك الفرد في المجتمع اي انه يتناول سلوك الانسان داخل الجماعة سواء أكانت الاسرة أو المدرسة أو غير ذلك من الجماعات (٤٣ ـ ص ٣)

ويعرفه شريف وشريف **Sherif & Sherif** (١٩٥٦)« بأنه الدراسة العلمية لخبرة الفرد وسلوكه وعلاقاتها بالمواقف الاجتماعية المحتوية لمثيرات . وتشمل المواقف الاجتماعية كل ما يتفاعل مع الفرد من عناصر الثقافة الاجتماعية مادية أم غير مادية فتشمل الاولى الادوات والالات المختلفة وتشمل الثانية اللغة . والدين والمفاهيم ، والقيم ، والمؤسسات الاجتماعية » .

واكد بروشانسكي وسيدنبرج **Proshansky & Stedenberg** (١٩٦٥) على ان هناك اتفاقاً بين كل التعاريف لهذا العلم من ناحية مادته ، أو شكله . فدراسة الفرد وسلوكه والمجال الذي يتم فيه السلوك أي المجال الاجتماعي الذي يشمل

المجتمع أو الثقافة أو المواقف الاجتماعية ذات الاثر . وقد صنفا تلك المواقف الى الافراد والجماعات والانتاج الثقافي .

ويعد هوللندر Hollinder (١٩٧١) الاتجاهين اللذين اثرا على البحوث التي تمت في ميدان علم النفس الاجتماعي وهما تفسير السلوك الاجتماعي أي: خصائص الفرد الناتجة من خبراته الماضية . وخصائص الموقف الاجتماعي . فالاتجاه الاول يرتبط بالخصائص الشخصية . أما الاتجاه الثاني فيرتبط بمتطلبات البنيان الاجتماعي بما في ذلك توقعات الاخرين .

ويعرّف (هوللندر) علم النفس الاجتماعي بأنه احد الميادين العلمية التي تهتم بدراسة سلوك الانسان دراسة موضوعية .

وقد اوضح هذا التعريف ان مجال علم النفس الاجتماعي دراسة الفرد في المجتمع أي سلوك الفرد النابع من خبرته أو من سلوك الاخرين . كما يهتم ايضاً بعمليات الاثر الاجتماعي وابسط حالات ذلك الاثر هو ما يحدث في التفاعل الاجتماعي .

ويبدو لنا من غير المفيد ان نستطرد في سرد التعريفات التي تعد تكراراً بعضها للبعض وحرى بنا ان نحاول ان نستخلص منها طبيعة مجال هذا العلم ، ان الامر بلا شك منصب على افراد وجماعات وعلى صلاتهم البيئية . أو هو عبارة عن الدراسة العلمية المنظمة للتفاعل الذي يحدث بين الفرد والاخرين . فنحن في هذا المجال نهتم بدراسة التفاعل والعمليات النفسية المختلفة التي يمر بها الفرد والتي تنمو عن طريقها شخصية الفرد الاجتماعية .

التطور التأريخي لعلم النفس الاجتماعي

من الصعب تحديد نقطة بداية لعلم النفس الاجتماعي ، فمن الممكن ان يكون قد بدأ عندما طور الانسان مصطلحات رمزية للتعامل مع الاخرين وبدون شك حصل هذا في فترات ما قبل التأريخ . ان كلمة « اجتماعي » نفسها تأتي من كلمة (Socialis سوسيالس) اللاتينية التي تمتد جذورها الى ابعد فترة يمكن ان يرجع اليها التأريخ اللغوي . الى السنسكريت حيث كانت كلمة Sacati تعني « يتبع أو يرافق » وبدورها فأن كلمة (Sacati) ذات صلة قرابة بكلمات اغريقية واللغات الرومانسية التي لها علاقة بالتعامل والمشاركة والمباديء المشابهة .

ان ظهور الحضارة العربية الذي بدأ ببناء المدن كان في وادي الرافدين وبالتأكيد فان ضمان استقرار هذه المستوطنات المبكرة ونجاحها تم بواسطة افرادها الذين طوروا لغة مكتوبة تمكنهم من تسجيل المباديء الاجتماعية على شكل قوانين وانظمة .

وقد كتب الملك «حمورابي» في مسلته هذه القوانين حوالي (٢٠٠٠) قبل الميلاد والتي تعد اول وثيقة اجتماعية اعلنت نظاماً اجتماعيا يستند على حقوق الفرد التي تحميها سلطة الدولة . ومما لا شك فيه انها قد اثرت على صياغة القوانين فيما بعد . وقد ظهر الاهتمام بعلاقة الانسان بأخيه الانسان في كتابات عدد من الفلاسفة كأفلاطون وارسطو .

لقد ركز افلاطون (٤٢٧ ـ ٣٤٧ ق . م) في كتابة الجمهورية موازنة دائمة بين الفرد والجماعة الانسانية .

فاذا كنا بصدد الفرد فاننا نلحظ انه عنده ثلاث طوائف من الاستعدادات النفسية هي :

١ ـ العقل الذي يقوم على التفكير ويستقر في الرأس .
٢ ـ العواطف الكريمة وهي تنبع من القلب .
٣ ـ الشهوة ومصدرها البطن .

واذا كنا بصدد الجماعة الانسانية فانها لا تنتظم الا بتضامن ثلاث من الطبقات الاجتماعية :

١ ـ الطبقة الذهبية : وهي طبقة الحكام الذين يسيرون امور الدولة .
٢ ـ الطبقة الفضية : وهي طبقة الجند المكلفين بالدفاع عن الوطن .
٣ ـ الطبقة النحاسية : وهي طبقة الزراع والصناع والتجار .

وسواء كنا بصدد الفرد أو بصدد الدولة فان المسألة التي يتطلب حلها واحدة بالنسبة لهما وهي : ما السبيل الى الحياة السعيدة ؟ يجب ان يتوافر في الفرد كما في الدولة شروط للانسجام . هي في الوقت نفسه شروط للصحة العامة . فاذا تحققت انتظم كل شيء وساد العدل ورافقته السعادة . اما اذا لم تتحقق فان الفوضى تسود ويسود معها الظلم والشقاء .

فما هي الشروط بالنسبة للفرد ؟ ان تقوم كل طائفة من الاستعدادات النفسية بدورها المخصص لها ، والذي خصص لها بسبب طبيعتها واهميتها .

اما ما يشترط على الدولة فان عليها ان تؤلف كل طبقة من الافراد الذين هم اهل بالطبيعة لها ، وان تقوم الطبقة بدورها في دقة ، كل يستعد لما يتلاءم معه وان تضع كل رجل في المكان الذي يستحقه .

ذلك هو البرنامج الذي يجب السير عليه . فاذا تحقق عند الفرد وعند الدولة فانهما يحصلان على التوازن النفسي ، والتوازن الاخلاقي ، والانسجام ، والصحة والسعادة . ولكي تتحقق السعادة للفرد والجماعة يجب ان تكون الطبقة الذهبية هي الطبقة التي يسود عندها العقل . وان تكون الطبقة الفضية هي الطبقة التي تسود عندها العواطف . اما الطبقة النحاسية فتتكون من هولاء الذين غلبت عليهم شهواتهم . وان يخضع المواطنون الذين يكونون الطبقة الفضة والطبقة النحاسية خضوعاً تاماً للحكام من الطبقة الذهبية المكلفة بالسهر في اخلاص وحكمة على رعاية الصالح العام .

وعلى هذا الاساس قام افلاطون بوضع مشروع كامل للتربية والتنظيم في الدولة . فالمحاربون الذين يعدون للطبقة الفضية يجب ان يسود بينهم الاتحاد التام ، لهذا اراد افلاطون ان يزيل من طريقهم كل سبب يؤدي الى الشقاق ، فمنعهم من الملكية بتاتاً سواء في ذلك النقود أو السلاح أو الملابس أو الزوجة أو الولد . وكل شيء بينهم شاع . وليس لتربيتهم من هدف الا ان تغرس فيهم صفات منها الخضوع لسادتهم والوداعة معهم ، وان يكونوا اشداء غلظاء على الاجانب .

اما تربية الحكام فعليهم ان يتعلموا كالجند حمل السلاح . وعليهم ان يكونوا على علم بكل العلوم وهذا شرط اساسي لجدارتهم ، لاغنى لهم عنه . ثم يجب ان يكونوا قد اعطوا البرهان على اخلاصهم وتضحيتهم للمصلحة العامة . وما من شك في ان مواقفهم ستكون في كل الظروف الحرجة اشد المراكز خطراً . لذلك يجب ان تمتحن شجاعتهم وروح النظام فيهم . ومهما يكن من شيء فانه لا يجوز ان يقبلوا في ادارة قطر الا بعد بلوغهم سن الخمسين . هذا المباديء ، اذا طبقت ، اثمرت وجود مدينة تسير حسب العدالة . فكل شخص يشغل فيها المكان الذي يتلاءم مع كفايته ، وينسجم مع وحي قلبه وتكون المدينة متزنة ، سليمة سعيدة .

ذلك هو ما ذكره افلاطون في أهم نصين تحدث فيهما . وما من شك في ان النصين لا يتحدان في معناهما الى حد التطابق ، غير انهما لا يتعارضان وليس ببعيد ان يكون افلاطون قد نظر اليهما كوحدة منسجمة فالعادة لا تتحقق الا بالعمل الحسن* .

اما ارسطو (٣٨٤ ـ ٣٢٢ ق . م) فهو أول القائلين بالنظرية الحيوية في تكوين المجتمع فقد فسر سلوك الفرد على اساس الوراثة الحيوية وهو يؤمن بأن الانسان مدني واجتماعي بطبيعته وهو يرى ان المجتمع يتكون من اسر فقبائل فقرى فمدن تكوينا يتم بطريقة عضوية كما يتكون الجسم من الخلايا فالاعضاء فالاجهزة .

يرى ارسطوا ان كل شخص ، فيما يتعلق بحياته كالرامي امام المرمى . يرمي الى ما يراه خيراً له . غير ان هذا الخير لا يمكن اصابته اذا جهلناه وجهلنا الطرق التي تسنح لنا بالوصول اليه . ومن هنا تتحد غاية الاخلاق . فهي لا تعدو انارتنا بتحديد الخير والسلوك الموصل اليه .

يرى ارسطوا ان الخير هو السعادة ، والسعادة عنده هي ان يكون الانسان رجلا بمعنى الكلمة ، حسن الصورة ، سليما ، متزنا ، مالكا لثروة تكفيه ، محفوظاً بجماعة مسالمة ، وان يكون فضلا عن ذلك مستنيراً ، معتاد التفكير والبحث عالما بقدر الامكان .

اما طريق الوصول الى ذلك فان اساسه هو الاخلاقية .

ويقرر ارسطو ان الصداقة ظاهرة اجتماعية ضرورية ، لان الانسان لا يعيش الا في مجتمع وانه ميال بحكم هذه المعيشة الى ان يعقد ارتباطات عاطفية مع اشباهه من الافراد . وهذه المشابهة بين الاصدقاء قد تكون اما من ناحية السكان بأن يكونوا متجاورين مكانياً ، أو من ناحية الزمان بأن يكونوا موجودين في وقت واحد ، او يكونوا من عمر واحد ، او من ناحية المنزلة الاجتماعية بان يكونوا من طبقة اجتماعية أو مهنية واحدة ، أو من ناحية التعاطف بأن يكون بينهم اتفاق في المشاركة الوجدانية ، او من ناحية المشارب أو الميول النفسية . فالشخص يميل نحو

---

* لاندريه كريسون . ترجمة عبدالحليم محمود وابو بكر ذكرى ، المشكلة الاخلاقية والفلاسفة ، القاهرة ، مطابع دار الشعب ، ١٩٧٩ ، ص ٨٩ ـ ٩٢

من يتخذ نفس مسلكه واتجاهه النفسي . وتدوم الصداقة ما دامت هذه المشابهات متوافرة فاذا نقصت أو انعدمت تضاءلت الصداقة بنقصانها او زالت بانعدامها .

والفضيلة عند ارسطوا ليست مثالية . وانما هي الفضيلة الوسطى التي يمارسها الاوسطون من الناس . والتي يفضلها العقل . لانها بين رذيلتين واقعيتين يمارسها أقلية من الناس وهما الافراط والتفريط . فكأن الفضيلة . عند أرسطو هي ما تواضعت عليه اغلبية الناس بحكم سيادة الميول النفسية المعتدلة . والفضيلة عنده هي تعود القيام بالصواب ولذلك يرى انه يجب ان يعود الافراد بالتربية ممارسة الفضيلة . لانهم لا يستطيعون التعرف عليها بسهولة .

ومن نظرات ارسطوا الاولى في علم النفس الاجتماعي ايضاً اشاراته في كتاب الخطابة الى نفسية الخطيب ونفسية المستمعين . وما ينبغي ان تشتمل عليه الخطبة باعتبارها الوسيط بين الطرفين . فاذا كان الخطيب واثقا من نفسه فستنتقل الى المستمعين فيقبلون على خطبته . وعلى الخطيب ان يعرف ميول المستمعين لانه سيدخل الى عقول مستمعيه عن طريق انفعالاتهم وميولهم .

وهو يرى ان لعاطفة اعتبار الذات دخلاً كبيراً في تكوين فكرة الانسان عن نفسه تلك الفكرة التي يهمه ان يؤكد له صحتها المتصلون به أو الاكثر منه معرفة أو منزلة اجتماعية .

وبسبب هذه الاختلافات بين افلاطون وارسطو نجد ان معظم الذين كتبوا في علم النفس الاجتماعي فيما بعد قد اتخذوا اما الفكرة الافلاطونية أو الطريقة الارسطوطالية لبيان العلاقة بين الفرد والمجتمع .

ويعود الفضل الى افلاطون وارسطو في اثارة فضول الرجل الغربي حول معرفة الطبيعة الاجتماعية للبشر .

ومما هو جدير بالذكر ان علماء العرب والمسلمين قد اسهموا اسهاماً بارزاً ولهم فضل كبير في تطور علم النفس الاجتماعي ومن ابرزهم الفارابي الذي يتفق مع ارسطوا في القول بوجود أساس نفسي فطري للحياة الاجتماعية ولكن هذا الاساس الفطري الذي يقول به يختلف الى حد ما في مضمونه عن الاساس الذي يقول به ارسطو . فالاساس الفطري عند ارسطو ميل فطري الى التجمع اما عند الفارابي فهو العجز عن سد الحاجات الاساسية لدى الفرد . كما تناول الفارابي موضوع تماسك الجماعة .

اما ابن سينا فتحدث عن النفس الانسانية ، كما عني بدراسة الادراك الحسي وقسمه الى احساس ظاهر واحساس باطن وبحث فيهما بحثا مستفيضاً .

وكان الهدف الرئيسي عند الغزالي ان يبحث في نشوء المجتمع الانساني وتطوره ، واول ما يبرر وجود المجتمع عند الغزالي هو ضمان بقاء الفرد وسلامته ، اذ ان بقاءه وسلامته شرطان لسعادته . والانسان بحاجة الى اخيه الانسان لعجزه عن سد حاجاته وحده ..

اما ابن خلدون فقد اتفق مع ارسطو في ان هناك ميل فطري الى التجمع ثم يقرر ان الانسان ميال الى العدوان والظلم . بفطرته ومن هنا جاءت ضرورة المجتمع ووجود حاكم على رأسه .

ثم يتحدث عن الظروف التي يعيش فيها المجتمع بعضها بيئية طبيعية وبعضها اجتماعية وكيف تؤثر في طراز الشخصية السائدة في المجتمع .

وسنفرد فصلاً كاملاً من فصول هذا الكتاب لبيان آراء هؤلاء الاعلام حول الفرد والمجتمع .

ومن العلماء الغربيين الذين ساهموا في تطور علم النفس الاجتماعي جون لوك (١٦٣٢ ـ ١٧٠٤) الذي اهتم بمشكلة الفرد والجماعة والاهمية النسبية لكل منهما . فالمغالاة في حقوق الفرد دون اي اعتبار لحقوق الجماعة يؤدي الى الفوضى والمغالاة في حقوق الجماعة دون اي اعتبار لحقوق الفرد يؤدي الى الاستبداد . والموازنة بين الفرد والجماعة يؤدي الى الديمقراطية .

يرى جان جاك روسو (١٧١٢ ـ ١٧٧٨) في كتابه العقد الاجتماعي (Dacoutract - Soclat) ان الانسان بطبيعته خيّر نقي طاهر . طابعه العام نكران الذات ولكن الحضارة هي التي افسدته وصبغته بالشر .

وبتطور نظرية التطور لداروين في كتابه اصل الانواع (١٨٥٩) تأثير في علم النفس الاجتماعي شأنه في ذلك شأن العلوم الاخرى بهذه النظرية . ففسر سبنسر (١٨٩٧) التفاعل الاجتماعي تفسيراً عضوياً حيوياً . اي ان المجتمع في نظره جهاز حيوي . وان السلوك الاجتماعي يتبع في نموه خطوات خاصة معينة تخضع لقوانين اساسية في تطورها . (٢٨ ـ ص ٥٦) .

وقد اثر فونت (١٨٣٢ ـ ١٩٢١) في نمو علم النفس الاجتماعي تأثيراً واضحاً اذ تعد اعماله التجريبية ذات اهمية في اظهار فعالية المختبر في دراسة الطبيعة البشرية بطريقة علمية .

يعد ديركهايم (١٨٥٨ ـ ١٩١٧) خليفة فونت ومؤسس مدرسة الاجتماع الفرنسية ، وقد حدد غاية علم الاجتماع ومناهجه على اساس ان الحقائق الاجتماعية والظواهر الاجتماعية تتبع من ضمير الجماعة الانسانية . (٢٨ ـ ص ٥٦)

وبعد ان سار علم النفس الاجتماعي في الاتجاه العلمي وفي سنة (١٩٠٨) نشر اول كتابان يحملان اسم (علم النفس الاجتماعي) احدهما في امريكا والاخر في بريطانيا ويعد (ماكدوكل) من اساطين علم النفس الاجتماعي المحدثين ففي كتابه (مقدمة علم النفس الاجتماعي) حرص على اقامة علم النفس على اساس بيولوجي وابرز اهمية الغرائز ووصفها بانها المحدثة الاولى والدوافع الهامة للسلوك . وفي سنة ١٩٢٠ اظهر فكر العقل الاجتماعي على ان يسيطر على سلوك الجماعات ويمايز بينها (٢٨ ـ ص ٥٨)

ولقد كان للحربين العالميتين الاولى والثانية في النصف الاول من القرن العشرين اثر بارز في تطوير علم النفس الاجتماعي فتوالت الدراسات عن السلوك العدواني عند الافراد والجماعات ودراسة الزعامة او القيادة سواء في المجتمعات الديمقراطية او الديكتاتورية والصراع بينهما . كما درست الاشاعات والروح المعنوية والدعامة واثر الاعلام .

وقد توصل ايزنك ابتداء من سنة ١٩٤٤ ، وبالدراسة الاحصائية الى الاتجاهات الاجتماعية والتي تنتظم في عاملين ، النزعة الراديكالية والنزعة المحافظة وقد وجد هذين العاملين في ابحاث العلماء في بريطانيا والسويد والمانيا وفرنسا والولايات المتحدة ... مما يوحي بفكرة استقلال الاتجاهات الاجتماعية بالنسبة الى التأثيرات التي تحدثها على الافراد والمجتمعات الخاصة التي يعيشون فيها .

وكما ذكرنا فقد بدأ اهتمام الباحثين يتخذ شكل حركة علمية منذ حوالي سنة ١٩٢٠ ، ومع ذلك فاننا اذا قارنا بين مجموعة البحوث التي نشرت في العقد الثالث من هذا القرن وبين المجموعة التي نشرت في العقد الرابع نجد ان الثانية تمثل وثبة في تاريخ العلم الذي نحن بصدده واذا قارنا بين مانشر في العقدين الثالث والرابع وبين مانشر في سنة ١٩٥٠ وجدنا انفسنا امام وثبة ثالثة في تقدم هذا العلم سواء من

حيث عدد البحوث او مستوى كفاءتها.. وهكذا استمر التطور بفضل الدراسات والباحثين الى ان اصبح علم النفس الاجتماعي على ماهو عليه اليوم .

ان دراسة تاريخ علم النفس الاجتماعي جزء هام في تكوين نظرة الدارس لهذا العلم اذ هناك فوائد عديدة نلخصها بما يأتي :

١ ـ ان سعة اطلاع الباحث على محاولات الباحثين الذين سبقوه في هذا الميدان من شأنها ان تزيد من قدرته على التمييز بين الحلول المجدية والغير مجدية لما يعرض له من مشكلات في الموضوع والمنهج .
٢ ـ ان اطلاع الباحث على تاريخ العلم وما احاط به من ظروف اجتماعية وما ترتب على تلك الظروف بشكل مباشر وغير مباشر من تشجيع هذا العلم في وقت دون سواه من شأنه ان ينبه لدى الباحث ادراكه للوظيفة الاجتماعية للعلم .

من كل ذلك يتضح ان دراسة تاريخ علم النفس الاجتماعي مسألة لايمكن اغفالها .

صلة علم النفس الاجتماعي ببعض العلوم الاخرى :

لما كان علم النفس الاجتماعي يدرس الجماعات والافراد فلابد ان تكون بينه وبين العلوم الاخرى ـ كعلم النفس العام وعلم الاجتماع وعلم النفس التكويني والانثروبولوجيا وعلم الاقتصاد صلة معينة اذ ان كل هذه العلوم تهتم بشكل وبآخر بالسلوك الاجتماعي .

١ ـ التداخل بين علم النفس العام وعلم النفس الاجتماعي

ان الاتجاه الراهن يميل بشكل واضح الى المطابقة بينهما . وترجع هذه المطابقة في رأي (كريش وكرتشفليد) الى اعتبارات مترابطة . ان هدف علم النفس الاجتماعي هو التوصل الى قوانين عامة عن سلوك الفرد . ويتطلب ذلك فهم العمليات الاساسية التي يتوصل بها الفرد الى تحقيق اهدافه الاجتماعية . وكيف يدرك بيئته الاجتماعية . وكيف يتعلم السلوك الاجتماعي . وهذا كله يطابق مبادىء الدافعية والادراك والتعلم التي يهتم بدراستها علم النفس العام . فيصرح

(كلنبرج) بان علم النفس الفردي هو في نفس الوقت علم النفس الاجتماعي بالمعنى الواسع لهذا العلم . فكل دراسة نفسية للانسان يتحتم عليها ان تتناوله في بيئته الفيزيائية والاجتماعية معاً . ان كلا من عالم النفس الاجتماعي وعالم النفس العام مضطر الى دراسة سلوك الانسان ككائن اجتماعي اذ لا يوجد انسان يعيش في معزل عن غيره من الناس . فخبراته مع غيره وعلاقاته في الماضي والحاضر تؤثر على كل اوجه نشاطه النفسي . ان علماء النفس متحمسين للمطابقة ما بين العلمين فموضوعات علم النفس العام تشتمل على مفاهيم رئيسية ترجع الى علم النفس الاجتماعي كما هو الشأن في عملية (التطبيع) .

ويميل كل من سينج **(Syngg)** وكومب **(Comp)** بأن علم النفس العام ليس هو العلم الوحيد الذي يتخذ موضوعه في التحقيق في السلوك الانساني والتنبوءية فكل العلوم الاجتماعية تعمل بذلك ايضاً . (٤٣ ـ ص ٤ ـ ٦)

٢ ـ علم النفس الاجتماعي وعلم الاجتماع

ان التمييز بين علم النفس الاجتماعي وعلم الاجتماع اصعب بلاشك . فعلم الاجتماع يهتم بتكوين الجماعات ومتطلباتها وقواعد الانضباط التي تفرضها الجماعة على افرادها . كما يقوم بدراسة الكيفية التي يتم بها تغيير الجماعات والنظم الاجتماعية . ويؤكد وارد **(Ward)** على ان علم الاجتماع تتمخض عنه سائر العلوم بطريقة تلقائية ... فالعلوم الاجتماعية الخاصة هي وحدات تأتلف ائتلافاً عضوياً لتخلق علم الاجتماع ولكنها تفقد فرديتها تماماً . كما تفعل الوحدات الكيميائية .. هكذا يكون علم الاجتماع علم العلوم .

واما سبنسر **(Spencer)** فانه تناول علم الاجتماع . وكان موضوعه هو الكون بأسره . وكانت الفترة الاساسية عند (دور كايم) هي ان يجعل من علم الاجتماع ـ علماً كسائر العلوم الاخرى ـ يبحث عن مواضيع خاصة به تبحث بالمنهج الموضوعي . وقد اهتم دوركايم بدراسة المنظمات الاجتماعية **Orgaisations-Sociates** والانظمة الاجتماعية الراسخة

اما (بلوندل) فيقول بان الجماعي **(Collectit)** يوجد ضمن (الشعور) فالمجتمع ليس البتة الخارج عما يسمى الافراد فالظواهر الاجتماعية ليست بأشياء فهي معمولة ومعاشة بوساطة الاشخاص .

ونستخلص من هذه التعاريف ان علم الاجتماع يهتم بدراسة التنظيمات الاجتماعية بينما يهتم علم النفس الاجتماعي بدراسة الفرد داخل تلك التنظيمات اي كيف يتفاعل مع غيره ضمن الجماعة . اذن يقوم بدراسة العوامل النفسية التي تدخل في تكوين الجماعات . ويعد في رأس الكثيرين من الاسس التي يقوم عليها علم الاجتماع ، اذ يكون للعوامل النفسية دور كبير في تكوين التنظيمات الاجتماعية وتطورها وما يعتريها من تغيرات . وعلى هذا فان هناك ثلاث مستويات في علم النفس الاجتماعي هي ، مستوى سلوك الفرد ، ومستوى سلوك الجماعة ومستوى المنظمات والانظمة الاجتماعية . وفي هذا مايرغمنا على القول بأن علم الاجتماع يتطابق مع علم النفس الاجتماعي فكل من العلمين يهتم بمظاهر مختلفة لحقيقة لايمكن تجزئتها . فالافراد لايمكن فهمهم بمعزل عن علاقاتهم مع بعضهم البعض ، والعلاقات لايمكن فهمها منعزلة عن الوحدات التي تتم بينها هذه العلاقات فلم يعد البحاث اليوم ان يضع الفرد مقابل المجتمع وانما ينظر اليه على انهما متلازمان وعلى انهما وجهان مختلفان لكل واحد .

وعلى هذا ينبغي ان نسلم بأن موضوع علم الاجتماع هو النشاط الانساني وابداعاته . ان علم النفس الاجتماعي هو حركة متصلة بين علم النفس وعلم الاجتماع ، بين مستوى سلوك الفرد ومستوى المنظمات والانظمة الاجتماعية ، بين العناصر والكل ، بين الافراد والمجتمع لذا فانه من العسير ان نفضل بين علم الاجتماع وعلم النفس الاجتماعي .

٢ ـ علم النفس الاجتماعي وعلم النفس التكويني

موضوع علم النفس التكويني هو الدراسة العملية لتطور سلوك الفرد في مراحل العمر المختلفة ابتداء من المرحلة الجنينية وخلال مراحل الطفولة ثم المراهقة ثم الرشد وحتى الشيخوخة .
والعوامل المؤثرة في تلك المراحل من وراثة وبيئة .

ومن الواضح ان الدرس الرئيسي الذي يتعلمه عالم النفس الاجتماعي من هذا الفرع هو عدم المغالات في قيمة عوامل البيئة الاجتماعية المحيطة بالفرد في اللحظة عند تفسير بعض التغيرات السلوكية والتنبه الى قيمة عوامل النضوج من ناحية واثر الخبرات الماضية من ناحية اخرى . اذ يدرس مثلاً كيف تتم عملية التنشئة الاجتماعية ، اي تحويل الطفل الى كائن اجتماعي ، ويبقى يستخدم الانماط

الاجتماعية ويعبر عنها وكيف يبني في داخل نفسه اتجاهاته وآرائه عن الاسرة والجماعة التي نشأ في احضانها والتي يعيش فيها وكيف يترك انطباعاته وآثاره على الاخرين . وقد أفاد الباحثون في علم النفس الاجتماعي فعلاً من دراسات علم النفس الارتقائي . ولم تقصر افادتهم على التنبه الى الحدود التي ينبغي لهم ان يلتزموها . بل تجاوزت ذلك الى ما هو اكثر ايجابية وذلك بأن استعاروا من علم النفس التكويني نظرته الاساسية الى ظواهر السلوك لدى الفرد وتناولوا بها ظواهر التفاعل الاجتماعي ، وهذا هو موضوع دراسات التطبيع او التنشئة الاجتماعية . وقد ابرزت نتائج دراسات علم النفس التكويني اهمية بالنسبة لدراسات علم النفس الاجتماعي اذ ان عوامل النضج لها اهمية في تحديد انماط سلوك الطفل . وان موعد ظهور انماط السلوك الحركي البسيطة محددة بنضوج الانسجة العصبية . وكذلك فان التعلم مشروط بعوامل النضج وربما كانت التجارب المجراة على النشاط اللغوي تهم دارسي علم النفس الاجتماعي بوجه خاص ، لان نصيب المجتمع في تبنيه النشاط اللغوي وتشكيله لدى الفرد يبدو اكبر بكثير من نصيبه في تشكيل مظاهر النشاط الحركي (٣٢ ـ ص ٣٤ و ٣٨) .

٤ ـ دراسات الانثروبولوجيا الحضارية :

المعنى الاشتقاقي لكلمة (انثروبولوجيا) يشير الى اننا هنا بصدد (الدراسة العلمية للانسان) ومعنى ذلك ان دراسات علم النفس وعلم الاجتماع والدراسات البيولوجية البشرية يمكن ان تكون اجزاء من الانثروبولوجيا .

ان تحديد موضوع الانثروبولوجيا قد مر بمراحل متعددة من اهمها المراحل الثلاث الاتية :

الاولى : تحديد اجمالي عام جداً ، يضم كل الدراسات التي تتناول الانسان من النواحي العضوية والسلوكية

الثانية : تحديد ضيق يضم االدراسات التي تتناول حضارة الانسان البدائي والثالثة تحديد اوسع من السابق ويتناول الحضارة في اشكالها البدائية وغير البدائية . ولما كان تأثير الحضارة في الشخصية ـ وتدخل بعض الاثار الحضارية في تشكيل سلوك الفرد (خلال عمليات التطبيع بوجه خاص) ـ هو نقطة الاتصال الجوهرية بين الانثروبولوجيا الحضارية وبين علم النفس الاجتماعي فلابد من الوقوف عند مفهوم الحضارة لتوضيحه قدر المستطاع قبل ان ننتقل الى الحديث عن الفائدة التي يمكن ان يجنيها عالم النفس الاجتماعي من عالم الانثروبولوجيا .

ان معظم العلماء المعنيين بالموضوع يعرفون الحضارة بأنها تتألف من انماط ظاهرة وباطنة ، ينتظم فيها السلوك كما انها تفرض عليه ، ويتم تحميلها ونقلها عن طريق مجموعة من الرموز وهي بذلك تؤلف عنصراً تنفرد به الجماعات البشرية، كما انها تضم الادوات المادية التي تستخدمها هذه الجماعات . اما العنصر الجوهري في الحضارة فهو الافكار التقليدية ـ (اي ، التي يستمدها الناس او ينتخبونها على أساس تأريخي) ـ وما يعزى اليها من قيم بوجه خاص .
ويمكن النظر الى الاطر الحضارية من زاويتين ، احدهما مؤداها ان هذه الاطر ناتجة عن نشاط سابق والثانية انها عناصر تساهم في تشكيل مايجد بعد ذلك من نشاط .

نستنتج من تحديد معنى الحضارة الى التنبه الى طبيعة العناصر الحضارية في المواقف الاجتماعية التي تساعد الباحث في علم النفس الاجتماعي على تكوين صورة ذهنية واضحة التفاصيل عن العناصر الداخلة في التفاعل الاجتماعي وكيف تؤدي الى تشكيل جوانب معينة في سلوك الافراد . كما ان البحوث الانثروبولوجية تثير امام عالم النفس الاجتماعي مشكلة نقل عناصر الاطار الحضاري من شخص الى آخر وخلال عملية التنشئة الاجتماعية فمثلاً القيم والسلوك المقبول هذه جوانب من الحضارة لايمكن ان تقوم الا بواسطة ابناء المجتمع واستمرارها يتم بنقلها من جيل الى آخر .
فعندما ننظر اليها على مستوى التفاعل بين الافراد من خلال عملية التطبيع تصبح موضوعاً من الموضوعات التي يختص بها علم النفس الاجتماعي ، وبهذا نجد انه بينما يستخدم عالم الانثرولوجيا مفاهيم الثقافة والعادات لفهم انماط التنظيمات الاجتماعية . يقوم عالم النفس الاجتماعي بتحليل العمليات التي تقوم عليها هذه المفاهيم . اي انه يحاول ان يبين كيف وجدت العادات والتقاليد سبيلها الى الوجود وكيف تنتقل من جيل الى جيل (٣٢ ـ ص ٥٠ ـ ٧٤)

٥ ـ علم النفس الاجتماعي والاقتصاد

الاقتصاد هو الدراسة العلمية لمجموعة الظواهر الاجتماعية التي تدور مباشرة حول تدبير ثروة المجتمع المادية . ومركز الاهتمام في الدراسات الاقتصادية شبيه بمركز الاهتمام في علم الاجتماع . فهو يتجه الى بعض ظواهر النشاط الانساني في المستوى الاجتماعي وليس في المستوى الفردي . اي ، دون التوقف عند المستوى الفردي للتفاعل، ففي ميدان النشاط الانتاجي مثلا لاشك ان هناك مشروعات كثيرة في

كثير من المجتمعات الحديثة ويمكن لبعض فئات المنتجين ان يقبلوا عليها طلباً للربح . وفي ميدان الاستهلاك نجد الفروقات الفردية قائمة وترجع الى عوامل متعددة منها مايتعلق بحجم الدخل الفردي،والقوة الشرائية التي يمثلها هذا الدخل ، ومنها ميول الافراد ومنها مرونة الافراد التي تظهر في قدرتهم على التنازل عن بعض المطالب والاكتفاء بالبعض الاخر . فعالم الاقتصاد لايلقي بالا الى هذه الفروق الفردية فلا يهمه الكشف عن العوامل المتعددة التي تتفاعل فيما بينها لتؤدي بالفرد الى ان يحصل على سلعة معينة بل يهمه الكشف عن عمليات الاستهلاك . هذه بعض اهتمامات علم الاقتصاد . والسؤال الان هو ماالذي يفيده عالم النفس الاجتماعي من الاطلاع على بحوث هذا العلم ؟ والاجابة على ذلك تنحصر اساساً في ان هذا الاطلاع من شأنه ان يزيد من تبصر هذا الباحث بمقومات الموقف الاجتماعي الذي يحيط بالفرد ويدخل بصورة او بأخرى في تشكيل تفاعلاته الاجتماعية المختلفة .

وفيما يأتي مثال لتوضيح هذه الاجابة : يتحدث الاقتصاديون عما يسمى حد الاشباع **(Margin of Sttisfaction)** يعرفون بأنه « الحد الذي تشبع عنده بعض الحاجات في حدود الممكنات التي تحقق هذا الاشباع »اي : في حدود الظروف الاقتصادية المتاحة للفرد او الجماعة والتي تحدد له ولها النطاق الذي يستطاع التصرف فيه » والسؤال الذي ينبغي لدارسي علم النفس الاجتماعي ان يتنبه له في هذا الموضوع هو كيف يتدخل (حد الاشباع) هذا بتحديد شعور الشخص بالرضا او بالاحباط،وما هي العوامل الاخرى التي تتدخل معه ؟ وكيف تتدخل ؟ وما علاقة ذلك بمستوى التوتر النفسي العام الذي يحيا فيه الشخص والذي يتدخل بطرق مختلفة في تشكيل تفاعلات الشخص الاجتماعية . ثم ماقيمة هذه المعلومات كلها بالنسبة للمتخصص في علم النفس الاجتماعي ؟

ويتدخل الاشباع في تحديد شعور الشخص بالرضا والاحباط عن طريق تعيينه النسبة بين الحاجات التي لقيت الاشباع عند الشخص وبين حاجاته التي لم تلق الاشباع . فاذا غلب على الشخص الشعور بالحرمان والاحباط فذلك نتيجة لكون حد الاشباع عنده منخفضاً اما اذا غلب عليه الشعور بالرضا فذلك لكون حد الاشباع عنده مرتفعا . ان مستوى الطموح ودرجة مرونة الشخص ومستوى ذكائه العام لايلقي قيمة حد الاشباع المتوفر للشخص من حيث مساهمته في هذه النتيجة فيحتم علينا ان ندخل ذلك في الحسبان . (٣٢ ـ ص ٧٤ ـ ٧٧) .

المجالات التي يستفاد فيها من علم النفس الاجتماعي

لعلم النفس الاجتماعي اهمية علمية وعملية في مجالات الحياة المختلفة . فهو يدرس عملية التفاعل الاجتماعي . ويساعد في تفسير أنماط السلوك الاجتماعي للانسان من اجل العمل على تطويرها ورفع مستوى ادائها في المواقف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والحضارية مما يؤدي الى رفع درجة انتاجية هذا السلوك وتيسير عملية تحقيقه لاهدافه وغاياته .

ويستفاد من دراسة علم النفس الاجتماعي في مجال العلاقات الانسانية في مضمار الصناعة والتجارة والتربية والتعليم والصحة النفسية والعلاج النفسي والخدمة الاجتماعية والاعلام وغيرها من التكوينات او التجمعات الانسانية .

وتبرز اهمية علم النفس الاجتماعي بشكل خاص ، في عصر سمته الاساسية التغير الثقافي والاجتماعي السريع .

وفيما يأتي عرض سريع لمجالات الافادة من هذا العلم في كل من المجالات السابقة .

١ ـ المجال التربوي :

التربية ، في مفهومها الحديث ، عملية اجتماعية انسانية تشكل بعداً هاماً من ابعاد الحياة ، فمن خلالها يعد الانسان ليكون قادراً على التكيف مع متغيراتها ، وتوفر له فرص النمو المتكامل لشخصيته بأبعادها الاربعة الجسمي والعقلي والانفعالي والاجتماعي .

وتشكل المدرسة كمؤسسة تربوية نسقاً اجتماعياً صغيراً يتكون من الصفوف وجماعات التلاميذ والمعلمين وادارة المدرسة وتربط هؤلاء جميعاً اهداف مشتركة وعلاقات اجتماعية انسانية من انماط معينة ، تجعل دراسة علم النفس الاجتماعي عملية كبيرة الفائدة لفهم سلوك الافراد وتفسيره وتوجيهه وتنظيم علاقات التلاميذ في اطار هذا النسق الاجتماعي العام .

ان التربية تأخذ من علم النفس الاجتماعي كثيراً من المفاهيم والحقائق والاساليب التي تسهم في انجاح العملية التربوية وتحقيق اهدافها . ان الموضوعات التربوية الاساسية تبين اهمية علم النفس الاجتماعي في مجال التربية ،

١ ـ التنشئة الاجتماعية للمتعلم .

٢ ـ تكوين القيم والاتجاهات عند المتعلمين .

٣ ـ دور القيم والاتجاهات في التنشئة الاجتماعية .

٤ ـ ديناميات الجماعة ودورها في تفسير العلاقات الانسانية للجماعات (التلاميذ والمعلمين،الادارة المدرسية ، المجتمع المحلي).

٥ ـ دور المعلم ومدير المدرسة في قيادة المدرسة .

٦ ـ انماط القيادة ودورها في تنظيم التعلم .

٧ ـ التفاعل اللفظي وغير اللفظي في المدرسة وفي غرفة الصف .

٨ ـ الارشاد والتوجيه الاجتماعيين .

٩ ـ علاقة المدرسة بالمجتمع المحلي .

١٠ ـ المعلم عامل تغيير في المجتمع المحلي .

٢ ـ المجال النفسي والصحة النفسية :

ان الكثير من الامراض والاضطرابات النفسية تعزى لاسباب عديدة ونادراً مايوجد سبب واحد للمرض الواحد فهناك اسباب جسمية حيث تؤثر الوراثة والتكوين واسباب فسيولوجية واضطراب الغدد . وكذلك اسباب اجتماعية كتأثير المدنية والحضارة والتطور السريع والتصنيع والعمل والتنشئة الاجتماعية وانظمة القيم واضطراب العلاقات الاسرية ومشكلات اخرى . وتتفاوت اعراض الاضطرابات النفسية فمنها اعراض جسمية فسيولوجية ومنها اعراض اجتماعية كالقلق والصراع والاحباط والنكوص والتعصب وغيرها . وفي ضوء ماتقدم نرى ان عملية العلاج النفسي لمن يعانون من الاضطرابات النفسية المختلفة ينطلق في تشخيصه وطرائقه واساليبه من الناحية الاجتماعية ومن معطيات علم النفس الاجتماعي .

٣ ـ المجال الاعلامي :

والعملية الاعلامية سواء أكانت عن طريق الصحافة ام الاذاعة والتلفزيون ام عن طريق الدعاية والاعلانات او اللقاءات والاجتماعات والمؤتمرات المحلية او الدولية ، توجه في مجملها الى عقل الانسان واتجاهاته وقيمه وأنماط سلوكه المختلفة في الاطار الاجتماعي الذي يحيى فيه .

بمعنى ان العملية الاعلامية تتم في الاطار الاجتماعي وهنا يتدخل علم النفس الاجتماعي. وتتضح الصورة اكثر اذا حددنا اهداف العملية الاعلامية. ان اهداف العملية الاعلامية متعددة وهي :

آ ـ اكساب الناس معلومات وافكار معينة او تطوير مالديهم من معلومات وافكار وحقائق او تغيير تلك المعلومات واستبدالها بمعلومات جديدة .

ب ـ اكساب الناس اتجاهات او قيم اوعاداتاو ممارسات جديدة مرغوب فيها ، او العمل على تغيير وتطوير مالديهم منها او التخلي عنها كلياً واستبدالها باتجاهات وقيم وممارسات جديدة كلياً تخدم غاية او هدفاً معيناً .

جـ ـ اقناع الناس بفائدة شيء معين او اهميته وقيمته وسواء أكان هذا الشيء سلعة أم بضاعـة ام سـلوكاً ام فكراً ، وحفزهم على تقبله او تبنيه والتمسك به او الدفاع عنه .

ولـكن لاتكون اهداف العملية الاعلامية ايجابية دائماً ، فمع انتشار وسائل الاعلام الجماهيري والاتصال الجماعي اخذ الانسان يعيش في لحظات حرب دائمة هي الحرب النفسية الاعلامية ، ويتعرض في كل مكان يتواجد فيه الى مؤثرات تهدف بوسيلة او باخرى الى دفعة لاعتناق فكرة او شراء سلعة او اداء عمـل مـعين . لايخفى ما في كل هذا من الاخطار على شخصية الفرد وقيمه .

ـ هناك موضوعات مرتبطة بعلم النفس الاجتماعي من جهة ومرتبطة بالمجال الاعلامي من جهة اخرى :

١ـ الاتجاهات ، وطرائق تكوينها وتغيرها وقياسها .
٢ـ القيم ، وطرائق تكوينها وتغييرها وقياسها .
٣ـ الرأي العام ورفع الروح المعنوية .
٤ـ العلاقات الاجتماعية ودراسة المشكلات الاجتماعية .
٥ـ التواصل والاتصال والحرب النفسية ، وطرق التصدي لها .
٦ـ القيادة وطرق تفسيرها وفهم الشخصية القيادية .

وهكذا نرى ان الاعلام والعلاقات العامة والدعاية ودراسة الرأي العام والقيم والاتجاهات لها دور كبير في التأثير على سلوك الافراد والجماعات ويمكن ان تكون ، اذا احسن توظيفها وتوجيهها ، عاملاً هاماً من عوامل التقدم الانساني . ويمكن ان تستفيد وسائل الاعلام والاتصال بالجماهير والعلاقات العامة الى اقصى

حد من علم النفس الاجتماعي في تدعيم وعي المواطنين بمسؤولياتهم الاجتماعية والوطنية، وربط الانسان الفرد في نضاله اليومي بحركة المجتمع كلها، وتكوين اتجاهات سليمة وتعديل ما يحتاج منها الى تعديل بالطرق العلمية كالدعاية والمناقشات واتخاذ القرارات الجماعية وغيرها من مجالات التواصل والتفاعل .

٤ ـ مجال الصناعة والعمل :

تسهم دراسات علم النفس الاجتماعي اسهاماً كبيراً في مجال الصناعة والعمل ، وذلك بما توفره هذه الدراسات من فهم للعلاقات النفسية والاجتماعية التي تسود بين العمال ، وادراكه للعوامل المختلفة التي تؤثر في اقبالهم على العمل وانتمائهم له ، مما يؤدي الى رفع روحهم المعنوية وزيادة الانتاج .

ويساعد علم النفس الاجتماعي في دراسة سلوك العاملين في المنهاج والمؤسسات وتحليله وفهم سلوكهم الاجتماعي في نطاق التفاعل فيما بينهم من ناحية وفيما بينهم وبين المشرفين عليهم من ناحية ثانية ، ومن ثم العمل على تنظيم هذا التفاعل وتوجيهه لمصلحة العمل والعمال .

وتتعدى فائدة علم النفس الاجتماعي في مجال الصناعة عملية تيسير فهم سلوك العمال وضبطه وتنظيمه وتوجيهه الى عمليات تحسين قدرات العمال وكفاياتهم الانتاجية عن طريق وضع معايير اختيارهم وتدريبهم ، وتحسين العلاقات الاجتماعية فيما بينهم وبين ارباب العمل والمساهمة في حل مشكلات العمل والعمال بطريقة علمية تؤدي الى تعزيز انتمائهم ورفع روحهم المعنوية ودفع عجلة الانتاج الى الامام .

٥ ـ مجال الخدمة الاجتماعية

الخدمة الاجتماعية هي طريقة علمية لدراسة المشكلات الاجتماعية وتنظيم سلسلة من النشاطات والاجراءات الخاصة المخططة التي تسهم في معاونة الناس والمؤسسات الاجتماعية الموجودة في المجتمع على التصدي لتلك المشكلات ومحاولة حلها وهكذا نرى ان الخدمات الاجتماعية تقوم بدور مؤثر في تنشيط عمليات التفاعل الاجتماعي الايجابية وتحسين العلاقات الاجتماعية بين الافراد والمؤسسات في شتى المجالات

في ضوء ذلك يجب ان تتوافر في العامل الاجتماعي العلم والدراسة في عدد من الموضوعات منها ،

- الجماعة ، خصائصها ، انواعها وبناؤها .
- حركية الجماعة وأسسها النفسية والاجتماعية .
- عملية التنشئة الاجتماعية والنمو الاجتماعي .
- الادوار الاجتماعية في اطار النسق الاجتماعي .
- سيكولوجية القيادة وانواعها .
- الامراض الاجتماعية وما يتصل بها من مشكلات .

ولعلم النفس الاجتماعي بفروعه التطبيقية دور بالغ الاهمية في خدمة الجيش ورفع روحه المعنوية باعتباره مؤسسة اجتماعية تبنى فيها شخصيات افراده وتنمو خبراتهم وكفاياتهم على اسس علمية سليمة تقوم على الفهم والوعي والتماسك والتعاون والتكامل .

ويهتم علم النفس الاجتماعي ايضا بدراسة العوامل النفسية والاجتماعية التي تؤثر في الحرب النفسية مثل الشائعات والدعاية والاعلام .

الفصل الثاني
علم النفس عند المسلمين

الفارابي
ابن سينا
الغزالي
ابن خلدون

ـ علم النفس عند المسلمين ـ

يعد العلماء العرب والمسلمين من بين اعلام الفكر التربوي البارزين الذين اغنوا التراث التربوي العالمي بما قدموه من آراء تربوية كان لها أثر كبير في تطور العملية التربوية ونموها عبر التاريخ حيث ما زال كثير من المربين المحدثين يستشهدون بها في بحوثهم ومعالجاتهم للمشكلات التي يتناولونها لاثرها الكبير في توجيه التربية والتعليم .

والحقيقة ان للعرب والمسلمين قصب السبق في كثير مما يتناوله علم النفس والتربية في الوقت الحاضر . لذلك يجب ان نعنى بأحياء التراث والعمل على تطبيق مبادئه ، بحيث لاتأتي اصلاحاتنا التربوية من فراغ ، او يعتمد على استيرادها فتأتي نشازاً غريبة عن التربية الاسلامية والعربية ، بل يجب ان تكون امتداداً طبيعياً لتراثنا الاصيل واذا كنا نفخر بأننا ابناء ارقى حضارة عرفتها الانسانية بل هي الحضارة التي علمت الانسانية جمعاء وكانت السبب الرئيسي في قيام النهضة الغربية . فالأولى بنا ان ننقل الى حيز التطبيق العملي والعقلي مباديء هذه الحضارة وأسسها . وسنتناول ابرز اولئك العلماء ،

الفارابي : هو ابو نصر محمد بن محمد بن اوزلغ . ولد في بلدة وسيج قرب فاراب على نهر سيمون في بلاد الترك سنة ٢٩٥ هـ . وما كاد يبلغ اشده حتى هاجر الى بغداد بصحبة والده حيث كان جندياً فقيراً معدما ، وفي بغداد درس العربية وتعلم النحو على يد ابي بكر محمد بن السرى المعروف بابن السراج ، ثم غادر بغداد سنة ٣٢٩ هـ . متوجهاً الى دمشق وبقي هناك فترة قليلة ثم توجه الى حلب وبقي في بلاط سيف الدولة الحمداني معززاً مكرماً لعدة سنوات ليست بالقليلة ، ثم اعتزل الناس وبدأ يشتغل بالحكمة والتأليف . وقيل ، انه تجاوز الثمانين من عمره . وكانت له مؤلفات كثيرة في مختلف العلوم والفقه والفلك والرياضيات ، وكان من اعظم فلاسفة العرب الذين هذبوا صناعة المنطقة . توفي عام ٣٣٩ هـ .»

» الدكتور البير نصري نادر ، اراء المدينة الفاضلة ، ط ١ ، بيروت ، المطبعة الكاثوليكية ١٩٥٩ ، ص ١

ويتناول الفارابي ايضاً موضوع تماسك الجماعة فيستعرض الآراء الاتية في الاسس النفسية الاجتماعية التي يستند اليها هذا التماسك وهي :

١ ـ تشابه الخلق والشيم الطبيعية والاشتراك في اللغة واللسان .
٢ ـ الاشتراك في المنزل .

ويشير الفارابي بطريقة غير مباشرة الى ان السببين السابقين يخصان الجماعة الكبيرة الحجم .

اما الجماعات الصغيرة فمن اسس التماسك بين اعضائها :

١ ـ طول التلاقي .
٢ ـ والاشتراك في طعام يؤكل وشراب يشرب .
٣ ـ والاشتراك في شر يدهمهم وخاصة متى كان نوع الشر واحداً وتلاحقها فان بعضهم يكون بعض .
٤ ـ والاشتراك في لذة ما .
٥ ـ والاشتراك في الامكنة التي لا يؤمن فيها ان يحتاج كل واحد الى الاخر مثل التوافق في السفر .

المدينة الفاضلة عند الفارابي :

لقد عرف المدينة الفاضلة بأنها المدينة التي يؤدي الاجتماع فيها الى التعاون فيما بينهم في سبيل نيل السعادة الحقيقية ، وحيث قام بدراسة نفسية الانسان وفطرته الاجتماعية ونظام الهيئة البشرية وما عليها لتسعد وتركيبها في هذه الدنيا وتنال المثال الاعلى في تحقيق الكمال ، واكد على ضرورة تعاون الافراد وتكاتفهم وذلك لحاجة الفرد الملحة الى بني جنسه حيث لولا هذا التعاون الذي يحدث في جميع المجالات والحقول لما عمرت الارض ولا كثرت الجماعات .

ويعمد الفارابي الى تصنيف الافراد وجماعات الناس الى طبقات بعضها فوق بعض في الفقر والمال او الجاه . ويقول ، ان هذه الجماعات تتصارع فيما بينها وكذلك الافراد .

وقد وصف الفارابي رئيس المدينة الفاضلة بأنه الرئيس الحقيقي للامة ورئيس المعمورة كلها ولا يمكن ان يكون رئيس فوقه بل هو فوق الجميع ولا يجوز لاي انسان ان يكون رئيساً لان الرئيس هو انسان قد استكمل الصفات الحسنة وهو منبع

السلطة العليا والمثل الاعلى . فالرئاسة لاتكون الا بشيئين احدهما ان يكون بالفطرة والثانية بالهيئة والملكة الارادية . كذلك الرئيس هو الانسان الذي يقف على كل فعل يمكن ان يبلغ به السعادة . وان يكون له مع ذلك قدرة بلسان على جودة التخيل بالقول وان تكون له قدرة على جودة الارشاد للسعادة . وقد حدد صفات رئيس المدينة الفاضلة باثنتا عشرة صفة وهي :

١ ـ ان يكون تام الاعضاء .
٢ ـ ان يكون جيد الفهم والتصور لكل ما يقال له .
٣ ـ ان يكون جيد الحفظ لما يقرأ ، وما يسمعه ويراه ولما يدركه .
٤ ـ ان يكون جيد الفطنة .
٥ ـ ان يكون حسن العبارة قوي اللسان .
٦ ـ ان يكون محباً للتعليم والاستفادة .
٧ ـ ان يكون معتدلاً في طلب الملذات .
٨ ـ ان يكون محباً للصدق والعدل مكرهاً للظلم والكذب .
٩ ـ ان يكون كبير النفس محباً للكرامة .
١٠ ـ ان يكون محباً للعدل ومبغضاً للجور والظلم وأصلهما .
١١ ـ ان يكون عدلا غير صعب القيادة غير لجوج اذا دعى الى العدل ، وصعب القيادة اذا دعي للجور او القبيح .
١٢ ـ ان يكون قوي العزيمة على الشيء ، مقداماً غير ضائق ولا ضعيف النفس . (٣٣ ص ١٣٧) .

ابن سينا : [٥]

ولد الشيخ ابو علي الحسين بن عبدالله بن حسن بن علي بن سينا في شهر صفر ، سنة « ٣٧٠ هـ » في بلدة افشنة من منطقة بخارى عن ابوين اسماعيليين . وكان ابن سينا على الرغم من صغر سنه يستفسر من والده واعمامه الذين كانوا من كبار العلماء عما يتفاعل في اعماقه من قضايا فلسفية ومذهبية وعلمية . واتم دراسة الادب واللغة قبل ان يبلغ العاشرة من عمره . وقد عكف على دراسة الطب والعلوم الاخرى كالفلك والرياضيات والفلسفة والموسيقى وعلم النفس والتربية » .

---

[٥] . احمد حقي الحلي وآخرون ، مبادىء التربية ، مطبعة جامعة بغداد ، بغداد ، ١٩٨٥ ص ٨٠ .

النفس عند الفارابي :

يعتقد الفارابي ان النفس هي صورة الجسد وقوامه وهي القوة التي تعين الاجسام وتساعدها على بلوغ كمالها . والنفس جوهر روحاني بسيط قائم بذاته وليس عرضاً من اعراض الجسم ، وقد قسم الفارابي النفس الى اربعة اقسام :

١ ـ القوة الغاذية : وهي القوة التي يتغذى بها الفرد ، ومركز هذه القوة هو الفم .

٢ ـ القوة الحساسة : وهي القوة التي يحس بها الفرد مثل احساسه بالحرارة والبرودة ولكل حاسة عضو خاص بها وتأتي بعد القوة الغاذية .

٣ ـ القوة المتخيلة : وهي القوة التي يحفظ بها ما ارتسم في نفس الانسان من المحسوسات بعد غيبتها عن مشاهدة الحواس وهذه تركيب المحسوسات بعضها الى بعض وتفصل بعضها عن بعض هذه التركيبات والتفصيلات المختلفة ، بعضها كاذبة وبعضها صادقة .

٤ ـ القوة الناطقة : وهي القوة التي يمكن بها ان يعقل المعقولات ويميز بين الجميل والقبيح وهي واحدة في العدد ، ورئيسة القوى الحاسة والمتخيلة .

الفارابي يتفق مع ارسطو في القول بوجود اساس نفسي فطري للحياة الاجتماعية . ويقول في ذلك :

« ولكل واحد من الناس مفطور على انه محتاج في قوامه وفي ان يبلغ كمالاته الى اشياء كثيرة لا يمكن ان يقوم بها كلها هو وحده ، بل يحتاج الى قوم يقوم له كل واحد منهم بشيء مما يحتاج اليه ، فلذلك لا يمكن ان يكون الانسان ينال الكمال الذي لاجله جعلت له الفطرة الطبيعية الا باجتماعات كثيرة متعاونين يقوم كل واحد لكل واحد ببعض ما يحتاج اليه في قوامه وفي ان يبلغ الكمال . ولهذا كثرت اشخاص الانسان فحصلوا في المعمورة من الارض فحدثت منها الاجتماعات الانسانية » .

ولكن يلاحظ ان هذا الاساس الفطري يقول به هذا المفكر يختلف الى حد ما في مضمونة عن الاساس الذي يقول به ارسطو ، فالاساس الفطري عند ارسطو ميل فطري الى التجمع ، وهو شبيه بما سمي في بعض البحوث الحديثة بغريزة التجمع . اما عند الفارابي فالاساس الفطري هو العجز عن سد الحاجات الاساس لدى الفرد .

النفس عند ابن سينا :

تحدث ابن سينا عن النفس الانسانية واهتمامه بها افاق الوصف ، وقدم البراهين الفعلية المقنعة التي تثبت وجود النفس كجوهرة روحانية قائمة بذاتها ، وأصل للقوة المدركة والمحركة في اجزاء الجسم الانساني . اما الوظيفة التي تقوم بها النفس فهي ادراكها المعقولات .. وهذا يدل على تحرر النفس عن الجسم . يلاحظ ابن سينا ان للنفس جانبين :

١- الجانب الاول يشترك فيه الانسان مع الحيوان والنبات ويعرف النفس في هذا الجانب بأنها كمال لجسمٍ طبيعي آلي ذي حياة بالقوة .

٢- الجانب الذي يشترك الانسان مع الملائكة فعرف النفس انها جوهرة روحانية تكمل الجسم وتحركه بالاختيار عن مبدأ منطقي عقلي بالقوة للنفس الانسانية .

ويقسم ابن سينا الوظائف النفسية الى ثلاثة اقسام وهي :

١- وظائف يشترك فيها الحيوان مثل الاحساس والتخيل والحركة الارادية .

٢- وظائف يشترك فيها الحيوان والنبات كالتغذى والنمو والتوليد .

٣- وظائف تخص الانسان وحده وهي وظائف العقل .

نجد ان النفس عند ابن سينا حظيت بالمقام الاول في جميع ماعالجه من الموضوعات وانه اهتم بها اهتماماً كبيراً . لذلك فان النفس عنده خالدة . ولها فيها مباحث كثيرة اهمها اثبات وجود النفس حدوث وبيان قواها ووحدتها واكتسابها للمعرفة .

ابن سينا والاحساس الظاهر :

عني ابن سينا عناية خاصة بدراسة الادراك الحسي . فبحثه بحثاً مستفيضاً . وكانت كتاباته في هذا الموضوع من المراجع العامة التي اثرت تأثيراً كبيراً في تفكير الفلاسفة المسلمين والمسيحيين طوال الاجيال التالية حتى عصر النهضة والاحساس عنده نوعان : احساس ظاهر واحساس باطن . فيحدث الاحساس الظاهر عن طريق الحواس الخمس الظاهرة وهي : البصر والسمع والشم والذوق واللمس . ويحدث الاحساس الباطن عن طريق الحواس الخمسة الباطنة وهي : الحس المشترك ، المصورة والمتخيلة والقوة الوهمية والذاكرة الحافظة .

يعرف ابن سينا الادراك على العموم بأنه قبول المدرك لصورة المدرك ، ويعرف الاحساس بأنه قبول الحاسة لصورة المحسوس . والقوة الحاسة مثل المحسوس بالقوة ، فاذا انفصلت عنه تصبح مثله وشبيهه ، فالاحساس انتقال من القوة الى الفعل ، واستحالة الى مشابهة المحسوس بالفعل .

وتعريف الاحساس بأنه قبول الى صورة المحسوس ، او استحالة الحس الى مشابهة المحسوس فكرة ارسطية الاصل ، وقد ذاع هذا التعريف فيما بعد بين الفلاسفة . وظل هذا التعريف دائماً طوال القرون الوسطى بين الفلاسفة اللاتينيين .

فاذا حللنا الاحساس الظاهر في مذهب ابن سينا امكننا ارجاعه الى اربعة عناصر . العناصر الثلاثة الاولى عناصر ضرورية يجب ان تتوافر لكي يحدث الاحساس اما العنصر الرابع فليس ضرورياً لحدوث الاحساس وانما هو عنصر انفعالي يلحق الاحساس او يصاحبه

١ ـ المحسوس الخارجي : يشترط في حدوث الاحساس الظاهر وجود مؤثر خارجي يؤثر في عضو الحس .

٢ ـ انفعال الحس : ويشترط في حدوث الاحساس انفعال الحس عن المحسوس . فان لم ينفعل الحس لم يحدث الاحساس .

٣ ـ الوسط : ويلزم وجود وسط ينتقل خلاله تأثير المحسوس في الحس ، ويقوم الهواء والماء بدور الوسط للحواس ماعدا حاسة اللمس التي تحس بالملامسة المباشرة بينها وبين الملموس . ويتردد ابن سينا في امر اللمس ، فتارة يقول ان اللحم وسط له ، وتارة يقول انه ليس بوسط ولكنه آلة اللمس .

٤ ـ اللذة والالم : يصاحب الاحساس عادة شعور باللذة او الالم فاذا تكيف الحس بكيفية ملائمة شعر باللذة . واذا تكيف بكيفية مناخية او منافرة شعر بالالم . فاللذة ادراك الملائم والالم ادراك المنافي .

والمحسوسات عنده نوعان وفيها هذا يحذو حذو ارسطو فيقسمها الى محسوسات مدركة بالذات ، ومحسوسات مدركة بالعرض . المحسوس بالذات هو المحسوس الذي يؤثر في الحس وينفعل عنه الحس . اما المحسوس بالعرض فليس في الواقع محسوساً يؤثر في الحس وينفعل عنه الحس . وانما هو معنى يدركه الحس لوجوده عرضاً في المحسوس بالذات . فالابيض مثلاً محسوس للبصر

بالذات . اما كون هذا الابيض هو فلان ، فهذا محسوس بالعرض لان البصر لا ينفعل عنه من حيث هو فلان وانما من حيث هو ابيض فقط .

والمحسوسات المدركة بالذات نوعان : محسوسات خاصة بكل حاسة ومحسوسات مشتركة بين الحواس جميعها . والمحسوس الخاص الذي تحسه حاسة معينة ولا تحسه غيرها مثل اللون للبصر ، والصوت للسمع ، والمحسوسات المشتركة تحسها الحواس جميعها وهي الشكل والعدد والمقدار والحركة والسكون .

ويقابل تقسيم ابن سينا للمحسوسات الى خاصة ومشتركة التقسيم الذي وضعه (جون لوك) للكيفيات المحسوسة الى كيفيات اولية وكيفيات ثانوية . الكيفيات الاولية هي الكيفيات المتحققة في المادة وهي الشكل والعدد والمقدار والحركة والسكون والمقاومة وهي تقابل المحسوسات المشتركة عند ابن سينا . اما الكيفيات الثانوية فهي لاتوجد في الواقع متحققة في المادة ، وانما هي مظاهر من ابتكار حواسنا ندرك بواسطتها الاجسام الطبيعية مثل اللون والصوت والرائحة والطعم ... الخ . وهي تقابل المحسوسات الخاصة عند ابن سينا . ويميز ابن سينا بين المحسوسات الخاصة بكل حاسة بين محسوسات بسيطة اولية ومحسوسات مركبة من المحسوسات البسيطة الاولية والمحسوسات البسيطة للمس اربعة ازواج هي ، الحرارة والبرودة ، والرطوبة واليبوسة ، والخشونة والملوسة ، والصلابة والليونة . اما الحواس الاربع الباقية فكل منها زوج واحد من المحسوسات البسيطة . فللشم الرائحة الطيبة والرائحة العفنة وللذوق الحلو والمر وللسمع الصوت الثقيل والصوت الحاد وللبصر الابيض والاسود اما بقية المحسوسات الاخرى فهي مركبة من هذه المحسوسات البسيطة كالاغبر من الابيض والاسود والفاتر من الحار والبارد .

الاحساس الباطن :

لاتستطيع الحواس الخمس الظاهرة التمييز من محسوساتها الظاهرة وبين محسوسات الحواس الاخرى . ومن الضروري لكي تتم المعرفة ويحصل الغرض منها اكتساب الكمال ، ان تجتمع المحسوسات المختلفة عند قوة واحدة تستطيع التمييز بينها . وليس ذلك في نظر ابن سينا ضرورياً فقط لاكتساب المعرفة ، ولكنه ضروري ايضاً لاستمرار الحياة ، ويسمي ابن سينا القوة الحسية التي تميز المحسوسات بالحس المشترك . وهو مركز الحواس وعنده تجتمع جميع المحسوسات .

ومن الضروري ايضاً لكمال الحياة والمعرفة ادراك صور المحسوسات في غياب المحسوسات ذاتها . وبتعاون الحس المشترك والمصورة يستطيع الانسان الجمع بين الادراك الحاضر والادراك الماضي وهذا امر ضروري في الحياة العملية وفي اكتساب المعرفة على السواء . ووظيفة المصورة مجرد حفظ صور المحسوسات دون ان يكون لها اي فعل فيها . ولكننا نستعيد هذه الصور في مناسبات مختلفة ، وتجمع بعض الى بعض ، وتفصل بعضها عن بعض ، فتكون صوراً خيالية غير موجودة في الخارج كما يحدث في احلام النوم وخيالات اليقظة . ويقول ابن سينا بوجود قوة حسية خاصة تقوم بهذه المهمة وتسمى متفكرة او مفكرة .

ويرى ابن سينا ان تجاويف المخ هي مركز الحواس الباطنة . فمركز الحس المشترك في اول التجويفين الاماميين للمخ . ومركز المصورة في آخر التجويفين الاماميين . ومركز التخيل في اول التجويف الاوسط . ومركز الوهم في آخر التجويف الاوسط ، ومركز الذاكرة الحافظة في التجويف الاخير .

يتفق ابن سينا مع ارسطو الى حد ما في الاعتراف باهمية الادراك الحسي في اكتساب المعرفة ولكنه لايذهب في ذلك الى الحد الذي يذهب اليه ارسطو فيعد الاحساس اساس المعرفة . وبدونه لاتكون معرفة ولا تفكير . ولكنه يلتقي باعتبار الادراك الحسي مرحلة اولية ضرورية تهيء النفس للادراك العقلي الذي هو في الحقيقة غير مكتسب من الحواس . وهو كذلك يتفق مع افلاطون في القول بوجود المعقولات وجوداً مستقلاً خارج العقل الانساني بحيث تصبح المعرفة العقلية الى حد ما شيئاً لايستمد من الحواس وانما يكتسب من عالم المعقولات على سبيل الفيض والالهام . والرأي الاول يذهب الى ان التفكير يحدث باستخدام صور خيالية . ويذهب الرأي الثاني الى ان التفكير هو تأمل المعاني العقلية البحتة بدون مشاركة التخيل المختلط بالصور الحسية . كيف استطاع ابن سينا التوفيق بين هذين المذهبين المتقابلين : المذهب الحسي الارسطي ، والمذهب العقلي الافلاطوني ؟

يرى ابن سينا ان العقل يستعين بالتخيل في انتزاع الكليات من الجزئيات المدركة بالحس . وذلك بأن يستعرض العقل بوساطة التخيل والوهم هذه الجزئيات المحفوظة في المصورة والحافظة . فيستنبط منها المعاني الكلية ويستمد منها مباديء التفكير . الى هذا الحد يمكن القول بأن العقل يستعين بالصور الخيالية في التفكير . ولكن ليس هذا الا مرحلة اولية من مراحل التفكير هي مرحلة تهيؤ واستعداد فقط . اما عمل العقل الخاص وهو تعقل المعقولات الكلية المجردة فهي مرحلة اخرى تأتي

بعد ذلك ولا يستعين العقل فيها بالحواس ولا بالصور الخيالية ، وانما يستعين في ذلك فقط بالعقل الفعال الذي يمده بالمعقولات على سبيل الفيض والالهام ... بذلك تم لابن سينا الجمع والتوفيق بين المذهبين الارسطي والافلاطوني المتقابلين .

ان آراءه هذه انتقل تأثيرها الى العالم والباحث العربي وغير العربي . فمثلاً ما يعرف اليوم بالطب السيكوسوماتي هو من ادراك ابن سينا للعلاقة بين الامراض الجسمية والنفسية . وما توصلت اليه دراسات النمو العقلي وعملياته ادركها ابن سينا ... وهكذا نجد في مجالات كثيرة ما لاهمية آراءه في علم النفس .

الامام الغزالي :

هو ابو حامد محمد بن محمد الغزالي . ولد في مدينة طوس عام (٤٥٠ هـ) وتوفي عام (٥٠٥ هـ) . عاش في فترة زمنية كانت الحضارة العربية شهدت حركة واسعة للنشاط الفكري في مختلف المجالات ، فهي فترة كانت غنية في معطياتها الثقافية . فمثل ذلك المصدر الكثير من آراء الغزالي . واطلع على فلسفة اليونان والرومان بشكل واسع .. وهذا هو المصدر الثاني لافكاره . والمصدر الاخر هو حياته الخاصة بكل عناصرها العلمية والاجتماعية . يناقش الغزالي اهمية الاشياء في عالم الظاهر بالنسبة الى الغاية الانسانية . والعلاقة الصميمية بين الانسان وبينها . ويعالج .. ما ان نطلق عليه اليوم اسم (اصول المجتمع الانساني وتطوره) .. ولكن لم تكن غاية الغزالي الاولى وضع نظرية من اصول المجتمع وتطوره . كان هدفه الرئيس ان يبني عن طريق البحث في نشوء المجتمع الانساني وتطوره ، فانه وان كانت الغاية الاساسية من وجود المجتمع هوتفهم بعض الحاجات الضرورية التي لايستطيع الانسان العيش بدونها ، الا ان هذا المجتمع يتطور تطوراً معقداً بحيث تشغل الاهداف والامور التي تنشأ اثناء عملية تطوره الناس اشغالاً كلياً حتى انها تصرف طالب الحقيقة وتشغله عن سعيه وراء معرفة الله . واول ما يبرر وجود المجتمع عند الغزالي هو ضمان بقاء الفرد وسلامته . اذ ان بقاءه وسلامته شرطان لسعادته وحاجات البدن الضرورية هي المأكل والمشرب والملبس. ويتوقف بقاءالانسان على سد هذه الحاجات، وهو عاجز عن توفيرها وحده. ولذا يتحتم التعاون بين الناس بتوزيع الاعمال الضرورية لتوفيرها للانسان . فنشوء المجتمع الانساني هو نتيجة حتمية يعجز الفرد عن توفير العيش لنفسه وحده . ولا ريب في ان الضرورة لوجود هذا المجتمع

---

[٥] . احمد حقي الحلي وآخرون ، مبادىء التربية ... ص ٨٤ .

تدل على حكمة الله في خلقه هذه الحاجات للانسان من ناحية ، وفي جعله الانسان عاجزاً وحده عن سدها من الناحية الاخرى . وكذلك فقد خلق الله في كل انسان رغبة في التجمع .

وتنشأ مع ظهور المجتمع مشاكل جديدة في العلاقات والتعاون الانساني فكل مرحلة من هذه المراحل تولد مزيداً من المشاكل والحاجات ، وهذه تتطلب المزيد من التنمية والتطوير .

ونمو التعقيد امر حتمي في نمو المجتمع الانساني ، وان الفنون والمهن والمؤسسات التي تظهر الى حيز الوجود ثمرة المتطلبات التي تخلقها مرحلة معينة من مراحل تطور المجتمع تؤدي بدورها الى خلق حاجات جديدة تفرض المزيد من التنمية . ويتبين من هذا ان المجتمع الانساني لابد ان يستمر في التعقيد الى ما شاء الله . اما الامر الثاني فتتعلق بوجهة نظر الفرد الذي يطمح الى تحقيق السعادة فان المشكلة الكبرى هنا ، هي ان الاهداف والاشياء الموجودة في المجتمع المعقد ليست كلها ذات اهمية بينه وبين سعيه وراء السعادة وعليه ان يختار ماهو ضروري لغايته .

يولد الفرد في مجتمع معقد تتنوع فيه الاهداف وتتكاثر الامور المستحبة ويتعشق قلبه هذه الاشياء لان يستمد منها لذات كبيرة، وهو يرى ان النجاح في تحقيق مايتعارف عليه المجتمع من اهداف ، يحمل معه المكانة والجاه والوقار ، ويتيح له السيادة على الاشياء الاخرى وعلى غيره من الناس .

ويعني المجتمع المعين او المرحلة المعينة في تطوره بالنسبة الى النمو الذاتي للفرد وجود عدد من الاشياء والاهداف التي تستهوى الشهوات والصفات الاخرى في الانسان ، وقد تختلف معظم الاشياء والاهداف او بعضها باختلاف المجتمعات ، او باختلاف مراحل التطور في المجتمع الواحد . لكن الاسس القائمة في الطبيعة الانسانية والتي تدفع الناس الى البحث عن الاشياء والاهداف المحددة التي يعرضها مجتمعهم واحدة في كل زمان ومكان فليس المهم مايختار الانسان تحقيقه من هذه الاشياء والاهداف ، وعلى الانسان مهما كان المجتمع الذي يمت اليه او العصر الذي يعيش فيه ، ان يتبين بنفسه مافي نفسه من الامور التي تدفعه وراء اهداف معينة .

ولتحذير المبتديء من طلب المعرفة من خطر انشغاله بالمطامع والاهداف التي ينصرف اليها معظم الناس لما فيها من جزاء في مجالات الملذات والشهرة رأى

الغزالي ان عليه ان يبين الاسباب التي ادت الى وجود هذه المطامح والاهداف في المجتمع ، وان يبين ايضاً مافي طبيعتها من قيود في طلب المعرفة ، ولا يحتاج طلب المعرفة من مجتمعه الا الى مايضمن سلامة بدنه وبقاءه ، ووجود المجتمع ضروري لذلك . ولكن تتولد في المجتمع اثناء عملية تطوره ونموه اشياء كثيرة وحرف وصناعات ومؤسسات وغيرها لاتكون غير ضرورية في حياة طلب المعرفة فحسب ، بل وقد تكون مغرية جداً في المراحل الاولى من حياة من لايطلب المعرفة ايضاً .

ويؤكد الغزالي ان بقاء المجتمع الانساني غاية الهية وفي هذا يقول ، « ولكن جعل الله في غفلتهم وجهلهم نظاماً للبلاد ومصلحة للعباد بل جميع امور الدنيا انتظمت بالغفلة وخسة الهمة ، ولو عقل الناس وارتفعت هممهم ، لزهدوا في الدنيا ، ولو فعلوا ذلك لبطلت المعايش ، ولو بطلت لهلكوا ، وهلك الزهاد ايضاً » .

ويقسم الغزالي الاشياء بالنسبة لسعادة الانسان الى نافعة وضارة طبقاً للاثر الذي تتركه هذه الاشياء على نمو الشخصية نحو الكمال وتحقيق الذات . ويدرس ماضي الاشياء والامور من نفع وضرر من ستة زوايا مختلفة . وهذه بشيء من الايجاز ،

اولاً ، ان الامور كلها بالاضافة الينا تنقسم الى ماهو نافع في الدنيا والاخرة معاً ، كالعلم وحسن الخلق ، والى هو ضار فيهما معاً ، كالجهل وسوء الخلق ، والى ماينفع في الحال ويضر في المال ، كاللذة المرتبطة بالشهوات ، والى مايضر في الحال ويؤلم ولكن ينفع في المال ، كقمع الشهوات ومخالفة النفس .

ثانياً ، اما بالنسبة الى الامور الخاصة بهذه الدنيا (ماعدا العلم وحسن الخلق) فهي مختلطة ، امتزج خيرها بشرها ، فقلما يصفو خيرها كالمال والاهل والولد والاقارب والجاه وسائر الاسباب ، ولكن بعضه يكون نفعه اكثر من ضره وبعضها الاخر ضره اكثر من نفعه كالمال . الوفير والجاه الواسع ، لكن مافي كل من الامور من (نفع وضرر يختلف باختلاف مايتركه من اثر الانسان المعني نفسه .

ثالثا ، ان الامور ينظر اليها من زاوية الغايات والوسائل . فمنها اولاً ماهو غاية في نفسه ، كلذة النظر الى وجه الله تعالى وسعادة لقائه وبالجملة سعادة الاخرة ثانياً ، منها مايقصد لغيره وليس له قيمة ذاتية ، كالمال ، واما الثالث فما يقصد لذاته ولغيره كالصحة والسلامة وهذه بالاضافة الى كونها نافعة في حد ذاتها ، تمكن الانسان من متابعة غاياته الدنيوية والروحية .

واذن مايطلب لذاته فقط هو الحسن الحقيقي ، اما مايطلب لذاته ولغيره ايضا فهو حسن ، ولكنه دون الاول . فأما مالا يطلب لذاته بل لغيره فلا يكون حسناً في حد ذاته بل مجرد وسيلة ضرورية .

رابعاً ، يمكن النظر الى الخيرات باعتبار ان منها ماهو نافع ومنها ماهو لذيذ ومنها ماهو جميل فاللذيذ هو الذي تدرك راحته في الحال ، اما النافع فهو الذي يفيد في المال ، والجميل هو الذي يستحسن في سائر الاحوال وكذلك الشروط ايضاً تنقسم الى ضار وقبيح ومؤلم . فالخير المطلق هو الذي تجتمع فيه صفات الخير الثلاث ، اي النفع والجمال واللذة . والعلم والحكمة من هذا النوع وتكون الشروط مطلقة ايضاً عندما تجتمع الصفات الثلاث للشر وهي الضر والقبح والالم . والجهل من هذا النوع . وتستمد اكثر الامور اهميتها ونفعها من الغايات التي تحققها فالايمان والعلم والفضائل وحسن الخلق والعمل الطيب كلها امور طيبة ونافعة ، اذ انها تخدم اسمى غايات الانسان وهي الوصول الى السعادة .

اما القسمة الخامسة فتكون في التعبير بالنعمة عن كل لذيذ . واللذات من احبة الانسان من ناحية اختصاصه بها او مشاركته لغيره او بدنية والاخيرة يشترك فيها الانسان مع بعض الحيوانات او معها كلها ، وعلى هذا الاساس يمكن تصنيف اللذات بالتسلسل حسب عدد اجناس الحيوانات التي تشترك فيها . وكلما ازداد عدد البهائم التي تشترك في لذة معينة كانت هذه اللذة من الصنف الادنى في تسلسل الخير والشر . ويكون تسلسل الخير في اللذات على شكل هرمي ، وتكون قاعدته تلك الشهوات التي تشترك فيها سائر البهائم ثم ترتفع شيئاً فشيئاً حتى تصل الى مايخص الانسان منها الى ان تصل الى الذروة التي تخص اعمق الجوانب الروحية في الانسان فالعلم والحكمة من لذة الروح ، هما ارفع اللذات في تسلسل الخيرات .

سادساً ، ان هذه القسمة حاوية لمجامع النعم في غاية واحدة . وهي غاية الانسان النهائية لانها تمثل سعادة الاخرة . وتكون سائر الامور الاخرى مجرد وسائل لتحقيق هذه الغاية وبعض هذه الوسائل اقرب واخص كفضائل القلب ، ثم تليها في القرب والاهمية فضائل البدن الذي يحمل النفس ، وتأتي بعدها النعم التي تضمن للبدن بقاءه وسلامته كالمال والاهل والجاه وكرم العشيرة . اما النوع الرابع من هذه الوسائل . فهو مايجمع بين هذه الاسباب الخارجة عن النفس وبين الحاصلة لها ويشمل هداية الله ورشده وتأييده .

آراء الغزالي في التربية

للغزالي آراء كثيرة في التربية والتعليم ، هذه الاراء التي تبين واجبات الوالدين اتجاه طفليهما وواجبات المعلم والمتعلم . وهذه الاراء لاتختلف في شيء عن كثير من الاراء التربوية الحديثة .

ففلسفة التربية عنده ان يحدد هدف النظام التربوي ورسم الوسائل والطرق التي تساعد على الوصول الى هذا الهدف وهناك وسيلتان اساسيتان للوصول الى هدف اي نظام تربوي هما ، نواحي المعرفة التي يجب تزويد المتعلم بها او بمعنى آخر المنهج العلمي الذي يدرسه المتعلم ثم الطريقة التي ينبغي ان تقدم بها تلك العلوم او مواد المنهج للمتعلم حتى تكفل المامه الصحيح بذلك المنهج والافادة منه .

يبين الغزالي آراءه التربوية في فطرة الطفل على نظرته الى النفس الانسانية وعلى فهمه لطبيعة الطفل وغرائزه ويرى التبكير في تعويد الطفل الخصال الحميدة لان نفسه ساذجة خلوة من اي نقش وفي هذا يقول « والصبي أمانة عند والديه ، وقلبه الطاهر جوهرة نفسية ساذجة خالية من كل نقش وصورة وهو قابل لكل ماينقش عليه ومائل الى كل مايحال اليه » . وهو في هذا يوافق اصحاب المذهب التجريبي من الفلاسفة ولاسيما اصحاب المدرسة التجريبية الانكليزية مثل لوك وهيوم وامثالهما الذين كانوا يرون ان النفس تولد صفحة بيضاء خلوة من اي نقش وان ليس في الفكر مالم يكن من قبل في الحس .

والطفل في نظر الغزالي تبعاً لهذا يتقبل الخير والشر على حد سواء وفي هذا يقول « كل مولود يولد معتدلاً صحيح الفطرة وانما ابواه يهودانه او ينصرانه او يمجسانه » .

وسنستعرض الاراء التي تركها لنا الامام الغزالي في اصول تربية الطفل ،

١ ـ ان تؤدب اخلاق الطفل .
٢ ـ ان يحفظ من اقران السوء .
٣ ـ الا يستعمل في حضانته وارضاعه الا امرأة صالحة متدينة .
٤ ـ الا يعود على التنعم ولا يحبب اليه اسباب الرفاهية .
٥ ـ ان يمنع من النوم نهاراً فانه يورث الكسل .
٦ ـ ان يعلم الولد آداب الاكل .
٧ ـ ان يكرم الولد ويحمد على ماجاء من الجميل ويتغافل عما جاء به من القبيح .

٨ ـ ان يشغل في الكتب فيتعلم القرآن واحاديث الاخبار وحكايات الابرار .
٩ ـ ان يعود الخشونة في الملبس والمفرش والمطعم .
١٠ ـ يمنع من ان يفتخر على اقرانه بشيء يملكه والده .
١١ ـ وينبغي ان يؤذن له بعد الانصراف من الكتاب ان يلعب لعباً جميلاً فيستريح ما به من تعب القراءة والكتب .
١٢ ـ اكد على اهمية الصفات الحميدة اذ ان لكل آثار سلبية او ايجابية تبدو في سلوك الطفل في المستقبل .

ان التعليم في نظر الغزالي هو اشرف الصناعات والغرض من التربية هو الفضيلة والتقرب من الله . فنصائح الغزالي للمعلم هي :

١ ـ ان يقتدى بصاحب الشرع محمد (ص) لايطلب على افادة العلم اجراً ولا يقصد جزءاً ولا شكراً بل يعلم لوجه الله تعالى .
٢ ـ الشفقة على المتعلمين وان يعاملهم معاملة ابناءه .
٣ ـ ان يقتصر بالمتعلم على قدر فهمه فلا يلقي الله مالا يبلغه عقله .
٤ ـ ان يكون المعلم عاملاً بعمله فلا يكذب قوله فعله .
٥ ـ نصح بضرورة مراعاة الفروق الفردية بين المتعلمين فبين ان هناك فروقاً بين الافراد من حيث قدراتهم واستعداداتهم ورغباتهم وميولهم .

٦ ـ اكد على تعليم الطفل قراءة القرآن الكريم واحاديث الاخبار وحكايات الابرار واحوالهم حيث يبعد عن العبث والمجون .
٧ ـ وبالنسبة للعقاب فقد اوضح الغزالي ذلك بقوله ان يزجر المتسلم في سوء الاخلاق بطريق التعريض ما امكن ولا يصرخ ولا يوبخ وقد لاحظ تأثير العقاب في نفس المتعلم لان الطالب اذا شعر بالضغط والتوبيخ والمس في كرامته احس ببغض وحقد لذلك الدرس ولمعلمه وبذلك تفقد الغاية المتوخاة وهي حالة التشويق التي يجب ان توفر للطالب كي يقبل على الدرس وبرغبة اكيدة وشوق كبير .
٨ ـ وطالب المعلم ان يكون قدوة حسنة للطالب .
٩ ـ ويتفق الغزالي مع ابن خلدون في تأكيده على ضرورة قيام الطلبة بالرحلات والابتعاد عن الاهل والوطن في سبيل تحصيل العلوم وطلب العلم . اكد على مبدأ التدرج في التعليم .

كما اكد على ان الطالب يجب الا يتكبر على معلمه بل يحترمه ويذعن لنصيحته . هذه النصائح الجليلة التي تركها لنا الغزالي وهي مستمدة من التجارب الطويلة والخبرات الكثيرة فهي اذن من صميم الواقع . وما هي الا مبادىء تفصيلية لوجهة نظرته الصوفية ولطبيعة الكائن الانساني ولنظرته للحياة الانسانية عموماً . ان الامام الغزالي لم يكن مفكراً تربوياً محضاً بل كان مفكر ديني وبعبارة اخرى كان مفكر فلسفي ومعالجته لمسائل التربية كانت مكملة لتلك الاراء الفكرية الفلسفية ذات الطابع الديني .

ابن خلدون (٧٣٢ هـ ـ ٨٠٨ هـ)

هو ابو زيد عبدالرحمن بن خلدون التونسي ، ولد بمدينة تونس عام (٧٣٢ هـ) وتلقى علومه فيها حيث كانت تونس آنذاك مركزاً تستقطب العلماء والادباء اليها من بقاع شتى .

وقد تنقل ابن خلدون في اقطار شتى عندما كان شاباً وتناول اعلى مراتب الحكم والسلطان ، واستقر اخيراً في القاهرة وجلس للتدريس في جامع الازهر الذي وجد فيه مجالاً واسعاً وميداناً خصباً لنشر علومه ومعارفه فألتف حوله الطلبة في حماس شديد .

يعد ابن خلدون من الكتاب العرب القلائل الذين كتبوا في التربية والتعليم . كما يعد بحق مؤسساً لعلم الاجتماع ومن المؤرخين البارعين . اشتهر بكتابة المعروف « مقدمة ابن خلدون » تلك المقدمة التي ترجمت الى اكثر لغات العالم وكتبت عنها مؤلفات عدة (١٠ ـ ص ٧٦ ـ ٧٧) وسنتناول آراءه سواء في المجتمع أم في التربية .

لقد اتفق ابن خلدون مع ارسطو في ان هناك ميل فطري الى التجمع ثم يقرر ان الانسان ميال الى العدوان والظلم بفطرته ، ومن هنا جاءت ضرورة المجتمع حاكم على رأسه . فهو يقول :

« ثم ان هذا الاجتماع اذا حصل للبشر كما قررنا وتم عمران العالم بهم فلا بد من وازع يدفع بعضهم عن بعض لما في طباعهم الحيوانية من العدوان والظلم .. فيكون

ذلك الوازع واحداً منهم ويكون له عليهم الغلبة والسلطان واليد القاهرة حتى لا يصل احداً الى غيره بعدوان ، وهذا هو معنى الملك »

ثم يتحدث عن الظروف التي يعيش فيها المجتمع ، بعضها بيئية طبيعية وبعضها اجتماعية وكيف انها تؤثر في طراز الشخصية السائدة في هذا المجتمع وتتلخص هذه الظروف والعوامل في اربعة :

١ ـ المناخ الجغرافي
٢ ـ مستوى الخصب او القفر في القطر
٣ ـ طراز الحكم السائد
٤ ـ مستوى التطور الاجتماعي الذي بلغه المجتمع .

فيما يتعلق بالمناخ الجغرافي يقول :

« ولما كان السودان ساكنين في الاقليم الحار واستولى الحر على امزجتهم وفي اصل تكوينهم كان في ارواحهم من الحرارة على نسبة ابدانهم واقليمهم فتكون ارواحهم بالمقياس الى ارواح اهل الاقليم الرابع اشد حراً فتكون اكثر تفشياً واسرع فرحاً وسروراً واكثر انبساطاً ويجيء الطيش على اثره ، وكذلك يلحق بهم قليلاً اهل البلاد البحرية لما كان هواؤها متضاعف الحرارة بما ينعكس عليه من اضواء بسيط البحر واشعته كانت حصتهم من توابع الحرارة في الفرح والخفة موجودة اكثر من بلاد التلول والجبال الباردة .. »

ينتقل ابن خلدون الى الحديث في (الخصب والجوع وما ينشأ عن ذلك من الاثار في ابدان البشر واخلاقهم . فيقول :

« وتجد مع ذلك هؤلاء الفاقدين للحبوب والادم من اهل القفار احسن حالاً في جسومهم واخلاقهم من اهل التلول المنغمسين في العيش ، فالوانهم اصفى وابدانهم انقى واشكالهم اتم واحسن واخلاقهم ابعد من الانحراف واذهانهم اثقب في المعارف والادراكات ، هذا امر تشهد له التجربة في كل جيل منهم » .

ثم يتحدث عن العامل الثالث وهو طراز الحكم السائد ، فيقول :

« واما اذا كانت الملكة واحكامها بالقهر والسطوة والاخافة فتكسر حينئذ من سورة بأسهم وتذهب المنعة عنهم لما يكون من التكاسل في النفوس المضطهدة » .

واما عن العامل الرابع والاخير وهو مستوى التطور الاجتماعي في المجتمع فهو يعقد فصلاً بعنوان : « في اطوار الدولة واختلاف احوال وخلق اهلها باختلاف الاطوار » يقول فيه :

« اعلم ان الدولة تنتقل في اطوار مختلفة وحالات متجددة ويكتسبه القائمون بها في كل طور خلقاً من احوال ذلك الطور لا يكون مثله في الطور الاخر . لان الخلق تابع بالطبع لمزاج الحال الذي هو فيه وحالات الدول واطوارها لاتعدو في الغالب خمسة اطوار ... »

هذه عينة من آراء ابن خلدون في موضوع العوامل الرئيسة التي تحدد طراز الشخصية السائدة في المجتمع .

وله آراء اخرى هي في الواقع بذور نظرية تقع على الحدود بين علم النفس الاجتماعي وبين التوجيه المهني هذه الاراء تدور حول الصلة بين سمات الشخصية وبين احتمالات النجاح او الفشل في مهن معينة . كما تدور حول مايمكن ان يترتب على ممارسة الشخص لمهن معينة من آثار في سمات شخصيته . وحديثه في حرفة التجارة يوضح آراءه هذه فهو يرى ان من اهم سمات الشخصية التي تضمن لصاحبها النجاح في مهنة التجارة ان يكون (جريئاً) على الخصومة . بصيراً بالحسبان . شديد المماحكة) . (٣٢ ـ ص ١٣٩ ـ ١٤١)

ولابن خلدون آراء عديدة في التربية وسنعرض بعضاً منها .

١ ـ يرى ان العلم والتعليم امر طبيعي في العمران البشري لان الانسان انما يتميز على الحيوان بالفكر الذي يهتدي به ليحصل معاشه . وان العناية بالتعلم والتعليم تدل على درجة كبيرة من الرقي والتطور فكلما تقدم المجتمع في طريق الحضارة تقدمت معه العلوم وارتقت طرائق التعليم وأساليبه .

٢ ـ الا تقدم المسائل الصعبة للمبتدئين بالتعليم . وان يكون تعليم العلوم متدرجاً من السهل الى الصعب . ومن البسيط الى المعقد ومن المحسوس الى المجرد . وان يستعان بالامثلة الحسية او الوسائل المعينة لاسيما في المراحل الاولى من التعلم .

٣ ـ ينبغي ان يراعي في العملية التعليمية قوة عقل المتعلم واستعداده للتعلم وميوله الفطرية وان ينتبه الى مابين المتعلمين من فروق ومراعاة ذلك اثناء عملية التدريس .

٤ ـ الا تطول الفقرات بين الدروس ، لان طول الفترة بين درس وآخر مدعاة لان ينسى المتعلم مادرسه . وان مواصلة الدروس تربط بينها وبين بعضها وتساعد على ان تتم عملية التعلم في وقت اقصر وبطريقة اصح ، وبذلك يحدث اقتصاد في الوقت والجهد وتأتي بنتائج افضل .

٥ ـ ان يعطى تعليم اللغة العربية اهتمام كبير وعناية فائقة ، وان تكون دراستها اساس لكل علم وان يبدأ بتدريسها اولاً وقبل كل علم وذلك بغية تمكين الطفل من اجادة التعبير عما يدور في ذهنه من افكار وتصورات ، وعلى اتقان عملية الكتابة وفهم مايكتبه وما يقرأه .

٦ ـ دعا الى التقليل من العقاب ، وتجنب النوع القاسي منه لان الشدة على المتعلمين مضرة بهم .

٦ ـ دعا الى التقليل من العقاب ، وتجنب النوع القاسي منه لان الشدة على المتعلمين مضرة بهم . ومن واجب المعلم ان يأخذ الاطفال بالقرب والملاينة لا بالشدة والغلظة الا يلجأ الى العقوبة الا عند الضرورة القصوى وذلك لان الشدة لاتبلغ الغاية من ايقاف المتعلم على المعلم بل تفسد اخلاقه لانها تعلمه الكذب وتدعوه الى المكر .

٧ ـ اكد على اهمية الرحلات في طلب العلم وفائدتها اذ اعتبرها تزيد الكمال في التعليم .

٨ ـ عد ابن خلدون القرآن الكريم اصل التعليم .

وفي ضوء ماتقدم يمكن ان نستنتج ان ابن خلدون ينظر الى التعليم من زاوية اجتماعية ويقرر انه ظاهرة اجتماعية ولا شك ان كثير من المفكرين انتهوا آخر الامر الى ان التربية ضرورة اجتماعية .. وبهذا المنطق حدد ابن خلدون اساليب التعامل في مجال تنشئه الافراد فاستوفى الاهداف التربوية من مضامين الحياة الاجتماعية فما هو مطلوب من الاهداف التربوية في مجتمع ماتكون محددة بنمط حياة ذلك المجتمع»

» د . احمد حقي العلي وآخرون ، مبادىء التربية ، ١٩٨٥ (ص ٧٨ ـ ٨٠)

الفصل الثالث

مناهج البحث
تطور مناهج البحث
المنهج التجريبي
المنهج الوصفي
المنهج التأريخي
المنهج السسيومتري
المنهج العلاجي
اساليب اخرى في دراسة السلوك الاجتماعي

مناهج البحث

تطور مناهج البحث في دراسة الجماعة

ان دراسة الجماعة او السلوك الاجتماعي لابد ان تكون وفق منهج علمي للبحث ، ومعنى هذا ان تتضمن طريقة منظمة لتسجيل الملاحظات وان تخضع لضوابط تضمن لها الثبات والصدق .

لقد مرت مناهج دراسة الجماعة بمراحل ، فنجد اولاً مرحلة الدراسة السيكولوجية للشعوب هذه التي تتمثل على خير وجه في الدراسات التي شاعت في نهاية القرن التاسع عشر ، والتي تشبه الى حد كبير ، بل وما تضمنته كتابات هيرودوت واعمال فوييل (Fouillee) في سيكولوجية الشعوب ، وليس من شك في ان هذه الدراسات لاترقى الى مستوى الدراسة الحقلية (Field-Work)

ونجد بعد ذلك مرحلة الدراسات السيكولوجية للاجناس ، او ما يسمى بالدراسات الانثروبولوجية الثقافية وقد انتشرت هذه الدرسات في نهاية القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين . اما المرحلة الحالية ، فترجع الى تقدم علم النفس واثره ، سواء من ناحية التكتيكات او من ناحية النظريات .

ان الدراسات التي كانت تقتصر في بدايتها على دراسة الشعوب البدائية اي دراسات (الانثروبولوجيا الثقافية) كانت تعتمد على المنهج التقليدي والتي بلغت ذروتها عند مالينوفسكي (Malinowsky) حيث يبدأ بدراسة اطار القبيلة وبيئتها ثم يسجل المظاهر الدقيقة للحياة الواقعية ، وكذلك يحدد نمط السلوك الاجتماعي الشائع ، ويجمع الوثائق المتصلة بالعقائد والتقاليد ، ويهدف مالينوفسكي من دراسته الى الامساك بوجهة نظر الفرد تجاه عالمه وبالتالي فمنهجه يستند الى علم النفس الفهمي اي الى فهم الظاهرة الحياتية عن طريق التأويل وليس عن طريق التفسير بالقوانين ، ولكن منهج (مالينوفسكي) يعد مع ذلك منهجاً كلاسيكياً اذ لا يستخدم الوسائط والادوات مايمكن من ان ينفذ الى اعماق الظاهرة .

ثم تطورت المناهج الى دراسة السلوك الفردي بعد ان انكمشت الابحاث الحقلية . فبدأ استخدام الاحلام واختبار (الرورشاخ) اي بقع الحبر ، مما نلاحظه في دراسة ظاهرة التثقيف (Culturation) اي عملية احلال ثقافة حديثة محل

ثقافة قائمة . هذا الى مانجده من تركيز بعض الدراسات على جانب بعينه من جوانب السلوك وما يتبع ذلك من دراسة الشخصيات النمطية ممثلة للمجتمع موضوع الدرس او لشخصية ما من شخصياته في ظروف استثنائية .

لقد ساعدت ظروف النظريات منذ بداية القرن العشرين في تصحيح الكثير من النظرات التي كانت تجاه الجماعة والظواهر الاجتماعية وانهاء التعارض التقليدي مابين الفرد والمجتمع وقد كان لهذه النظريات اعظم الاثر في تطور دراسات المجتمعات . فمثلاً نظرية (الجشتالت) بتصورها الدينامي ومفاهيمها عن الوحدة الكلية وعن التفاعل بين الادوار وعن الاتزان والتكامل صححت الكثير من النظريات والى جانب ذلك فقد ساهمت كل من نظرية التحليل النفسية والنظرية السلوكية في تطور الدراسات التي تخص الفرد والمجتمع . (٤٣ ـ ص ٢٥ ـ ٢٧)

وفيما يأتي نعرض مناهج البحث في دراسة الجماعة :

١ ـ المنهج التجريبي :

يتبع علماء النفس الاجتماعي خلال تجاربهم الاجراءات الثابتة . فيلاحظ الباحث مايعتقد انها ثوابت نظامية او قانونية في مجال السلوك الذي يهتم به ويكوّن فرضية قد تشرح او تصف ملاحظاته . ثم يجري تجارب في ظروف متحكم بها بعناية لاختبار فرضيته . ثم سيتأكد الباحث من ان مجموعات التجربة والمقارنة متطابقة من ناحية المتغيرات كالذكاء مثلاً ويتأكد ايضاً ان المجموعتين تستخدمان المواد نفسها وتعملان في البيئة نفسها وتحت اشراف الاشخاص انفسهم . الفرق الوحيد في الظروف بين المجموعتين هو الفرق بين معالجة المجموعة المقارنة (الضابطة) والمعالجة التجريبية (المجموعة التجريبية) ثم يتم تحليل الاختلافات بين اداء المجموعتين قبل وبعد ويتم مقارنتها احصائياً .

في مثل هذا البحث يصبح الظرف المحفز (متغير مستقل) ويستغل من قبل الباحث وتصبح الاستجابة (متغير معتمد او تابع) . ان التغيرات في الاستجابة لمعنى آخر ، تعتمد او تسبب من قبل استغلال الباحث للمتغير المستقل ، مثلاً ، في تجربة حول استخدام الدعاية فأن التنويع في طريقة تقديم الدعاية هو المتغير المستقل والدرجة التي يتقبل فيها الاشخاص الاراء الدعائية ستكون المتغير التابع ، اذن فالاختلاف في طريقة تقديم الدعاية سيحدث تغيرات في اعتقادات او اتجاهات الافراد . ويمكننا لهذا الغرض ان نختار عينة من تلاميذ مدرسة ثانوية نفسها الى

مجموعتين المجموعة الاولى (التجريبية) تعرض لنوع من الدعاية ـ فيلما سينمائياً او برنامجاً اذاعياً او محاضرة تبرز في وضوح جوانب المشكلة المدروسة . وتترك المجموعة الثانوية (الضابطة دون ان تتعرض لهذه الدعاية . ثم تجمع المجموعتين معاً ، ويطبق عليهما استفتاء . فاذا اظهرت المجموعة التجريبية تغيرات في الرأي فان لدينا

دليلاً على تأثير الدعاية وهذا مايسمى (بالمتغير التابع). ومثال آخر للدراسات التجريبية التي قام بها (هاوثورن) لكشف العلاقات بين ظروف العمل وملابساته وبين التعب والملل عند العمال . وبدأ العمل بمحاولة تحديد العلاقة بين شدة الضوء في المصنع والانتاج فاختيرت لهذا الغرض مجموعتان من العمال وظلت الاضاءة على ماهي عليه في المجموعة الضابطة . وزيدت شدتها في المجموعة التجريبية . غير انه اتضح ان الانتاج قد زاد في المجموعتين الضابطة والتجريبية . ثم انقصت شدة الاضاءة في المجموعة التجريبية . فزاد انتاجها عما كان عليه . ولقد اتضح للقائمين على التجربة ان هناك عاملاً هاماً يؤثر في الانتاج بغض النظر عن شدة الاضاءة .

وقد فتحت هذه الدراسة مجالاً جديداً للبحث في اتجاهات العمال وثم ادت الى دراسة القيادة والاشراف وكشف الدراسة عن اهمية التنظيم الاجتماعي في الانتاج وظهرت اهمية مشكلات الاتصال . فقد وجد مثلاً في تجربة اخرى ان الانتاج قد زاد نتيجة تغير في اتجاهات العاملات ازاء عملهن ونحو جماعة العمل . فكان يجلس مع العاملات في هذه التجربة ملاحظ يهتم بما يجري في التجربة ويطلب منهن النصيحة ويستمع الى شكاياتهن . وترتب على ذلك ان العاملات شعرن باهميتهن . وانهم كجماعة يحاولن مساعدة الشركة على حل مشكلة وانهن يعرفن الهدف الذي يعملن على تحقيقه . وتوضح هذه التجربة ان الجماعة الاولية وليس الفرد يجب ان تكون وحدة الملاحظة في التجارب العلمية . وان توفر الدوافع المناسبة اهم في الجماعة من الظروف البيئية الفيزيقية التي تحيط بها . فجماعة العمل ليست وظيفتها الانتاج فحسب . بل لها وظيفة اجتماعية نفسية وهي اشباع حاجات اعضائها .

ان المنهج التجريبي في الدراسات النفسية يتطلب ان نعرف المشكلة ونحددها . وان نصلها بمباديء واسس معروفة . ونتناول مظاهر معينة من الظروف بينما تضبط اخرى وتبقيها ثابتة . ونفترض الفروض . ونجمع البيانات ونحللها . ونحقق الفروض . وتتطلب الطريقة التجريبية ان نجري تجارب بطرق تسمح لنا بالتكرار والضبط . وتتطلب فهم المتغيرات المتضمنة . ويحاول الباحث ان يكتشف المتغيرات

العامة للمشكلة التي يدرسها ، ويجب عليه ان يختار المتغيرات التي يريد ان يضبطها وقد يوفق ويتوصل الى نتائج هامة . وقد يخطئ ولا يصل الى اي نتائج ويرجع السبب الى الخطأ في تصميم التجربة ويصعب احياناً تحديد المتغير المستقل والمتغير التابع وقد يكون لدينا اكثر من متغير تابع ، وتزداد المشكلة تعقيداً حين توجد عوامل بسيطة . فمن الممكن ان تكون التجربة ناجحة اذا خطط لها مسبقاً تخطيطاً سليماً .

ولنضرب مثلاً لتجربة اخرى قام بها العالم (ليفين وليبيت وهوايت) لتبين اثر الاجواء الاجتماعية المختلفة على السلوك العدواني للافراد ، فقد كونت ثلاثة مجموعات من الاطفال وعهد بها الى ثلاث اشخاص يتصف احدهم بالدكتاتورية ، والثاني بالديمقراطية ، والثالث بالفوضوية وكانت كل مجموعة تتكون من خمسة اولاد في سن العاشرة وكانوا يتفقون بقدر الامكان في الصفات العقلية والجسمية والمركز الاجتماعي والاقتصادي والمميزات الشخصية ، وكان ذلك الشخص في التجربة هو المتغير بينما تمثل الجماعات العوامل الثابتة حتى يمكن بالتالي المقارنة بينها ، وتكشف التجربة عن نزعة عدائية معتدلة في الجماعة الديمقراطية في حين تعظم في الجماعة الفوضوية ، وتتضاءل او تعظم في الجماعة الديكتاتورية .

المنهج الوصفي :

يهدف هذا المنهج الى جمع اوصاف دقيقة علمية للظاهرة الاجتماعية في وضعها الراهن ، او الى دراسة العلاقات التي توجد بين الظواهر الاجتماعية .

ومن اهم طرق هذا المنهج هي الملاحظة العلمية **(Observation)** وتعد هذه الطريقة المنظمة مورداً خصباً للحصول على المعلومات والبيانات التي تتصل بالسلوك الاجتماعي .

ان الباحث في هذا المنهج يهتم بدراسة الوضع الحالي للظاهرة . ومن الضروري ان تتوافر للباحث اوصاف دقيقة عن الظاهرة قبل ان يتوصل الى حل المشكلة فيقوم الباحث بملاحظة الافراد والجماعات في المواقف الاجتماعية وبصورة مباشرة ومن ثم تدوينها ، ويتطلب ذلك اتباع وسائل دقيقة لتسجيل البيانات ومن امثلتها الاجهزة الصوتية ووسائل التصوير الفوتوغرافي والتسجيل الصوتي المرئي (الفيديوتيب) وكذلك الغرف الخاصة المزودة بحجاب الرؤية من جانب واحد .

ومن المفيد ان يتفاعل الباحث مع الجماعة المدروسة كأن يعمل معهم او يسكن معهم وذلك لكسب ثقتهم به مما يسهل الامر عليه .

ويفضل ان يكون هناك اكثر من باحث لدراسة الظاهرة وذلك للالمام بجميع جوانب الظاهرة ويشمل هذا المنهج على ،

١ ـ الدراسات المسحية
٢ ـ دراسات العلاقات المتبادلة .
٣ ـ الدراسات التطورية

١ ـ الدراسات المسحية :

وهي محاولات لجمع اوصاف مفصلة عن الظاهرة بقصد استخدام البيانات لتأييد الظروف او الممارسات الراهنة . او لعمل تخطيطات اكثر ذكاء بغية الوصول الى تحسين الظروف والعمليات الاجتماعية مثلاً . ويكون الهدف من ذلك كشف الوضع القائم وتحديد كفاءته عن طريق مقارنته بمستويات او معايير او محكات ثم اختيارها او اعدادها وقد تكون هذه الدراسات على نطاق ضيق او واسع فقد تشمل دراسة جماعة صغيرة او طبقة صغيرة او طبقة اجتماعية او مجتمع .

وعلى الباحث ان يختار عينة البحث بطرق احصائية ممثلة للمجتمع الاصلي ، ويستخدم الباحث الادوات كالاستبيانات او المقابلات لهدف التوصل الى آراء الافراد في موضوع ما .

٢ ـ دراسات العلاقات المتبادلة : وهناك ثلاثة انماط وهي ،

آ ـ دراسة الحالة :

وتمثل نوعاً متعمقاًمن البحث عن العوامل التي تسهم في فردية وحدة اجتماعية ما ، شخصاً كان او اسرة او جماعة او مؤسسة اجتماعية او مجتمعاً محلياً . فمن خلال استخدام عدد من ادوات البحث تجمع بيانات عن الوضع القائم للوحدة ، والخبرات الماضية والعلاقات مع البيئة وبعد النظر في العوامل والقوى التي تحدد سلوكها بعمق ومن ثم تحليل النتائج يستطيع الباحث ان يكون صورة شاملة متكاملة

للوحدة كما تعمل في المجتمع . وما دام الفرد يعيش في نطاق اجتماعي فان دراسة الحالة يجب ان تتضمن معلومات عن الجماعة والتفاعل الاجتماعي والادوار والمعايير الاجتماعية ... الخ .

ب ـ الدراسات المقارنة :

وهي تدرس اسباب الظاهرة الاجتماعية فالباحث هنا يبحث عن العلاقات واوجه الشبه والاختلاف بين المواقف العديدة ويصف العوامل التي تكمن وراء الظاهرة .

جـ ـ الدراسات الارتباطية :

وتركز على استخدام الطرق الارتباطية التي تستهدف الى استكشاف حجم العلاقات بين البيانات ونوعها اي ، الى اي حد يرتبط متغيران ، او الى اي حد تتطابق متغيرات في عامل واحد مع متغيرات في عامل آخر . وقد ترتبط المتغيرات مع بعضها البعض ارتباطاً تاماً او ارتباطاً جزئياً موجباً او سالباً . ذا دلالة احصائية او يرجع الى الصدفة ... الخ وهكذا تفيد الطرق الاحصائية لحساب معاملات الارتباط ودلالتها في هذا المجال فائدة كبيرة . وتخدم هذه الدراسات عدداً من الاغراض وخاصة في دراسات التنبؤ والسبب والاثر .

٢ ـ الدراسات التطورية :

وتتناول الوضع القائم للظاهرات والعلاقات المتداخلة مع بعضها البعض وكذلك المتغيرات التي تحدث نتيجة لمرور الزمن ، فهي تصف المتغيرات في مجرى تطورها خلال مدة زمنية معينة وترصدها وتحللها . وان اوضح الدراسات التطورية دراسات النمو كما في دراسة النمو الاجتماعي مثلا ويتبع في ذلك احدى الطريقتين :

الطريقة الطولية او الطريقة المستعرضة :

ففي الطريقة الطولية يدرس نفس المجموعة من الافراد ولفترة زمنية طويلة تحدد من قبل الباحث .. وهذه الطريقة لها فوائد كبيرة في معرفة فيما اذا كانت بعض الخصائص ثابتة خلال فترات طويلة ام انها عرضة للتغير بالاضافة الى تعيين الاوقات التي يحصل فيه بعض التغيرات بصورة دقيقة .. وهذا لايعني ان ليس لها سلبيات ، فمن سلبياتها انها تحتاج الى وقت طويل قد يمتد عشر سنوات او اكثر بكثير . كما انها تحتاج الى جهود مضنية وصبر طويل من قبل الباحث حتى يحصل على النتائج . وكذلك فانها عرضة لمتغيرات دخيلة كمرض احد الافراد او موتهم او فقدان روح التعاون بينهم وبين الباحث .

اما الطريقة المستعرضة فتعني دراسة الظاهرة او مجموعة من الافراد في قطاع عرضي من الزمن في سلم النمو . وتتميز هذه الطريقة بسرعتها في الحصول على النتائج وسهولة استخدامها وتعتمد هذه الطريقة على الاختبارات الجماعية وعلى الاستبيانات وطرق القياس النفسية والادوات المختبرية الاخرى .

ومن الجدير بالذكر يفضل الباحثون استخدام الطريقتين عند دراسة نمو الظاهرة . (٢٨ ص ٤٤ ـ ٥٣)

المنهج التأريخي :

وهو المنهج الذي يدرس الاحوال او الاحداث التي جرت في الماضي . ويحاول الباحثون احياء خبرات المجتمع البشري الماضية فيجمعون الحقائق ويحللونها ومن ثم يفسرونها .

ويهدف الباحث الى التحقق من معنى الحقائق القديمة ووصفها . فهو يقيم الدراسات السابقة التي تعالج مشكلته . والادوات والاجراءات التي استخدمها السابقون والتي تعالج نفس مشكلته والنتائج التي توصل اليها قبله .. ولكن طبيعة مشكلته تتطلب منه تطبيق قواعد واساليب خاصة وصياغة الفروض .

وفي جمع المادة العلمية فان الباحث يلجأ الى المصادر الاولية مثل الوثائق والمحاضر الرسمية وكذلك يلجأ الى السجلات الشخصية والمصورة والموارد المنشورة ويلجأ كذلك الى الاثار المادية المطبوعة او المخطوطة .

ويمثل نقد المادة العلمية خطوة هامة من خطوات هذا المنهج ، ففي النقد الخارجي يطلب التأكد من صدق المادة العلمية ، ويجب الحرص من خطر الاخطاء والحشو والاكمال . وفي النقد الداخلي يجب التأكد من معنى المادة العلمية وصدقها وقراءة الوثائق بعين مؤلفها ومدى الثقة في المؤلف كحجة ، وهل يوجد تناقض او ثغرات او اختلاف في موارد المادة .

المنهج السوسيومتري :

ان الاختبار السوسيومتري هو اداة لتقدير التجاذب والتنافر داخل جماعة معينة . يشمل عادة كل اعضاء الجماعة وتتطلب من كل منهم ان يختار ـ على انفراد ـ عدد من الاشخاص الاخرين من الجماعة ، الذين يود ان يشاركهم في نشاط معين . وعددا من الاشخاص الذين لا يود ان يشاركهم في هذا النشاط . وقد ابتدع (مورينو) هذا المنهج ووضع الشروط التي يجب ان تتوافر في هذا الاختبار وهي :

١ ـ توضيح حدود الجماعة ، فيجب ان يفهم الاشخاص طبيعة الجماعة .
٢ ـ السماح للاشخاص باختيار او نبذ عدد غير محدود من الاشخاص كما يشاؤون .
٣ ـ تحديد محك الاختيار او النبذ ، اي تحديد النشاط الذين يود الشخص ان يشارك ، او لا يشارك فيه الاشخاص الاخرين ، كما يجب ان يكون هذا النشاط ذا معنى دلالة بالنسبة للاشخاص .
٤ ـ استخدام نتائج الاختبار السوسيومتري في اعادة بناء الجماعة ، فيجب ان يعرف الاشخاص ان اختياراتهم الايجابية او السلبية سوف تلعب دوراً هاماً في تحديد الاشخاص الذين يشاركونهم في النشاط المعين .
٥ ـ كفالة السرية التامة في الاختيار .
٦ ـ ملائمة الاسئلة المستخدمة لمستوى فهم اعضاء الجماعة .

وتكون طريقة الاستبيان عادة مناسبة للراشدين والاطفال الكبار ، بينما يكتفي في حالة الاطفال الصغار الذين يجدون صعوبة في الكتابة بالتعبير الشفهي عن اختياراتهم . اما بالنسبة للاطفال الصغار جداً ، والذين يعجزون عن التفاعل اللغوي بدرجة مناسبة فان الاسئلة السوسيومترية قد تكون عديمة المعنى بالنسبة لهم . وقد يكون من الاجدى استخدام وسائل اخرى مثل الملاحظة (٤ ـ ص ٤٤٤ ـ ٤٤٥)

كما ان حجم الجماعة يجب الا يزيد عن الحد الذي يعوق التفاعل بين الاعضاء واخيراً يجب ان يكون بناء الجماعة من نوع يسمح بامكان اعادة بنائها طبقاً

لنتائج الاختبار السوسيومتري ، وفي بعض الحالات قد يتعذر اعادة بناء الجماعة طبقاً لنتائج الاختبار السوسيومتري ، بسبب طبيعة بناء الجماعة او طبيعة محك الاختيار . وعلى الرغم من ان الوضع يزداد اذا امكن استخدام النتائج الا انه من الممكن ان يدقق الافراد في اختيارهم حتى اذا لم يتوقعوا فائدة مباشرة منها . علماً بأن تحديد عدد الاختيارات لا يتجاوز الثلاث اختيارات وذلك لتحديد الزمن الذي يستغرقه الاختيار والتخلص من الحرج وسهولة التحليل الاحصائي .

كيف يطبق الاختبار السوسيومتري :

يتوقف صدق نتائج الاختبار جزئياً على الطريقة التي تصاغ وتقدم بها الاسئلة ، وعادة يطلب من الاشخاص كتابة اسمائهم في اعلى بطاقات تعطى لهم لهذا الغرض ، ثم رسم خط تحت الاسم ، وكتابة اسماء من يفضلون مشاركتهم في الموقف المعين مرتبة تحت الخط السابق . والمثال التالي (لجينجز) مع بعض التعديل عليه ـ نموذج لما يمكن ان يوجهه مدرس مثلاً ، الى طلاب صف في مدرسة ثانوية ، « سوف تحتاج الى تكوين لجان للعمل ولدراسة مختلف المشكلات في مادة ... كل واحد منكم يعرف بالطبع الاشخاص الذين يود ان يعمل معهم في هذه المادة ، اكتب اسمك في اعلى الصفحة ، ثم اكتب الارقام ١ ، ٢ ، ٣ في الخطوط التي تلي الاسم . امام (١) اكتب اسم الزميل الذي تفضل ان تعمل معه اكثر من غيره ، واما (٢) اكتب اسم الزميل الذي يليه من حيث تفضيلك له ، واما (٣) اكتب اسم الزميل الذي يلي (٢) من حيث تفضيلك له . سوف اكوّن اللجان بحيث يكون مع كل واحد منكم زميل او اكثر ممن اخترتهم . ويمكنك ان تختار زميلا من الزملاء الغائبين اليوم اذا اردت » .

ومن المهم ان يقدم الاختبار باهتمام وشيء من الحماس ومن غير تكلف بقدر الامكان . كما يجب اعطاء الوقت الكافي ، مع تحديد الزمن الذي تتم فيه الاجراءات الفعلية المترتبة على نتائج الاختبار . ومن الضروري ان يشعر من يطبق عليهم الاختبار بالاطمئنان الى ان نتائج اختباراتهم سوف لن يعرفها احد غيره (٤ ـ ص ٤٤٧ ، ٤٤٩) .

تحليل البيانات :

الخطوة الاولى في التحليل هي تفريغ الاختبارات الايجابية والسلبية التي يتلقاها كل فرد في الجماعة في جدول يسمى « جدول تفريغ الاختبارات السوسيومترية » او المصفوفة السوسيومترية وقد حاول بعض الباحثين استنباط اجراء ادق للحصول على الدرجة ، وذلك عن طريق اعطاء دور معين لكل اختبار . ويمثل عادة للاختبارات عن طريق رسم مايسمى (السوسيوجرام **(Sociogram** كما يتضح في الشكل الاتي (٤ ـ ص ٤٥٤) .

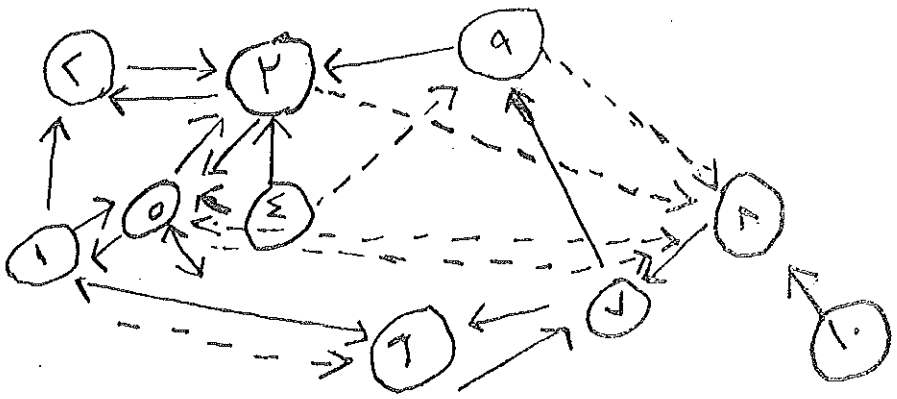

وليست هناك طريقة مقننة لرسم السوسيوجرام فاذا كانت الجماعة تتكون من فئات مختلفة مثل الذكور والاناث. او من مستويات اقتصادية مختلفة... الخ فانه يرمز لافراد كل فئة بشكل خاص . فمثلاً قد يشار الى البنات بدوائر مختلفة والى البنين بمثلثات .

واذا اريد توضيح الاتصال بين افراد الفئات المختلفة ، يجمع كل فئة في جانب من جانبي السوسيوجرام ، فمثلاً قد ترسم المثلثات كلها الى اليمين ، والدوائر الى اليسار . وفي كل فئة يكتب اسم الفرد الذي يذكر اسم اكبر عدد من المرات في الرمز او الشكل الاوسط ، ثم تكتب اسماء من يليهم بالترتيب بعد هذا الزمن يحسب عدد المرات التي تذكر فيها اسماؤهم . وبحيث تذكر اسماء من لم تذكر اسماؤهم اطلاقاً او من ذكرت اسماؤهم مرات قليلة في الرموز البعيدة عن الوسط . ويمثل للاختبارات بين الافراد بخطوط ترسم بين الرموز . ويمثل للاختبارات في اتجاه واحد بخط

يبدأ من الشخص القائم بالاختبار برسم يشير الى الرمز الذي يمثل الشخص المختار اما الاختبار المتبادل ، فيمثل له بخط بين الرمزين تتوسطه نقطة دائرية سوداء ينتهي او لا ينتهي بسهم في كل من الطرفين او يمثل له بخطين ينتهي كل منهما بسهم في عكس اتجاه الآخر . اما الاختبارات السلبية سواء كانت في اتجاه واحد ام متبادلة ، فانه يمثل لها بنفس الطريقة ولكن بخطوط متقطعة ، او ملونة . ويمثل للاشخاص الغائبين بدوائر او مثلثات متقطعة او ملونة . ويفضل البعض ان تنحني الخطوط بحيث تتجاوز الرموز التي تقف في طريقها دون ان تخترقها .

لقد وجه كثير من النقد الى السوسيوجرام نظراً لعدم توحيد طرق الرسم ولصعوبة قراءته في كثير من الاحيان . وقد حاول (بروكتور ولوميس) ضبط عملية الرسم كمياً ، وذلك عن طريق تقدير المسافة التي تفصل بين موضعين سوسيومتريين ، وهما يفترضان ان العلاقة بين الاشخاص تمتد على خط تنتشر عليه النقط التي يمثل كلاً منها نوعاً من تلك العلاقات .

قراءة البيانات وتفسيرها :

يعطينا كل من السوسيوجرام المصفوفة السوسيومترية معلومات هامة عن بناء الجماعة ، فهما يوضحان النمط العام للتنظيم ، وشبكة الاتصال والقوة النسبية لمكانة الاختبار (او النبذ) بالنسبة للافراد وتمتد انماط العلاقات السوسيومترية التي يمكن ان يكشف عنها السوسيوجرام او المصفوفة السوسيومترية ومن هذه الانماط كما موضح في الشكل السابق :

الاختبار المتبادل :

اي تبادل الاختبار بين فردين قد يتساوى توزيعها على جانبي قطر المصفوفة كما هو الحال بين الازواج ٢ ، ٣ ، ٣ ، ٥ ، ١ ، ٥ .

٢ ـ نبذ متبادل :

اي تبادل النبذ بين فردين . كما هو الحال في ٥ ، ٨ .

٣ ـ زوج غير متكافىء :

فرد يختار فرداً اخر ، ولكن الاخر ينبذه او يتجاهله . او ان الاثنين يتجاهل كل منهما الاخر . كما هو الحال في الفردين ١ ، ٦ و ١٠ ، ٨ أو ٧ ، ٤ .

٤ ـ سلسلة النبذ :

فردان ينبذ كل منهما الاخر . ويتبادل احدهما النبذ مع ثالث وهذا الثالث يتبادل النبذ مع رابع .. وهكذا ، ومثل هؤلاء الافراد يغلب عليهم التشكك والنزعة الى تصيّد اخطاء الاخرين والكشف عنها .

٥ ـ سلسلة الاختبار :

فردان يتبادلان الاختبار ، واحدهما يتبادل الاختبار مع ثالث وهذا الثالث يتبادل الاختبار مع رابع ... وهكذا ويمثل هذا النمط روابط انفعالية غير مقطوعة داخل الجماعة ، ولها تاثير بالغ مع تكوين الاتجاهات الجماعية .. والسلاسل القصيرة التي يربطها اختبار في اتجاه واحد . مع تداخل قليل بين السلاسل ، تدل على ان افراد الجماعة لم يعطوا الفرصة الكافية للتعارف . وعلى العكس من ذلك السلاسل التي تتداخل صلاتها وتتعدد اختباراتها المتبادلة فانها تدل على بناء متكامل للجماعة ، وهلى انتشار القيادة نتيجة للاتصال الجيد والفهم المنتشر بين افراد الجماعة (٤ ـ ص ٤٥٦ ، ٤٥٧) .

٦ ـ مثلث النبذ :

ثلاثة افراد يتبادلون النبذ ، وقد يدل ذلك على الغيرة والاحتجاج على محاولة احدهم السيطرة على الجماعة ... الخ .

٧ ـ مثلث الاختبار :

ثلاثة افراد يتبادلون اختبار .

٨ ـ مربع النبذ :

اربعة افراد يتبادلون النبذ ، وهو نمط نادر وربما كان ذلك راجعاً الى انه يمثل تبادل النبذ بصورة مركزة لدرجة يتفكك البناء بمجرد تكونه .

٩ ـ النجم :

استخدم (مورينو) هذا الاصطلاح للدلالة على مختلف صور الشعب والقيادة . الا ان (لندزي) استخدم اصطلاح الشخص الحائز على كثير من الاختبارات « اي الشخص يتلقى عدداً كبيراً من اختبارات الاعضاء،وان يشمل هذا الاصطلاح انماطاً عديدة والا تحدد بالنمط الذي حدده . (مورينو) فقط .

١٠ ـ العزلة :

تأخذ العزلة صوراً عديدة فقد تكون عزلة بسيطة وهي التي لايكون فيها الفرد موضع اختيار او نبذ . كما انه من جانبه لايختار ولا ينبذ احداً . وقد يختار الفرد افراداً خارج جماعته . ولكنهم لايختارونه . كما ان اعضاء جماعته لايختارونه وقد يختار الفرد احداً من جماعته ولكنهم يتجاهلونه . وقد تكون العزلة على صورة مثلث يتكون من ثلاثة افراد يتبادلون الاختبار ولكن الجماعة تنبذهم .

ويمكن عن طريق تحديد الجماعات ذات الصلات الوثيقة بين اعضائها ان تسهل عملية تفسير السوسيوجرام . وذلك عن طريق وضع هذه الجماعات الفرعية بعيدة بعض الشيء عن بقية الافراد .

ففي الشكل السابق يمكن القول (بان الاعضاء ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ يجب ان يعطوا فرصة كافية للتعاون معاً . وكذلك يجب ان يعطي العضوين ٦ ، ٧ هذه الفرصة ايضاً . كما يمكن القول (بان العضو (٨) يجب ان يعمل مستقلاً او مع العضو (١٠) . وان العضو (٩) يمكن ادماجه في الجماعة (١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥) . ولكن الافضل ادماجه مع العضوين ٦ و ٧ . (ص ٤٥٨ ـ ٤٥٩) . ومن المهم جداً مراعاة عدم استخدام المعلومات المستقاة في اختبار سوسيومتري في تقسيم الافراد في اي موقف اخر غير الموقف الذي قصده الاختبار . حيث ان الاختبارات قد تختلف من موقف لاخر .

لقد اقبل كثير من الاختصاصيين في ميادين متعددة على استخدام الاختبارات السوسيومترية بسهولة ترجمة نتائج هذه الاختبارات الى توصيات عملية . فقد استخدمت في مجال التربية والصناعة والجيش والعلاج النفسي والخدمة الاجتماعية والمكانة الاجتماعية ومستوى الروح المعنوية . والشخصية وبناء الجماعة . والتوافق الاجتماعي والقيادة .

كما ان انصار « السوسيومترية » يرون ان مشكلة ثبات الاختبار السوسيومتري لاجود لها . لانهم يفترضون ان الاختبار يعكس التغيير الحادث في بناء الجماعة وفي مكانات الافراد بعد فترة من الزمن . فاذا اعطى الاختبار نفس النتائج على فترات مختلفة . كان ذلك داعياً للتشكك في الاختبار وليس دليلاً على ثباته . ولكن يجب التمييز بين ثبات تفسير البيانات (اي مدى الثبات في وصف الباحثين المختلفين وتفسيرهم للبيانات نفسها) وبين ثبات البيانات نفسها .

اما الصدق فيتوقف على نوع الصدق المقصود . فمن الواضح ان هذه الاختبارات تمتاز بالصدق الظاهرى . اي انها تقيس ظاهرياً الاختبارات بين الاشخاص . او على الاقل الاختبار اللفظي الا ان من المحتمل برغم ذلك ان يختار لسبب او لاخر (مثل عدم الشعور بالامن او النقص في الثقة بالاخرين .. الخ) اشخاصاً غير اولئك الذين يودون فعلاً التفاعل معهم في مواقف معينة . وقد لا يجد الافراد الدوافع الكافية لمراعاة الدقة في اختباراتهم نتيجة عدم الاهتمام بالموضوع . او نتيجة عدم توفر الوقت في حالة توجيه اسئلة كثيرة مثلاً .

اما عن الصدق العملي (أي وجود ارتباط مرتفع بين الاختبارات السوسيومترية) وبين محكات اخرى مثل التعصب العنصري او الديني او الاختبار الفعلي في مواقف الحياة .. الخ) فان عدم وجود ارتباط لا يدل بالضرورة على عدم صدق الاختبار السوسيومتري .

المنهج العلاجي :

ان العلاج النفسي ضرب من العلاج الذي يستخدم في الصلات الشخصية بين المعالج والمريض . وهذا العلاج وكل علاج يستند الى ظاهرة الجماعة . ولكن مثل هذا العلاج النفسي لا يمكن ان يعد علاجاً جماعياً بالمعنى الدقيق للكلمة فلابد لذلك من جملة معالجين وجملة مرضى . واحياناً يكون العلاج الجماعي مجرد تكاثر وتعدد العلاج الفردي . مع ان العلاج يحتاج في الواقع . لكي يكون علاجاً الى قيام صلة ما بين المعالج والمريض . ولكي يكون علاجاً جماعياً ينبغي قيام الصلات بين المرضى . ان هذا المنهج يوفر فرصاً للافراد للتعبير عن ذواتهم ومعرفتها والكشف عنها . وقد تستخدم هذه المواقف فرصاً لتحليل دينامية الجماعة . هناك انواع مختلفة من الجماعات فهناك جماعة العمل او الجماعة الفنية ولها اعمال خاصة . وقدرة على التعاون . واساليب للتنظيم والادارة وما شابه ذلك بحيث توفر اطاراً صالحاً للعمل

وهناك جماعات اخرى تؤثر فيها العوامل الانفعالية تأثيراً ملحوظا بحيث تعطل وظائفها العملية . ومن بين المفاهيم التي يقدمه لنا (بيون) مفهوم « عقلية الجماعة » وهو تعبير اجتماعي عن ارادة الجماعة ، يسهم فيها الفرد بطرق لا يعيها ، ويتعرض الفرد لسخط الجماعة كلما فكر او سلك طريقة تخالف السلم الاساسي لها .

ومن بين الصور الي يتخذها العلاج الجماعي السيكودراما التي ابتدعها (مورينو) . ويهدف هذا الاسلوب الى انماء المهارات واكساب الافراد البصر في مجال العلاقات الاجتماعية الانشائية عن طريق تمثيل المواقف التي تعبر عن مشكلات الحياة الواقعية . ففي السيكودراما يزداد الاهتمام بمشكلة فردية . اما في السوسيودراما فيزداد الاهتمام بما هو مشترك في الادوار الاجتماعية لفرد مع الاخرين اي يزداد الاهتمام بالناس في تفاعل ادوارهم الثقافية ، وكيف تدرك تلك الادوار ، وكيف تنفذ وكيف تتغير باتفاقها او بصراعها مع الادوار الثقافية الاخرى في الموقف الاجتماعي نفسه ، او في موقف مختلف وبعبارة اخرى تعالج السوسيودراما مشكلات تكمن في موقف جماعي ويشارك في الدراما النفسية بطل الرواية او المريض او مدير المسرحية او المعالج الرئيسي ، والاشخاص الاخريت الذين يقومون بادوار غير رئيسية في الجماعة ويعرض بطل الرواية اما مشكلة خاصة به او مشكلة خاصة بالجماعة ، ويساعده الاخرون على بعض دراما الشخصية او الجماعية في الحياة وعلى تصميمها . وتشكل الخبرات السيكولوجية لبطل الرواية تشكيلاً لاتسمح به ظروف الحياة العادية ..

ومن المهم ان يكون الموضوع سواءاً كان شخصياً ام جماعياً مشكلة يشعر بها المشتركون في المسرحية والقائمون بالادوار شعوراً حقيقيا ويجب ان يمثل المشتركون خبراتهم تمثيلاً تلقائياً ، على الرغم من تكرار الموضوع كثيراً مايكون له قيمة علاجية . ويجب ان يقوم المساعدون او الاعضاء الاخرون بدورهم الهام ، وذلك لان مسئوليتهم هي ان يعملوا بالمستوى العلاجي للمسرحية الى اقصى مستوى ممكن .

ويتضح مما سبق ان لهذه الاساليب امكاناتها في دراسة السلوك الاجتماعي والاتجاهات الاجتماعية وكذلك استخدامها في اثارة اهتمام الجمهور ، او في التعريف بمشكلة معينة . ولذلك عم استخدامها في معاهد التعليم ، وفي برامج النهوض بالمجتمع المحلي ، وفي الصناعة وفي بحوث سيكولوجية فضلاً عن العلاج النفسي .

سنتناول عدداً متنوعاً من الاساليب التي تستخدم في دراسة السلوك الاجتماعي وبصورة موجزة وهذا لايعني ان هذه الاساليب اقل اهمية من غيرها ، و لكن لان هذه الاساليب لها صلة بالاساليب التي نوقشت واشتراكها في كثير من اسسها واوجه استخدامها ..

قياس القيم :

يقتصر استخدام كلمة « القيم » في علم النفس الاجتماعي على الاهداف التي تكون موضوعات لاتجاهات شاملة . ودراسة القيم امر صعب لانه لايوجد شخصان لديهما نفس التنظيم للاتجاهات . الا ان بعض الدراسات مثل دراسة « البورت وفرنون » تشير الى ان بعض الناس يستجيب لمدى متنوع من المواقف في ضوء قيمة مركزية والقصد من هذه الدراسات ليست تأكيد مايجب ان يكون لدى الناس من قيم ، بل الكشف عن الاتجاهات الشاملة التي تنظم في الواقع حول قيم مركزية .

كما ان الكثير من الدراسات اوضحت وجود نظم مشتركة للقيم داخل كل مجتمع ، واختلافها من مجتمع لاخر .

كما ان هذه القيم المركزية ، تكون كأطار مرجعي مشترك في مواقف متعددة ، بحيث توقف بين الاتجاهات المختلفة في نظام متكامل . ومن الممكن ان تطلق على هذا الاطار اصطلاح الاطار المرجعي السائد « لانه يكون ابرز في تأثيره من غيره .

وتشترك مقاييس القيم في بعض الجوانب مع مقاييس الاتجاهات كما تختلف عنها في جوانب اخرى . ومن ابرز مقاييس القيم المقياس المعروف « بدراسة القيم » وقد اعده فرنون والبورت عام ١٩٣١ ، وراجعه البورت وفرنون ولندزى عام ١٩٥١ . وقد قنن المقياس على عينات من طالبات الجامعة وطلبتها ويهدف الى الحصول على صفحة نفسية توضح الارتفاع او الانخفاض النفسي للدرجات على ست قيم (او اتجاهات تقويمية عامة)وهذه القيم :

١ ـ القيمة النظرية :

وتتميز بالكشف عن الحقيقة ، والشخص النظري يسعى وراء التشابه والاختلاف بين الاشياء دون النظر الى المنفعة او الى الجمال فيها . ويقنع بالملاحظة والتفكير اي ان غايته هي البحث عن المعرفة وتنظيمها .

٢ ـ القيمة الاقتصادية :

وتتميز بالاهتمام بالنتائج العملية والفوائد المرتقبة فالشخص يتميز باهتمامه بما هو مفيد فهو يهتم بالشؤون العملية في عالم التجارة والانتاج والتسويق وجمع الثروة وكثيراً ماتتعارض هذه القيمة مع غيرها من القيم. والرجل الاقتصادي يكون في علاقاته مع الناس يهتم في الغالب بان يتغلب عليهم في الثروة .

٣ ـ القيمة الجمالية :

يسعى الشخص الجمالي وراء الشكل والتناسق اي ان اهتمامه الرئيسي ينصب على الجانب الفني في الحياة . والقيمة الجمالية على النقيض من القيمة النظرية . فالاولى تهتم بالتنوع والاختلاف والثانية بوحدة الخبرة . الشخص الجمالي يعد الحقيقة معادلة للجمال او انها اهم الحقيقة وهو ينزع الى الفردية والاكتفاء الذاتي .

٤ ـ القيمة الاجتماعية :

وهي في نظر (شيرانجر) قيمة عامة جداً تتضمن حب الناس في اي صورة، الا ان البورت وفرنون اللذين اخذا المقياس وجدا انه من الصعب التسليم بهذا المفهوم العام للقيمة الاجتماعية . ، فالناس تختلف صور الحب لديهم ، فقد يحب الفرد اسرته مثلاً ، دون ان يكون بالضرورة محسناً للغير، ولذلك فقد اقتصرا في اعداد المقياس على تعريف القيمة الاجتماعية بانها الغيرية وعمل الخير . والشخص الاجتماعي يكون عطوفاً مشاركاً للاخرين في افراحهم واحزانهم وغير انانيي . وهو يرى في القيم النظرية الاقتصادية والجمالية ابتعاداً عن الانسانية .

٥ ـ القيمة السياسية :

لايقتصر الاهتمام على المجال الضيق للسياسة قد يمتد الى كل المجالات والمهن . ان بعض الاشخاص تقوى لديهم الرغبة في التعبير بصورة مباشرة عن دوافعهم فيسعون قبل كل شيء وراء قوة الشخصية والتأثير في الاخرين .

٦ ـ القيمة الدينية :

الوحدة هي اعلى القيم بالنسبة للرجل الديني ، وبعض رجال الدين يرى في كل حدث في الحياة شيئاً مقدساً . الا ان بعضهم يسعى وراء توحيد ذاته اي ان يخبر الوحدة عن طريق انكار الذات .

ويؤكد (شيرانجر) ان الانسان لاينتمي بصورة خالصة الى واحد او آخر من هذه الانواع للقيم ، وان الصور السابقة هي في تقديره الانواع النموذجية » .

ويعترف (البورت وفرنون ولندزى) انه اذا كان هناك ضعف في الاختبار فهو راجع اساساً الى الضعف في النظرية التي اعد الاختبار على اساسها ان مجالات استخدام الاختبار متعددة منها في التوجيه التربوي والمهني ، وفي اختبار الزوج او الزوجة ، وفي علاج بعض الشكلات النفسية . كما يستخدم لدراسة الفروق بين الجماعات المهنية والدينية والطبقات الاجتماعية والاقتصادية (٤ ـ ص ٤٩٦ ـ ٥٠١)

اختبار الذكاء الاجتماعي :

بدا الاهتمام بهذا الاختبار في مجال اختبار الاشخاص لتولي الاعمال التي تتطلب القدرة على تكوين علاقات انسانية طيبة مثل الاداريين ، والباعة في المجال التجارية واعمال السكرتارية .. الخ ومن اشهر الاختبارات في هذا المجال الاختبار الذي اعده (موسى وهنك واموبك) بجامعة جورج واشنطن بامريكا باسم « اختبار الذكاء الاجتماعي » وقد نقلت الصيغة المختصرة الى العربية بوساطة الدكتور محمد عمادالدين اسماعيل وسيد عبدالحميد مرسي (١٩٥٩) وتحتوي على قسمين هما التصرف في المواقف الاجتماعية ، وملاحظة السلوك الانساني . وقد طبق على ٣٠٠ طالب وطالبة ممن اكملوا الدراسة الثانوية وممن تقدموا للالتحاق بمعاهد السكرتارية وبعض الاعمال الاخرى التي تتطلب الاتصال بالاخرين والتعامل معهم .

والاعتراض الذي يوجه غالباً على استخدام مثل هذا النوع من الاختبارات هو انها ترتبط ارتباطاً مرتفعاً مع اختبارات الذكاء . لذا فان الامر يحتاج الى مزيد من البحوث للتحقق مما اذا كانت اختبارات الذكاء الاجتماعي تقيس شيئاً غير ماتقيسه الاختبارات المالوفة للذكاء . (٤ ـ ص ٥٠٨ ـ ٥٠٩)

الوثائق الشخصية :

الميزة الاساسية لاستخدام الوثائق الشخصية في الدراسة العلمية للسلوك الاجتماعي هي انها تيسر لنا ان نرى الناس كما يرون انفسهم . وفي حدود هذا الهدف ، يحسن ان تتوافر لتلك الوثائق شروط معينة منها ان تكون وثائق قام بكتابتها الاشخاص انفسهم وبدافع تلقائي من جانبهم ، او على الاقل اذا لم يتيسر تحقيق ذلك فانه يجب التأكد من ان مادة الوثيقة نفسها تتحدد بشخصية الكاتب وحده وليس نتيجة لعوامل اخرى . كما ان الوثيقة يحسن ان تركز على الخبرات الشخصية لكاتبها . وفي هذا المعنى ان هذه الوثائق لاتشمل مادة المقابلات حتى اذا كانت غير مقننة .

ان هذه الوثائق تكشف في مجال الخبرات الداخلية للاشخاص ماتكشف عنه اساليب الملاحظة في مجال السلوك الظاهر ، اي انها تكشف للباحث عن الحياة التي كان يعيش فيها الشخص دون تدخل من الباحث ..

والباحث في مثل هذه الدراسات ، يجب ان يهتم بالتاكد من صدق الوثائق الشخصية ، اي عدم تعرضها للتحريف الناتج عن خداع الذات او ضعف الذاكرة .. الخ كما انه لايجوز للباحث ان يعمم من هذه الوثائق خارج حدود من قاموا بكتابتها . الغالب ان مثل هذه الدراسات لاتهدف لاغراض احصائية ولكنها تسعى وراء الاستطلاع والوصف اكثر مما تسعى للتحقيق من الفروض . ويحسن الجمع بين هذا الاسلوب وغيره من اساليب الدراسة لغرض التكامل . (٤ ــ ص ٥١٠) .

الفصل الرابع

التنشئة الاجتماعية
عملية التنشئة الاجتماعية

- النمو اجتماعي من الطفولة الى الشيخوخة
- الذات ومفهوم الذات
- دور الاسرة
- دور المدرسة
- دور جماعة الرفاق

التنشئة الاجتماعية

يعد بعض علماء النفس الاجتماعي ان عملية التنشئة الاجتماعية هي محور المادة الدراسية لهذا العلم .

ان عملية التنشئة الاجتماعية هي عملية موضوعية حيث يعمل المجتمع بمقتضاها فيؤثر على الفرد فيصبح بموجبها ومن خلالها متلائما مع حضارته بطرق منظمة . وهي بهذا عملية نقل الحضارة من الاجيال السابقة الى الحاضرة ثم ايصالها الى المستقبل وهي ايضا عملية لتطوير المهارات والاساليب التي يحتاجها الفرد لتحقيق اهدافه وطموحاته في الحياة السليمة في مجتمعه . والتنشئة تبعا لذلك هي تشكيل الفرد عن طريق ثقافته حتى يتمكن من الحياة في هذه الثقافة . ولكل ثقافة من الثقافات طابعها الخاص الذي يميزها من غيرها من الثقافات وتحاول كل ثقافة طبع افرادها بطابعها ولكن على الرغم من ذلك نجد اختلافات بين الافراد في الثقافة الواحدة نفسها تحتمها البيئة الجغرافية والاجتماعية . ان هدف التنشئة الاجتماعية ينبغي ان يحدد من قبل المجتمع ونموذجا للشخص مرغوبا به وعليه العمل بموجبه . والاسرة هي الوحدة الاجتماعية التي تمثل المجتمع وهي المسؤولة عن اعداد الطفل لثقافته فهي التي تنقل اليه الاراء والافكار والمعتقدات والقيم والعادات السائدة في مجتمعه ، اضافة الى هذا فان الطفل سيتعرف على الادوار الاجتماعية والاتجاهات المؤيدة لها وكيفية تنسيقها مع ادوار الاخرين وكذلك يتعرف على المهارات التي تساعده على المشاركة في المنظمات الاجتماعية ، ثم ياتي دور المدرسة التي ستساعده على اكتساب الخبرات واعداده لحياة الجماعة . فالفرد يتعلم عن طريق قيامه بعمليات فرعية ضمن عمليات التنشئة الاجتماعية التي من اهمها عمليات التفكير او المحاكاة والايحاء والمناقشة . فالطفل يقلد الكبار وخاصة الوالدين فهم المثل الاعلى له . اما الايحاء فيكون بطريق مباشر عن طريق الاقتناع او عن طريق غير مباشر فسماع الطفل من اهله حب الوطن والاخلاص له سيترك في شخصيته اثرا عميقا . اما المنافسة فهي الحث عن طريق عدة اشخاص يتنافسون فيما بينهم للتعلم وتتضمن الرغبة في الحصول على الثواب والابتعاد عن العقاب ان هذه الطرق تشكل حياة الفرد منذ السنوات الاولى لطفوته لتحوله من مجرد كائن حي الى كائن بشري اجتماعي . ويرى (كاردنر) ان هذه الطرق او النظم مسؤولة عن تكوين الشخصية للافراد في ثقافتهم ، ويرى ان هذه النظم تشمل الخبرات وانماط السلوك المتصلة بالعناية بالطفل كالرضاعة ، والفطام ، والتدريب على الاستقلال ، والتصرف ازاء الانفعالات ، ومعاملة الكبار ، والتربية الجنسية

وهناك دراسات عدة قام بها العلماء لدراسة العادات المتصلة بهذه النظم في الثقافات المختلفة البدائية منها والمتحضرة وحاولوا في ضوئها الكشف عن مكونات الشخصية الأساسية كما حاولوا تفسير مايسود الثقافة من نظم كنظام الاسرة ، والزواج ، والطلاق ، والدين ، وما اليها مما يسمونها بالنظم الثانوية في ضوء الشخصية الاساسية . ويرون ان مثل هذه النظم الثانوية هي نتاج حتمي للشخصية الاساسية . يظهر لنا ان الفرد يولد وهو ليس بكائن بشري فقط بل تقوم الثقافة عن طريق الاسرة بتشكيل استعداداته وتنميتها وتوجيهها طبقا لنظم وعادات معينة .. فيمكن النظر اليه ككائن اجتماعي ايضا .

النمو الاجتماعي من الطفولة الى الشيخوخة :-

يكون الفرد عند ولادته مخلوقا غير اجتماعي . ولا يعير اهتماما للاشخاص المحيطين به مادامت حاجاته الجسمية مشبعة ، ولا يستجيب الوليد خلال الشهرين الاولين من الحياة الا للاشياء الموجودة في محيطه . وتحدث الاستجابة فقط عندما تكون المثيرات قوية ، كالاصوات العالية مثلا . ومع بداية الشهر الثالث ، يبدأ السلوك الاجتماعي بالتغلب .

يبدأ السلوك الاجتماعي عندما يظهر الوليد تمييزا بين الناس والاشياء الجامدة ويستجيب استجابة مختلفة لكل منها ، ففي هذه الفترة تقوم عضلات عينية بوضعية تمكنه من النظر الى الناس والاشياء ومتابعة حركاتهم ، كما ان سمعه يكون قد نما الى درجة تمكنه من التمييز بين الاصوات المختلفة .

وتحدث اولى استجابات الطفل الاجتماعية نحو الكبار ، لان احتكاكه الاجتماعي يبدأ معهم عادة . ويبكي الطفل في الشهر الثالث اذا ترك وحيدا ، ولكنه يسكت اذا تحدث اليه احد . ويمكنه ان يتعرف على امه او من يحيطون به ، ويظهر خوفه من الغرباء .

ومنذ الشهر الرابع تظهر لديه الرغبة في ان يحمله الاخرون ويركز انتباهه على الوجوه ، ويبتسم لمن يتحدث اليه .

ومنذ الشهر الخامس والسادس يميز الطفل بين الابتسام والزجر وبين صوت الرضا وصوت الغضب .

وفي الشهر الثامن او التاسع ، يحاول الطفل ان يقلد نطق بعض الكلمات والقيام ببعض الاشارات البسيطة . وفي الشهر الثاني عشر يمتنع عن القيام بعمل عندما ينادى عليه بـ لا ... وفي الشهر الخامس عشر يزداد ولع الطفل بالكبار ، كما تزداد رغبته في ان يكون معهم وان يقلدهم .

وفي عمر سنتين ، يستطيع القيام ببعض الاعمال البسيطة التي يطلبها منه الكبار .

وهكذا ، فانه خلال فترة قصيرة نسبيا يتحول الطفل الى عضو فعال يشارك في النشاطات الاسرية .

وتنمو استجابات الطفل الاجتماعية نحو الاطفال بسرعة خلال السنة الثانية . ففي الفترة مابين الشهرين ١٣ ـ ١٨ يقوم الطفل بتقليد طفل اخر في اللعب والابتسام . وينتقل اهتمامه من مواد اللعب الى الطفل الذي يلعب معه . وخلال النصف الثاني من السنة الثانية يعد الطفل مواد اللعب وسيلة لاقامة العلاقات الاجتماعية مع الاطفال الاخرين ، ويعدل سلوكه مع من يلعب معه . ويتعلم الطفل منذ نهاية السنة الثانية الى السنة السادسة كيف يقيم العلاقات الاجتماعية والتوافق مع الناس خارج البيت ، خاصة مع الاطفال ممن هم بمثل عمره . ويحدد حجم اتصال الطفل بالاطفال الاخرين في هذه الفترة مدى نموه الاجتماعي في المستقبل . لذلك فان الاطفال الذين تتوافر لهم فرصة الذهاب الى رياض الاطفال يحققون توافقاً اجتماعيا افضل ممن لاتتوافر لهم تلك الفرصة ويعد نوع الخبرات الاجتماعية التي يحصل عليها الطفل اهم من عددها .

كما ان الوقت الذي يقضيه الطفل مع الكبار يقل كلما تقدم في العمر ، ويزداد في نفس الوقت اتصاله باقرانه ويجد المتعة في وجوده معهم وتزداد رغبته في الاستقلالية عن الكبار . وقد اظهرت الدراسات ان الاطفال في مرحلة الطفولة المبكرة يزداد اتجاههم الايجابي نحو الاطفال الاخرين ويقل عدوانهم نحوهم كلما تقدموا في العمر .

بعد ان يدخل الطفل المدرسة الابتدائية ، فان دائرة رفاقه تنمو وتتوسع . ففي بداية الحياة المدرسية يدخل الطفل في مرحلة « جماعة اللعب » وهي مرحلة ينمو فيها الضمير الاجتماعي بصورة سريعة ، حيث يصبح الطفل عضوا في تلك الجماعة ، التي تحل بالتدريج محل الاسرة في التاثير على سلوكه واتجاهاته ويميل الطفل عادة

الى ان يختار اقرانه من نفس عمره وممن لديهم ميول تشابه ميوله (١٣ ـ ص١٣٠ ـ ١٣٣) .

ان اهم متطلبات النمو في هذه الفترة ، هو ان يكون الطفل قد حقق درجة جيدة من النجاح في عملية التطبيع الاجتماعي . ويكون الطفل عندئذ عضوا في جماعة من الاطفال لها تأثير على القيم والاتجاهات التي اكتسبها في البيت كما تدربه على الاستقلالية بما تضع عليه من مسؤوليات وقد تؤدي الجماعة الى نمو الصفات المرغوبة بالتعاون واضعاف الانانية والنزعة الفردية لديه . ومن جهة اخرى قد تؤدي الى نمو صفات غير مرغوبة كالتغيب عن المدرسة او عدم احترام القواعد الاجتماعية ومعاييرها .

كما ان لجماعة الرفاق فوائد اخرى اذ سيكتشف الطفل اشياء تعبر عن نفسه كقدرته على القيادة او الخضوع وقابليته على التحصيل الدراسي ، واستجابة الاخرين نحوه ... كل هذه الخطوات تعد خطوات مهمة في النمو الاجتماعي . ثم يدخل الطفل مرحلة المراهقة التي تتقوى فيها اواصر العلاقات الاجتماعية بينه وبين بيئته الاجتماعية . فهذه الفترة تتميز بالمشاعر والاحساسات ذات الصلة بالمثل والقيم الاجتماعية . فالمراهق يتمثل قيم مجتمعه السائدة ثم يرتبها وفق نظام نسبي لامطلق . ويتم نمو القيم والاحكام الخلقية وفق تسلسل مرحلي ثابت ، لكن الانتقال من مرحلة الى التي تليها او التوافق فيها يعتمد على طبيعة العلاقات التي عاش فيها المراهق في طفولته .

وفي هذه الفترة يحاول كل من الفتى والفتاة الاستقلال بنفسيهما ، والتحرر من ضغط الوالدين .

وفي هذه الفترة وخلال النضج الجنسي يقوي ميل المراهق للجنس الاخر كما هو الحال في جميع الموافق الجديدة التي تواجه المراهق عليه ان يتكيف بهذا الوضع الجديد من مظاهر نموه الاجتماعي ايضا ولعه باظهار ذاته في سبيل جلب اهتمام الاخرين به ورغبته في ان يساهم واياهم في حياته العملية والاجتماعية .

ان ملخص مهمات نمو المراهق الاجتماعي تضم ست حاجات مهمة هي ،

١ ـ الحاجة الى اقامة صلاة فردية مرضية .
٢ ـ الحاجة الى توسيع صداقات الطفولة عن طريق التعرف على افراد جدد يختلفون في خلفياتهم وخبراتهم وافكارهم .

٣ ـ الحاجة الى الانتماء والقبول والاعتراف به ضمن فئة اجتماعية معينة .
٤ ـ الحاجة الى اجتياز الميول وحيدة الجنس الخاصة بالطفولة .
٥ ـ الحاجة الى تعلم اشغال وممارسة دوره الفردي في النمو الاجتماعي واختيار شريك الحياة ثم الزواج الناجح .
٦ ـ الحاجة الى اشغال دوره في السلوك الملائم لجنسه كرجل او امراءة .(١)

في فترة المراهقة تصبح الحاجة الى الصداقة امر بالغ الاهمية .ان حاجة المراهق الاولى هي البحث عن رفيق يلجا اليه ويستطيع ان يمنحه الود المتبادل ، ويجد لديه ميولا واهتمامات وحاجات متشابه لميوله واهتماماته . لذلك فهو بحاجة الى صداقة حقيقية مخلصة قائمة على الثقة والتفاهم . ان شعور المراهق بانتمائه الى عدة جماعات مثل الاسرة وجماعة الرفاق وانتمائه الى نظام اجتماعي عام ، ذو اهمية في منحه الثقة والاطمئنان . حيث تعد نزعة الفرد الى الامتثال والاتحاد مع هذه الجماعات والاسهام فيها والمؤامة معها ، من اقوى الدوافع في العلاقات الانسانية .(٢) .

اما التغيرات العصبية فتأتي على صورة تقليل ونقص تدريجي في قوة الارجاع والاستجابات العصبية كما انها تشمل العديد من العمليات العصبية التي تعتمد على حيوية الدماغ مثل الذاكرة ولتعلم واكتساب الخبرة والمهارة الجديدة .

وتحدث كذلك تغيرات في الحياة النفسية للفرد تدريجيا كما هو الحال في عمليات التغيير الجسمي والعصبي. الا ان التغيير النفسي يبدو سريعا وواضحا في مرحلتين من مراحل العمر وهي مرحلة المراهقة ومرحلة الشيخوخة .

واهم مايحدث من تغيير في المرحلة الاولى هو قلة التوافق بين الحياة العاطفية والسلوك والفكر عند المراهق . أما التغييرات التي تحدث في الكبر فانها تتسم بصفات التصلب النفسي مما لا يمكن الفرد من التكييف الكافي لمتغيرات الحياة وظروفها خاصة المستجدة وغير المألوفة منها . ويزامن ذلك هبوط في درجة الحماس وفي الطموح والاندفاع نحو تحقيق الاهداف التي تبناها الفرد في دور سابق . كما يحدث تضييق وتقليص في مجال اهتمامات الفرد لما يجري حوله ، كما يتركز

---

(١) سالمة الدهري واخرون ، سيكولوجية الطفولة والمراهقة ، بغداد مطبعة جامعة بغداد ، ١٩٨١ ص ٢٢٢ .
(٢) المصدر السابق ـ ص ٢٥٢ .

اهتمام الفرد بشكل متزايد بذاته أو ما يتصل به مباشرة ويبدو عليه ما يدل على تناقص في المرونة في التعامل وفي الاستعداد لفهم وجهات نظر الاخرين . ويميل الى التمسك بما يتذكره عن زمانه القديم والحنين اليه أكثر من اهتمامه وتقديره لعالمه الحاضر ، وهو لذلك يتصف بعناد الرأي وبصعوبة الاقتناع والتقبل لما هو جديد في الحاضر . وتظهر بعض بوادر فقدان الفرد لبعض مظاهر التوازن النفسي والمقدرة على التحكم بعاطفة مما يؤدي الى حدوث انفعالات عاطفية انية وحادة اشبه ما تكون بالثورات الانفعالية التي يعاني منها الاطفال والاحداث وهو الامر الذي يبرر وصف الشيخوخة بانها الطفولة الثانية .

. كما تحدث تغيرات في العديد من العمليات العقلية بسبب الكبر ، وهذه التغيرات غير متساوية أو متوازية في جميع الملكات العقلية . فهنالك تفاوت في التغير بين ملكة واخرى وبين فرد واخر . وعلى العموم فأن هنالك ثلاث فئات من انواع التغير ، في الفئة الاولى يبدو ان العمليات العقلية تتقدم وتتحسن مع تقدم العمر ، وفي الفئة الثانية نجد العمليات العقلية التي تصل ذروتها في سن المراهقة وتظل بعد ذلك ثابتة طول الحياة ، والفئة الثانية تشمل العمليات العقلية التي تميل تدريجياً الى الهبوط والتنازل مع تقدم العمر . وبصورة عامة فأن حصيلة التغيرات العقلية التي تحدث في الكبر تعتمد على توفر عوامل عدة منها نوعية العمل الذي يعهد به الى الفرد وما يتطلبه هذا العمل من تجربة وممارسة أو من ذكاء وتعليم وذاكرة .

اما التغيرات الاجتماعية ، فهنالك الكثير من مظاهر التغيير في المجال الاجتماعي للفرد بتزايد وتقدم العمر. فبعضها يأتي نتيجة لعجز الفرد عن مجاراة وملاقاة ماتطلبه الحياة من تغيير في نمط علاقاته الاجتماعية. وبعض ذلك يأتي بسبب ما يحدث من تبدل في التكوين العائلي مع تقدم العمر من تشتت بعض افراد ا لعائلة بسبب الوفاة او الرحيل او الزواج او بسبب التغير في ظروف العمل او الموقع الاقتصادي . وجميع هذه العوامل تحدث تغييراً في الصلات الانسانية وفي اسلوب الحياة وفي تصور الفرد لمكانته الاجتماعية وفي تقديره لنفسه وفي جدوى حياته في العائلة أو المجتمع ، واذا ضاقت جميع هذه المجالات ، فأن لها ان تدفع بالفرد الى وضع من العزلة الاجتماعية ، ومن الواضح ان اثر هذه العوامل يتفاوت بين فرد واخر كما ان هذا الاثر يعتمد الى حد كبير على المكانة المعنوية التي يحظى بها

المسن في المجتمع والعائلة التي ينتمي اليها أو على مدى مساهمته بالنشاط والفعل الاجتماعي* .

الذات ومفهوم الذات : ـ

الذات هي المفهوم الذي يكونه الفرد عن نفسه بأعتباره مصدر للتأثير والتأثر في البيئة المحيطة ، أي هي مجموعة التنظيمات السلوكية التي يمكن ان تصدر عنه نحو البيئة المحيطة وعلى الاخص بالنسبة للمجتمع الذي يعيش فيه .

ويتكون مفهوم الذات من افكار الفرد الذاتية المنسقة المحددة الابعاد عن العناصر المختلفة لكينونته الداخلية والخارجية ، وتشمل هذه العناصر المدركات والتصورات التي تحدد خصائص الذات كما تنعكس اجرائيا في وصف الفرد لذاته كما يتصورها هو « الذات المدركة » والمدركات والتصورات التي تحدد الصورة التي يعتقد ان الاخرين يتصورونها والتي يتمثلها الفرد من خلال التفاعل الاجتماعي مع الاخرين « الذات الاجتماعية » والمدركات والتصورات التي تحدد الصورة المثالية للشخص الذي يود ان يكون « الذات المثالية » .

ووظيفة مفهوم الذات وظيفة دافعية وتكامل وبلورة عالم الخبرة المتغير الذي يوجد الفرد في وسطه ولذا فأنه ينظم ويحدد السلوك .

« انه بالرغم من ان مفهوم الذات ثابت الى حد كبير . الا انه يمكن تعديله تحت ظروف العلاج النفسي الممركز حول العميل الذي يؤمن بأن احسن طريقة لاحداث التغير في السلوك تكون بأن يحدث التغير في مفهوم الذات « ... هذا مايقوله كارل روجرز " Rogers " صاحب نظرية الذات (٢٨ ـ ص ٢٥٨ ـ ٢٥٦) .

ومن اهم المفاهيم التي تؤكدها نظرية روجرز في الذات ما يأتي :

١ ـ الفرد هو الفرد ككل .
٢ ـ المجال الظاهري (عالم الخبرة) الذي هو مجموع الخبرات الفردية ، أو الخبرة في كليتها وليس في جزئيتها .

---

* علي كمال ، النفس ـ انفعالاتها وامراضها وعلاجها ، ط ٢ ، دار واسط للطباعة بغداد ، ١٩٨٢ ، ص ٦٥٢ ـ ٦٥٩ .

٣ ـ الذات وهي ذلك الجزء من المجال الظاهري الذي يتكون من الادراكات والقيم المتعلقة بالذات أو « الانا » او بالفرد كمصدر للخبرة والسلوك والذات التي تكون المفهوم الجوهري لنظرية الشخصية عند روجرز لها خواص متعددة منها :

١ ـ انها تنمو بتفاعل الفرد مع البيئة
٢ ـ انها ربما تعرض قيم الافراد الاخرين وتدركها بصورة مشوهة .
٣ ـ ان الذات تكافح من اجل الثبات .
٤ ـ ان الفرد يتصرف باساليب تكون موافقة مع تكوين الذات .
٥ ـ ان الخبرات التي لا تكون مطابقة وموافقة مع تكوين الذات تدرك كمهددات
٦ ـ ان الذات تتغير نتيجة للتعلم والنضج* .

وقد ظهر تطور في نظرية الذات على يد « فرنون Vernoon» ١٩٦٣ والذي يذكر ان هناك عدة « مستويات للذات » وطبقاً لارائه فان كل فرد يشعر انه يملك نواة « حقيقية » او ذات مركزية تختلف عن الموجودات الخارجية وان الذات المركزية معقدات ذات اجزاء كثيرة وهي في صراع دائم مع بعضها، ولكنها تكون على الرغم من ذلك موحدة بواسطة احساس الذاتية . وان مفهوم الذات يحتوي على دوافع تظهر احياناً انها تعمل خارج ضبط الفرد وتحكمه وارادته أي بعيداً عن تحكم الفرد ويحتوي ايضاً على المثاليات والاماني والمستويات (الانا الاعلى) الذي يختلف عن المستويات الاخرى . وينظر فرنون الى الذات كما لو انها مكونة من مجموعة من المستويات الادراكية في تكوين الشخص الداخلي أو في نظامه الادراكي ويوازي هذه المستويات الداخلية مفاهيم أو اتجاهات نحو الاخرين والبيئة وهذه المفاهيم أو الاتجاهات توجد هي الاخرى على اربعة مستويات كذلك هي الاجتماعية أو العامة ، البصيرة ، الخاصة ، العميقة .. وهي عبارة عن المفاهيم الخارجية التوجيهية .

ومن هذا العرض لاراء فرنون نجد انه قد اضاف هذا التقسيم الذي اقامه على المستويات التي يتكون منها مفهوم الذات . وذلك يعتبر مرحلة متقدمة في تفسير محتويات الذات . ومما يؤكد هذا التفسير انه قد تبين من دراسة « جون فرانسيس »

---

* د . انور محمد الشقاوي . انحراف الاحداث . دار الثقافة للطباعة والنشر القاهرة ١٩٧٧ ص ١٤٦ ـ ١٤٧ .

١٩٦١ عن مفهوم الذات لدى الجانحات جنسياً ، ان مفهوم الذات الخاص (الذات الخاصة عند فرنون) ترتبط بدرجة كبيرة باتجاهات الاقلال من تقدير الذات والتغير في مفهوم الذات*

كيف ينمو مفهوم الذات ؟ وفقا لروجرز يلاحظ الاطفال اعمالهم الخاصة كما يلاحظون سلوك الاخرين . السنوات المبكرة يكون الاطفال واعين بالأتساق في سلوكهم ، ويحددون لانفسهم سمات معينة . مثلا « الغضب بسهولة » ولديه كثير من الطاقة . انهم يعطون قيما لاوصاف الذات « فالغضب بسهولة » يدرك سلبيا على حين « لديه طاقة » يدرك ايجابيا . وتتطور مفاهيم الذات ببطء نتيجة لتفاعل الاطفال مع الاخرين وبما يحيط بهم ويفترض روجرز ان الكائنات البشرية تجاهد لتحقق الاتساق بين الخبرات وصورة الذات .

لقد ادرك روجرز حراجة وقت الطفولة في نمو الشخصية تماماً مثل ما فعلت النظريات النفسية الدينامية . انه مثل كثير من اصحاب النظريات الفرويدية ، يركز على التأثيرات الباقية للعلاقات الاجتماعية المبكرة .

ويحتاج مع كل فرد ان يحصل من الاخرين الهامين على الاعتبار الايجابي والدفء العاطفي والقبول . ان الاطفال في رأي روجرز سوف يعملون أي شيء لاشباع هذه الحاجة . ولكي يحصل الاطفال على قبول الوالدين عادة ماينكرون ادراكاتهم الخاصة ، وانفعالاتهم واحساساتهم وكذلك لافكارهم . ويؤدي هذا الاسلوب الى مشكلات على المدى البعيد . (٤٢ ـ ص ٥٩٧) .

اما في مرحلة المراهقة ، فأن التغيرات المفاجئة الداخلية والخارجية لها اثرها في تغير مفهوم الذات لدى الشخص . فبعد ان كان الشكل الخارجي للجسم ذا قيمة ثانوية بالنسبة للطفل حتى الطفولة المتأخرة ترتفع قيمته في المراهقة حتى ليصبح بؤرة الشخصية ، وربما ساعد على ذلك نظرات الاخرين والقيم الاجتماعية السائدة . وهذه التغيرات جميعاً ناتجة عن ازدياد شعور المراهق بذاته ، وقد يزداد الصراع حدة وتكون اتجاهات النمو هذه بمثابة بذور لعدة من الانحرافات كالجناح ، والعصاب وربما الذهان والانتحار . وهذه الحقائق جميعاً ، ومظاهر الصراع الاقل من

* المصدر السابق ، ص ١٥١ ـ ١٥٢ .

ذلك تشير الى تضخم الشعور بالذات في فترة المراهقة وفي هذه الفترة نجد ان الذات المثالية للمراهق غالبا ما تنسق حول البيئة الاجتماعية . وفيها غالبا ما تؤثر المدرسة وجماعات الشباب ودور العبادة على مثاليات المراهق .

وتصل قيمة ادراك الفرد لذاته عندما تكون خبراته في وحدة مرتبطة مع بيئته المتغيرة ويعرف ذاته جيداً عندما يميزها عن غيره من الافراد وكذلك عن العالم الخارجي بالنسبة لحياته هو . وهكذا فان التغير المستمر في البيئة الخارجية يؤكد استقلال ذاته وتصور الفرد لذاته من خلال الادوار الاجتماعية التي يقوم بها يعد من العوامل الهامة التي تساهم في تكوين مفهوم الذات لديه . فكل مجتمع يضع للفرد مجموعة من اشكال الادوار التي يقوم بها من خلال مراحل حياته . هذا بالاضافة الى ان كل فرد يكون لديه دور معين في اسرته بما في ذلك العلاقات داخل الاسرة . اما في خارج الاسرة فان الفرد يشغل بعض الادوار المعنية اثناء وجوده مع الجماعة الى ان يصل الى القيام بالدور المعني الذي له دور هام في حياته ، وجميع هذه الادوار التي يمر بها توثر في مفهومه عن ذاته ، ويكون لها اثرها الواضح في اجراء بعض التغيرات المعينة على الذات وذلك لارتباطه بافراد اخرين في البيئة لان هؤلاء الافراد الجدد يكونون ذات معنى بالنسبة له وبدرجة تأثيرهم عليه تنشأ لديه مجموعة اتجاهات قوية نحو تغيير الذات والسلوك .

وعلى هذا يمكن ان نتصور كيف ينمو مفهوم الذات من الخبرات الجزئية التي يترتب عليها نمو التنظيمات السلوكية المختلفة ، كما يترتب عليها نمو مفهوم عام عن الذات ، وهكذا نجد ان التفاعل الاجتماعي والمؤثرات الاجتماعية لها دور كبير في تكوين مفهوم الذات ، لدى الفرد . لذلك فعلى الوالدين والمعلمين وقادة المجتمع ووسائل الاعلام المساهمة الفعالة في نمو مفهوم الذات عند الاطفال والمراهقين وان يجعلهم متقبلين لذاتهم محترمين لهم وذلك عن طريق تهيئة المؤثرات الاجتماعية وتوفيرها التي من شأنها تحقيق ذلك لما له من اهمية في عملية التكييف الشخصي والاجتماعي .

دور الاسرة في التنشئة الاجتماعية :ـ

ان الاسرة هي النظام الاول في تنشئة الطفل اجتماعياً ، تحويله الى كائن اجتماعي . فعن طريق معاملتها تتكون شخصية الطفل السوية وغير السوية ولاتجاهات الآباء نحو الابناء وعلاقاتهم بهم له الاثر في التنشئة الاجتماعية . فأضطرابات الشخصية لا تعود الى مجرد طريقة معاملة الطفل وانما يعود ايضا الى الجو الذي يسود المنزل ونوع الخبرات التي اكتسبها في تفاعله مع والديه ... الخ من العوامل . من هذا نستنتج ان المجال الذي ينشأ فيه الطفل يؤثر تأثيراً كبيراً في نموه ، فالعوامل البيئية والثقافية للاسرة تشكل سلوكه وشخصيته عن طريق عملية التطبيع الاجتماعي فسلوكه يرتبط تدريجياً بالمعاني التي تتكون عنده من المواقف التي يتفاعل معها . فالطفل يولد ضمن جماعة قد حددت معاني معظم المواقف التي تواجهه وكونت لنفسها قواعد مناسبة للسلوك فعملية التطبيع الاجتماعي للطفل تمر بمراحل عدة ففي المرحلة الاولى يتكيف الطفل لمطالب جسمه وحاجاته البايولوجية ، والظروف البيئية المحيطة به . وفي هذه المرحلة يتقبل المعاني التي حددها الكبار للمواقف التي يمر بها وتتحدد بالتدريج بعض انماطه السلوكية نتيجة لما يترتب على استجاباته من نتائج فيتعلم بالتدريج ان يستبعد بعض الانماط السلوكية التي لا تؤدي الى اشباع حاجاته البايولوجية . وقد يتعرض الطفل للصراع عندما تتغير العلاقات المرتبطة باشباع حاجاته البايولوجية والتي يستجيب لها الطفل كتغيير مفاجيء كما يحدث عند الفطام الذي يرتبط بنواحي نفسية تتعلق بالشعور بالعطف والحنان والطمأنينة . فاذا كانت طريقة الفطام قاسية ستترك اثار نفسية عميقة في الطفل قد يكون لها اثر في المستقبل وليس غريبا ان يشعر الطفل بقلق دائم لا يعرف مصدره أو يعوض عن الثدي بمص اصبعه وقظم اظافره. وتتفق الاراء على ضرورة اتمام عملية الفطام بالتدرج. ولا بأس من اتمام عملية الفطام في نهاية العام الاول على ان تراع الفروق الفردية بين الاطفال والحالة الصحية لكل طفل . كما تتكون البذور الاولى للامراض النفسية كما بينته الدراسات الكلينيكية ترجع الى ما يتعرض له الطفل من صراع حاد في مواقف الحياة منذ الطفولة وقد يحدث هذا نتيجة لتذبذب الكبار في معاملة الطفل للموقف الواحد مما يعيق الطفل عن تكوين توقعات مستقرة بالنسبة للعلاقات التي يستجيب لها . فيرى العلماء ان العادات المتبعة في تنشئة الطفل بما فيها من شدة أو لين تطبع هؤلاء الاطفال بطباع يميزهم عن بعضهم في الكبر .. وهكذا يكتسب الطفل اتجاهات الكبار نحو المواقف التي يتعرض لها أي ان معاني المواقف تتضمن

المعاني التي ترتبط بأتجاهات الاباء حيال سلوكه ، وبالتدريج يتعود الطفل ان يسلك في غيبة الاباء كما يسلك في وجودهما وكلما نمى الطفل حركيا ولغويا واجتماعيا وعقليا وانفعاليا عبر سنوات طفولته سيدرك ذاته عن طريق تبنيه لاتجاهات الغير نحوه أي بتحديد علاقاته بغيره اثناء تفاعله وتكشف البنا الدراسات ذلك عن طريق ملاحظة الاطفال في لعبهم . ان الذات نتاج اجتماعي تتشكل نتيجة تفاعل الطفل في البيئة الاجتماعية الاولى أي الاسرة .

ويعمل الطفل على توطيد مركزه في المجتمع الذي يحيط به فيجد ان اهم الناس حوله هم اعضاء اسرته . ويدرك ان والديه هما العضوان الرئيسان في مجتمع الاسرة وهما مبعث الرضاء والارتياح كما انهما مصدر الزجر والتحريم . ومن هنا تصبح عواطفه نحوهما مزيجاً من الرضا ومن الاحتجاج .

ويحاول كل طفل ان يظفر بمكانة مرموقة عند ابوية ، ومن اجل هذا نجده يظهر الغيرة من اخواته واخوانه . والغيرة أو المنافسة امر طبيعي بين الاخوة وعلى الاباء أن يوطدوا انفسهم على تقبل هذا الامر . ان قيام الاسرة بعملية التنشئة الاجتماعية لأدماج الطفل في الاطار الثقافي العام وتعليمه نماذج السلوك المختلفة في المجتمع الذي ينتسب اليه . وتدريبه على طريقة التفكير السائد فيه وغرس المعتقدات الشائعة في نفسه . فينشأ منذ طفولته في جو مليء بهذه الافكار والمعتقدات والقيم والاساليب . فلا يستطيع التخلص منها لانه لايعرف غيرها بعد ان اصبحت من مكونات شخصيته .

ويرى العلماء ان التنشئة الاجتماعية تستغرق السبع أو الثمان سنوات الاولى من حياة الطفل . اما عملية تربية الطفل فيما يلي ذلك من مراحل حياته فيفضلون تسميتها (التثقيف) اي تعليم الطفل طرق وعادات ثقافية . ويمكن تلخيص مظاهر التنشئة الاجتماعية في الخمس سنوات الاولى فيما يأتي :

١ ـ تعلم الطفل تناول الاطعمة الجافة .
٢ ـ تعلم المشي .
٣ ـ تعلم ضبط حركة المعدة .
٤ ـ تعلم الحياء الجنسي .
٥ ـ فهم العالم المادي في البيئة المباشرة في المنزل والشارع .

٦ ـ التمييز بين ماهو صواب وما هو خطا .
٧ ـ تعلم السلوك المناسب مع الاخوة ومع الكبار .
اما ما بعد السنوات الخمس الاولى فتتلخص مظاهر التنشئة الى ما ياتي :ـ

١ ـ تعلم العناية بالنفس كالاستحمام وارتداء الملابس دون مساعدة .
٢ ـ اكتساب بعض المهارات في اللعب .
٣ ـ معرفة الدور الجنسي ، فيسلك الولد كولد والبنت كأنثى .
٤ ـ تعلم التعامل مع الغير ممن هم في نفس السن .
٥ ـ تعلم القراءة والكتابة والحساب .
٦ ـ فهم ضرورات الحياة اليومية .
٧ ـ تكوين بعض القيم .
٨ ـ تكوين اتجاهات نفسية نحو الاسرة والمدرسة والدين والدولة وما الى ذلك
٩ ـ التحكم في الانفعالات والعواطف .
١٠ ـ تكوين اتجاهات سليمة نحو النفس . (٦ : ص ١٣٤)

ولعل اهم ماتعطيه الاسرة للطفل هو تحديد دوره في ثقافته تبعا لجنسه وسنه ومستواه الاجتماعي والاقتصادي ، وتحديد مركزه واعطائه فكرة عن نفسه ففيما يتعلق بتحديد الدور فالثقافة هي التي تحدد الدور العام للطفل كذكر وكأنثى . فيعد الطفل منذ اللحظات الاولى للولادة لدوره كرجل وكامرأة فيدرب كل منهما على اسلوب معين في الحياة أي يتعلم دوره فيها ، ويتحدد هذا بسن الطفل وجنسه ويطلق على ذلك بعملية التنميط الجنسي أي اصطناع المعتقدات واوجه النشاط التي تحكم الحضارة التي ينشأ فيها الطفل ، وبأنها مناسبة للجنس الذي ينتمي اليه ، ذلك للاعتقاد الشائع بأنه لابد وان يختلف الاولاد من البنات في السلوك غير ان هذه المعتقدات حول الخلاف بين الجنسين قد تكون ظاهرة احياناً وغير ظاهرة احيانا اخرى ، ومن الطبيعي ان الاباء يتفاوتون فيما بينهم من حيث اتجاهاتهم نحو سلوك ابنائهم وهل هي خاصة للبنات أو للبنين ، ولكن بصفة خاصة ينظر الى بعض صفات السلوك كالعدوان البدني والسيطرة ، التخريب ، والعناد والميل الى المشاجرة ، والغضب ، والاستقلال بأنها سمات تخص البنين ، بينما الخوف ، والاتكالية ، والوقار الاجتماعي ، والنظام والترتيب هي من صفات البنات وهكذا فهذه الاتجاهات المنمطة جنسيا قد تنتقل من جيل الى اخر بشيء من التغير

في المحتوى لقد قام طلاب احد الجامعات بدراسة حول مفهوم (الولد والبنت) من حيث شمولها ببعض الصفات ، فظهر ان الاولاد يوصفون بأنهم اكثر حظا من البنات من حيث التمتع بالصفات الاتية: القسوة ، القوة ، الاهمية الايجابية . وهذا يبين ان طلاب الجامعة وهو اباء المستقبل يتوقعون من الولد توقعات محددة تختلف عن توقعاتهم من البنت . ولهذا فمن المحتمل ان طلاب الجامعة التي اجريت عليهم الدراسة وبعد أن يصبحوا اباء سوف يقومون باثابة ومعاقبة اطفالهم بحسب توقعاتهم التي كشفوا عنها في الدراسة . حيث انهم سيتقبلون العدوان بدرجة اكبر من ابنائهم عن بناتهم ، وسيتوقعون كذلك ان سلوك اولادهم سيتم بالاستقلال والاعتماد على النفس . ويزداد تفضيل اوجه النشاط التي تناسب جنس الفرد خلال سنوات ما قبل المدرسة . .حيث ان اطفال الرابعة يظهرون قدرا اكبر من التفضيل لاوجه النشاط التي تتناسب مع جنسهم مما يفعل الاطفال في سن الثالثة .

ولتعلم انواع السلوك المتفقة مع الدور الجنسي للفرد ونتائجه المتوقعة في مرحلة الرشد . فالاولاد يتوقع منهم ان يكونوا اشجع واقوى واقل انفعالية من البنات ، ولهذا فليس من المستغرب ان نجد مفهوم الذات عند الراشدين من الرجال والنساء متفقا مع هذا التعلم المبكر ، فقد قدمت الى مجموعة كبيرة من الشباب قائمة من الصفات وطلب اليهم ان يتخيروا منها الصفات التي يرون انها اقل الصفات انطباقا عليهم فبين ان البنات كن بالمقارنة الى الاولاد يشعرن بأنهن اقل كفاءة واكثر اهمالاً واكثر خوفا واقل نضجاً . والحقيقة ان اتجاهات الراشدين نحو انفسهم هذه تعود الى حد ما الى ما يغرس في الولد والبنت في فترة ماقبل المدرسة من اتجاهات وخصائص تتناسب مع الجنس الذي ينتمون اليه والى عملية التنميط الجنسي التي اكتسب عن طريقها تلك الانواع من السلوك وذلك عن طريق الخوف من العقاب أو النبذ بسبب السلوك غير المناسب وكذلك عن طريق التوحد أو التقمص للاب مثلا او مع بديل الاب او مع ذات مثالية متخيلة وهذا ينطبق على الام ايضاً ، او عن طريق الرغبة في المدح والتقبل من جانب الابوين والاقران ورضاهم عن انواع السلوك المنمط جنسياً .

ان الطفل سينتقل من بيئته الاولى وهي الاسرة التي اكتسب فيها انواع مختلفة من السلوك عن طريق التنشئة الاجتماعية الى بيئة او بيئات اخرى ثانوية تختلف فيها علاقات الطفل عن تلك العلاقات التي كونها في بيئته الاولى ومن بين هذه البيئات المدرسة والنوادي والجمعيات ... الخ .

دور المدرسة في عملية التنشئة الاجتماعية :

لقد اصبح للمدرسة دور في انتقال الثقافة واستمرارها ، فللمدرسة تاثير كبير على سلوك الطفل من خلال تفاعله مع الاقران والاشياء وتحديد مواقفه ازاء مختلف المعايير الاجتماعية ، فعن طريق توسيع دائرته مع الاخرين سيستطيع ان يعد نفسه لمختلف الادوار التي يجب ان يضطلع بها البالغ في مجتمعنا . تقوم المدرسة بدور كبير في مساعدة الاطفال على تعلم ضبط انفعالاتهم والتعامل مع مراكز السلطة وادراك وجود هيئات ذات سلطة في المجموعات الاجتماعية . فمسؤولية المدرسة هي اعداد اطفال قادرين على التعامل مع المجتمع حاضرا ومستقبلا . ومن واجب المدرسة في المرحلة الابتدائية ان تتجنب الشدة والقسوة في معاملة التلاميذ وان تأخذهم بالرفق واللين وذلك لجعل حياتهم المدرسية مليئة بالنشاط والسعادة ليقبلوا عليها برغبة .

وعلى المدرسة ان تتبع مناهج دراسية خاصة وطرق تدريس متطورة وتحديد عدد الحصص مع مدتها في اليوم الواحد وفي هذا اختلاف بين المراحل فالمرحلة الاولى من المدرسة الابتدائية تشمل السنوات الدراسية الاربعة ، والمرحلة الثانية تشمل السنتين الخامسة والسادسة .

وعلى المدرسة مراعاة ميول التلاميذ في التدريس وتأكيد ذاتهم . وان تعتني بالتربية البدنية والتفكير المنطقي والتربية الخلقية وذلك بالقدوة الحسنة وتلقي التلاميذ مبادئ الاخلاق وبطريقة قصصية مشوقة وتشجيع التلاميذ على الانضمام الى الجماعات المدرسية المختلفة فذلك سيعودهم النظام والتعاون والتعاطف والثقة بالنفس والصبر واحترام شعور الاخرين ومحبتهم . اضافة الى ذلك على المدرسة ان تقدم الرعاية النفسية لكل طفل ومساعدته في حل مشكلاته ليكون متوافقا نفسيا واجتماعيا ـ مع المدرسة وان تراعي قدراته في كل مايتعلق بالتربية والتعليم اي مراعاة كل مامن شأنه ضمان نمو الطفل نموا نفسيا واجتماعيا سليما . وعلاقاته الاجتماعية بين المدرس والتلاميذ من جهة وبين التلاميذ انفسهم من جهة اخرى اثر في عملية التنشئة الاجتماعية . فيجب ان تكون العلاقات مبنية على اساس من الديمقراطية والتوجيه والارشاد السليم مما يؤي الى تماسك الجماعة وحسن العلاقات بين افرادها مما يؤدي الى النمو التربوي والنفسي السوي للتلاميذ . وهذه العلاقات يجب ان تكون مبنية على اساس من التعاون والتفاهم كما يجب ملاحظة سلوك التلميذ في عملية التنشئة الاجتماعية اذ يقوم بدور نشط وفعال فهو يلاحظ السلوك

الاجتماعي في المواقف ويكتسب الخبرات ويمارس نوعا من الايجابية في اختيار ماينا سبه من هذا السلوك . كما تعطي المدرسة للتلميذ فرصة التفاعل مع الجنس الاخر (في حالة كونها مختلطة) للتعرف على الجنس المغاير من حيث دوره في المجتمع مما يكسبه خبرات تنمي عملية التنميط الجنسي .

ان المدرس يقوم بدور كبير في عملية التنشئة الاجتماعية بصفته منفذا للسياسة التربوية في المجتمع يقدم ما يحدده المجتمع بأمانة وموضوعية وهو نموذج للسلوك يحتذى به التلاميذ ويتقمص شخصيته وهو مثل للقيم والتربوية اضافة الى انه ناقل للعلم والمعرفة الى تلاميذه .

يتضح مما سبق مدى اهمية الدور الذي تؤديه المدرسة الابتدائية في التنشئة الاجتماعية للتلاميذ لتهيئة مواطنين صالحين قادرين على التفاعل مع المواقف الحياتية مستقبلا . ومن هنا تبدو اهمية الخدمة الاجتماعية المدرسية في رعاية النحو المتكامل للطفل اي نموه الاجتماعي والانفعالي والفكري والبدني بما يتفق وخصائصه في هذه المرحلة فتعمل مع التلميذ كفرد تقدم له المساعدة التي تعنيه على التكيف السليم وتنمية الوعي الوطني والقومي والانتماء الى الجماعة كما ان الهيئة التدريسية تعمل على دراسة الظواهر المدرسية عامة للوقوف على الايجابيات والسلبيات وتبصير التلاميذ والاباء بالمشكلات والصعوبات التي يتعرض لها التلميذ في هذه المرحلة لكي يتحقق الاتفاق على طريق واحد لمعاملة التلميذ وتوفير احتياجاته في كل من المدرسة والبيت والمجتمع .

ثم ينتقل الطفل الى مرحلة اخرى وهي مرحلة المراهقة ويأتي دور الاسرة والمدرسة ازاء هذه المرحلة التي يحاول فيها المراهق تأكيد ذاته ومحاولته الاستقلال عن والديه فيسعى الى تكوين الصداقات في الخارج مع من هم في سنه . ويمر المراهق في هذه المرحلة بتزايد سريع ومفاجئ في كافة جوانب نموه الجسمي والعقلي والانفعالي والاجتماعي وقد تنشأ بعض المشكلات بينه وبين افراد مدرسته واسرته نتيجة لذلك . ففي هذه الفترة تتوسع مداركه ويفهم بيئته بصورة تختلف تماما عما كان عليه في الطفولة . فنجده يسعى الى اختيار المهنة التي سيمتهنها في مستقبل حياته والابتداء بالاستعداد لها . ثم التواصل الى علاقات ايجابية مع الجنس الاخر من خلال البحث عن حلول للمشكلة العاطفية كما يسعى الى تحقيق تكامل لشخصيته تمهيدا لتحمل المسؤوليات الاجتماعية الجديدة . وعلى الاسرة ان تساعده في تحقيق اهدافه ولا يتم ذلك الا بفهم الاباء لمميزات المرحلة التي يمر بها ابنائهم

ومتطلباتهم والا نجم عن ذلك سوء فهم لها مما يسبب المتاعب والمشكلات للطرفين ويؤدي الى خروج المراهق من هذه الفترة بشخصية مرتبكة غير مستقرة .

ان المراهقة هي المرحلة الاخيرة من حياة الفرد التي يمكن فيها الاعتماد على الاخرين وهي المرحلة الاخيرة من مراحل النمو التي تستطيع فيها قوى البيئة ان تساعد الفرد على حل مشكلاته وعلى تكيفه معها متمثلا ذلك في الاسرة والمدرسة والمجتمع التي تساعدهم كثيرا على تطوير شخصياتهم بصورة بناءة وسليمة ان المراهق يتبنى نفس الموقف تجاه العالم الخارجي لانه قد اختزن في ذاكرته منذ طفولته انماطا من القيم والسلوك لذا فانه سيستعمل نفس تلك القيم اتجاه والديه ومدرسيه خلال فترة المراهقة . وقد يكره الطفل هذه القيم والانماط السلوكية ويفضل عليها قيما وانماطا اخرى ، ولكن هذا لايتم الا بعد صراع خفيف او شديد ، وان مقدار الصراع يتوقف على مقدار قبوله لقيم عائلته ومدرسته وشعوره بصحتها حتى ولو كان قد خالفها ، ونجد بعضهم يشعر بالاثم والخوف اذا لم يستطيعوا قبول مقاييس الراشدين المحيطين بهم ، في حين يبدوا اخرون قادرين على التخلص منها دون اضطراب كبير .

من هذا يتبين لنا اهمية الاسرة والمدرسة في المرحلة الاولى وهي مرحلة الطفولة لانها مستعدة الى المرحلة اللاحقة وهي المراهقة فاذا كانت التنشئة الاجتماعية سليمة في الطفولة حصلنا على مراهقين اصحاء جسميا ونفسيا واجتماعيا وعلى الاسرة ان تنبه المراهق الى تلك الفترة قبل الوصول اليها لكي يستطيعوا فهم العوامل التي تقف وراءها وعليهم ارشادهم باسلوب صحيح وفي الوقت المناسب ثم ان المراهق يطلب من المنزل خلقية عالية متمثلة بالعلاقات الجيدة بين الابوين ومعهم ليوفر للمراهق ملجأ امينا شاعرا بالثقة والاطمئنان في حياته وليكون نظرة واقعية للحياة ودون ان يكون نظرة عدائية للمجتمع .

كما نلاحظ ان اتجاهات المراهقين وقيمهم تختلف باختلاف المستويات الثقافية والاجتماعية التي يعيشون في اطرها . وذلك لان الجماعات المختلفة في مستوياتها الثقافية والاجتماعية ـ الاقتصادية تتفاوت فيما بينها من حيث تأكيدها وتدعيمها لبعض الاستجابات او من حيث ماتمارسه من انواع السلوك . فالعائلة المثقفة لها معايير واضحة الاختلاف عن معايير العائلة الجاهلة . وكذلك بالنسبة للعائلة ذات المستوى الاجتماعي والاقتصادي المنخفض . فانها قد تمارس بعض انماط السلوك الذي لاترضى العائلة ذات المستوى الاجتماعي ـ الاقتصادي العالي . علما بان

مجتمعنا في الوقت الحاضر يسير بخطى سريعة للتخلص من هذه الفروق . وذلك برفع مستوى العائلة العراقية ثقافيا عن طريق محو الامية وتسهيل الاتصال بمصادر الثقافة ومنابع المعرفة وكذلك برفع المستويات الاقتصادية المنخفضة وجعل كافة ابناء الشعب يعيشون بمستويات جديدة تلائم طموح الثورة في تحقيق الرفاهية والعدالة الاجتماعية .

ان طريقة المعاملة التي يتعرض لها من قبل ابائه لها اثر كبير في تكوين اتجاهاته وقيمه . فاذا تعرض للوم الكبار من افراد عائلته ازاء مايصدر عنه من سلوك قد يحمله ذلك الى الانطواء وعلى تفضيل العمل الفردي على العمل الجماعي التعاوني . وبالعكس قد يتكون لديه اتجاه ايجابي يحمله على حب الحياة الاجتماعية اذا تحقق له الحصول على بعض الرغبات والمسرات .

ثم يأتي دور المدرسة المكمل والمقوم لدور الاسرة فتستطيع المدرسة الثانوية ان تعمل الشيء الكثير لتساعد المراهقين على تطوير شخصياتهم بصورة بناءة وسليمة عن طريق التوصل الى ميولهم ورغباتهم وتوجيهها الوجهة الاجتماعية لغرس الانماط السلوكية البناءة وذلك عن طريق اشراكهم في اوجه النشاط المدرسي المختلفة بخاصة الالعاب الرياضية والجمعيات والرحلات لتحقيق اندماجه في الجماعة ولتحديد دوره فيها واكتسابه الخبرات عن طريق المواقف الاجتماعية المتعددة وان تقف المدرسة الثانوية على مشكلات المراهقين الناتجة من التغييرات الحاصلة بهم في جوانب نموهم المختلفة والعمل على مساعدتها في ايجاد الحلول لتلك المشكلات .

وعلى المدرسة ان تصحح ماضي الاسرة من هفوات عن طريق علاقتها المبنية على اسس علمية مع الاسرة وفي الوقت نفسه على المدرسة ان لاتهمل النظرة الى حياته المستقبلية في المجتمع من استعدادات متنوعة لتحمل مسؤولياته الاجتماعية ولا يتم ذلك الا بعد معرفة المراهق وخصائص نموه والعمل على اشباع حاجاته النفسية الاساسية من شعور بالامن والعطف والتقدير الاجتماعي والاعتزاز بالنجاح .

ولا ننسى ان للمراهق مشكلات وفي مجالات متعددة . فهناك من المشكلات مايشعر بها المراهق نفسه وهناك مشكلات تعاني منها ادارة المدرسة ومدرسيها . فالمشكلات الفردية تتعلق بالتغيرات الجسمية والصحية الحاصلة وما يترتب عليها من اضطرابات انفعالية واجتماعية تنعكس بشكل واضح ومؤثر في علاقاته الاجتماعية مع رفاقه ومدرسيه .

اما المشكلات التي تظهر للادارة والمدرسين فهي الغياب عن المدرسة والهروب منها والتأخر الدراسي ومظاهر العدوان لديهم والانطواء على النفس وعدم الثقة بها واخيرا قد يتعرض المراهق لرفاق السوء مع عوامل بيئية اخرى لتجعل منه جانحا .

وفيما يأتي بعض مسؤوليات المدرسة الثانوية في عملية التنشئة الاجتماعية :

١ ـ تقديم الرعاية النفسية ومساعدة المراهق في حل مشكلاته لتهيئ راشدا مستقلا ومتواضعا نفسيا واجتماعيا .

٢ ـ تعليمه كيف يحقق اهدافه بطريقة ملائمة تتفق مع المعايير الاجتماعية .

٣ ـ مراعاة قدراته واستعداداته في مختلف الجوانب .

٤ ـ الاهتمام بالتوجيه والارشاد النفسي والتربوي والمهني له .

٥ ـ العلاقة بين المدرس والطالب يجب ان تقوم على اساس من الديمقراطية مما يؤدي الى حسن العلاقة وبالتالي الى النمو التربوي والنفسي السوي للطالب ، حيث ان لهذه العلاقة اثر عميق في شخصية الناشئ الصغير ، فالمدرس ليس اداة لتلقين الطالب المعرفة فحسب انما يمثل جانبا انفعاليا واجتماعيا هاما في حياته فالطالب في حاجة الى حب المعلم وتقديرة والاعتراف بشخصيته ، وكلما تحقق للمدرس اسباب الامن والطمأنينة الشخصية كان قدوة طيبة لتلاميذه .

٦ ـ يجب ان تكون العلاقة بين البيت والمدرسة مبنية على اسس علمية بناءة ، ولا بد من قيام مجلس الاباء والمعلمين على اسس سليمة يشارك فيها عدد كبير من الاباء يمثلون كمثيلا فعليا على كافة المستويات . بالاضافة الى المقابلات الفردية مع الاباء الذين تتطلب حالتهم استدعاء اولياء امورهم والتباحث معهم او قيام الباحث الاجتماعي (ان وجد) بالزيارة البيتية للغرض نفسه .
ولهذا يعد النظام مجلس الاباء اداة انشائية في المجال المدرسي باعتبار انهم اكثر تعرضا لاحتياجات البيئة بوجه عام ووسيلة ايجابية لربط المدرسة بالمجتمع المحلي .

٧ ـ لابد من وجود الباحث الاجتماعي او المرشد التربوي في المدارس الابتدائية والثانوية على حد سواء حيث سيتولون مهمة التنشئة الاجتماعية السليمة مع الحفاظ على التلاميذ ووقايتهم من المشكلات والانحرافات ومساعدتهم في حل مشكلاتهم والتنفيس عمل يعانون من صراعات نفسية ودوافع عدائية . وذلك بالبرامج الجماعية واستخدام اوقات الفراغ مع الدراسات الميدانية الفردية لمن يحتاجها وبذلك تساعد المدرسة في عملها وتسهل عليها القيام بواجباتها لان

مهمة المدرسة اليوم لم تعد مهمة تلقين معلومات انما اصبحت مهمة تربوية الى جانب المهمة التعليمية .

٨ ـ دعم القيم الاجتماعية السائدة في المجتمع مع الحث على الالتزام بها وتمثلها في السلوك اليومي بالممارسة متمثلا في مناهج الدراسة والنشاطات المتعددة .

٩ ـ نشر الوعي القومي بين الطلبة ، وتعريفهم بمعالم الوطن العربي وتاريخه وكفاحه ن اجل التحرر ، وامكاناته من اجل التقدم الاقتصادي والاجتماعي .

١٠ ـ تبصير الطلاب في هذه المرحلة بما فيها من تغييرات لتساعدهم على استعادة توافقهم واستقرارهم نفسيا مما يحول بينهم وبين مايعانون من قلق وخوف وصراعاة اخرى .

من هذا يتضح ان للمدرسة دوراً كبيراً في تهيئة فرص النمو للطالب وفي مختلف النواحي الدراسية والعملية والاجتماعية ، وتوفر وسائل الكشف في ميولهم واستعداداتهم والعمل على تنميتها . لجعله قادراً على تحمل مسؤولياته في الانتاج ولينمو نمواً متكاملاً في النواحي القومية والاجتماعية والفكرية والبدنية بما يقابل اهدافنا القومية .

دور جماعة الرفاق :

كما اتضح ان لاتجاهات الوالدين والجو العام في الاسرة اثر على نمو السلوك الاجتماعي والاتجاهات الاجتماعية وان الخصائص الاساسية لما يقوم به طفل ماقبل المدرسة من اتصالات بغيره من الاطفال تكون الى حد كبير بمثابة انعكاسات لما تعلمه في بيته . وهو يكون قد تعلم في منزله بعض الاساليب الاجتماعية الاساسية المستخدمة في الارتباط بالاشخاص الاخرين في المواقف الجمعية ولكن هذا لا يعني ان مايكتسبه الطفل في المنزل يظل ثابتاً لايتغير . وبازدياد توجه الاطفال نحو الحياة الاجتماعية يزداد ميلهم الى الارتباط الوثيق بعدد قليل من الرفاق . وقد بينت الدراسات ان اطفال ماقبل المدرسة يتعلمون الصداقات مع افراد جنسهم اكثر مما ينشؤنها بين افراد الجنس الاخر ، وان التقارب في العمر والحالة الاجتماعية والنشاط البدني تؤثر في الصداقة بين اطفال الجنس الواحد ، اما التشابه في طول القامة والانبساطية والجاذبية والذكاء وكثرة الضحك فلم يكن لها تأثير في صداقات البنين والبنات .

وقد قام احد الباحثين بتسجيل كل الوقائع التي يلعب فيها اطفال ماقبل المدرسة بعضهم مع بعض او يتشاجرون فيها وذلك خلال اربعين فترة ملاحظة طول كل منها نصف دقيقة . ثم استخرجت من هذه البيانات مقاييس الصداقة والميل الى التشاجر ونسبة التشاجر الى الصداقة واوضحت البيانات بأن انماط الصداقة تتغير بتقدم العمر وان كل هناك فيما بين سن الثانية والثالثة ازدياد عام في عدد رفاق اللعب للطفل وان مايحدث بعد هذه السن هو ان تزداد قوة الصداقة بينه وبين قلة خاصة من الاطفال بدلاً من الازدياد في عدد الاصدقاء . وهذا التغيير في انماط الشخصية يمكن ان يعد بمثابة نتيجة لما تعلمه الطفل في هذه المواقف الاجتماعية الجديدة ، وذلك لان الطفل قد يتفاعل خلال خبراته الاولى خارج الاسرة مع عدد كبير متنوع من الاطفال . كما ان بعض هذه العلاقات المبكرة لاتجلب الثواب للطفل وانما تجلب له شيئاً من العقاب . ثم يتعلم بمرور الزمن ان العلاقات بينه وبين بعض المعنيين اقرب الى ان تكون اكثر متعة مما عداها . ولذلك فهو ينشيء ارتباطا اكثر قوة بينه وبين هؤلاء الاطفال . كما ان نسبة التشاجر تتناقص تناقصاً منتظماً بتقدم العمر مما يبين ان تزايد الخبرة الاجتماعية يكشف للأطفال عن ان الاستجابات الودية تكون اكثر ارتباطاً بالثواب من الاستجابات العدائية .

وعند التحاق الطفل في المدرسة نجده يهتم بقبول جماعة الرفاق له وقد يواجه بقليل من الحذر في محاولاته الاولى ، كما ان الموقف الاجتماعي الجديد يعرضه للثواب والعقاب كما ان يعتمد على المحاولة والخطأ . ان الصداقات في مرحلة الطفولة المتوسطة عرضة للتغيير والتبدل السريع . وتؤدي عوامل الميل الخاص الى تحديد العضوية في الجماعة .

اما مابين السن العاشرة والرابعة عشر تكون الصداقات اكثر تحديداً في بنيتها ووضوحاً في تكوينها مع ان التغيير مستمر .

ان جماعة الاصدقاء تهيء الفرصة للطفل لتحقيق الكثير من حاجاته واشباعها كنشاطه وحركته ونموه اللغوي والعقلي والاجتماعي ، فتلك الجماعة تخدم وتحقق هدفاً اكثر شمولاً في تطبيع الطفل وتنشئته الاجتماعية . فمن الوظائف الاساسية لجماعة الاصدقاء هو تغيير اتجاهات الطفل النفسية . فقد تقوى جماعة الرفاق اتجاهات موجودة لديه او تنشأ لديه اتجاهات جديدة ، او تضعف تلك الاتجاهات التي تتعارض مع قيمها . وعندما تصطدم قيم جماعة الرفاق مع مايوجد لدى الطفل

من اتجاهات . فأن قابلية تغييرها تعتمد على الاهمية النسبية لتقبل تلك الجماعة له .

اما في مرحلة المراهقة فنرى المراهق يختار اصدقاء بنفسه دون تدخل من والديه يعكس الطفل . وتقوى صداقة المراهق بأحد زملائه ولكن مع هذا نجد الصداقة انفعالية وسريعة التغيير خاصة في المرحلة الاولى من هذه الفترة وتزداد حاجة المراهق الى تكوين علاقات قوية مع من في سنه وذلك لاعتقاده ان الكبار لا يفهموه . وتلعب صفات الشخصية دوراً كبيراً في تكوين الصداقات كدماثة الخلق والشجاعة والاخلاص وحسن المظهر والتعاون .. الخ .

الفصل الخامس

الامراض الاجتماعية (الباثولوجيا الاجتماعية)

* جنوح الاحداث
من هو الحدث ؟
اتجاهات الحدث
وماهو الجنوح ؟
صور جناح الاحداث
انماط الاحداث المنحرفين
الاسباب المؤدية الى الجنوح
الاتجاه البيولوجي
الاتجاه النفسي
الاتجاه الاجتماعي
دراسة الاحداث ورعايتهم ووقايتهم من الجنوح
الاعراض الاجتماعية في بعض الامراض النفسية :
ثانياً * القلق
ثالثاً * عقدة النقص
رابعاً * الاحباط
خامساً * الصراع النفسي
سادساً * العدوان

علم النفس الفسيولوجي والباثولوجيا الفسيولوجية هو علم يهتم بالتقييم الإكلينيكي للوظائف
الإنسانية بغرض مدى التزامها وخروجها عن المعايير الفسيولوجية للسلوك،
وتتفاوت التقييم الإكلينيكي للظاهرة السلوكية بين مجتمع وآخر حسب
ثقافة وقيم المجتمع والإطار المرجعي لكل مجتمع. إذن هو سلوك نسبي
غير ثابت وهو يعتبر مشكلة إكلينيكية عندما تهدد أمن الفرد والجماعة وأبسط
مثال له هو الفصام.

الباثولوجيا الاجتماعية :

يتعرض بعض الأبناء الى نوع من المشكلات تبدو أعراضها على شكل سلوك مضاد للمجتمع . بما في ذلك السلوك الخارج على القانون . ومن اهم مظاهر هذه الانحرافات جرائم الاحداث كالسرقة والنشل والسلوك الجنسي المنحرف والتزييف وتعاطي المخدرات ... الخ . وبجانب ذلك هناك انحرافات اقل خطورة كالهروب من المنزل والمدرسة والتشرد والتسول والتخريب والتمرد والكذب .

ويطلق على مظاهر الانحرافات السابقة بنوعيها الاصطلاح « جناح الأحداث (٣٨ ـ ص ٢٤٠) وقد نالت هذه الظاهرة اهتماماً كبيراً من المهتمين بالدراسات الاجتماعية والنفسية وذلك لان الاحداث ثروة بشرية يجب العناية بها ورعايتهم وتهيئة بيئة صالحة لكي ينمو نمواً سليماً متكيفاً مع البيئة التي يعيشون فيها . لذا كان الاهتمام بمرحلة الطفولة ودراسة المشكلات التي تعترض نمو الاطفال والعمل على حلها على اعتبار انها الاساس في تكوين شخصية الانسان . فكل مشكلة تعترض نمو الطفل تتبلور وتظهر على شكل امراض نفسية وانحرافات في مرحلة المراهقة . هذا اذا لم يوجد لها العلاج . فالامراض الاجتماعية تعد سلوكاً سالباً غير بناء وهداماً وتعد أيضاً مشكلة أجتماعية تهدد أمن الفرد والجماعة .

أولاً :- جنوح الاحداث :

مشكلة من المشكلات الهامة التي تواجهها جميع المجتمعات والتي تحتاج الى عناية مكثفة لمعالجتها لأن الأحداث الجانحين كالأغصان اللينة المعوجة يسهل تقويمهم واصلاحهم في حين يصعب اصلاحهم بعد تجاوزهم مرحلة الحداثة .

ان هذه الظاهرة الاجتماعية تعد نافية لروح الجماعة اي لاتوافق معايير المجتمع لذلك اهتم بها كثير من المختصين لاكتشاف الاسباب والعوامل المؤدية اليها فذهب بعضهم الى انها ترجع الى عوامل وراثية بينما ذهب اخرون الى ان سببها عوامل نفسية واكد علماء الاجتماع على العوامل الاجتماعية . وقبل دراسة تلك العوامل سنعرف الحدث وطبيعة الجنوح للألمام بهذه الظاهرة الخطيرة .

الحدث Juvenile

اختلف علماء النفس والاجتماع والقانون لتعريف الحدث فعرفه عالم النفس والاجتماع بأنه « الصغير منذ ولادته حتى يتم نضجه الاجتماعي والنفسي وتتكامل لديه عناصر الرشد » . وعرفه القانون بأنه « صغير السن الذي اتم السن التي حددها القانون للتمييز ولم يتجاوز السن التي حددها لبلوغ الرشد » .

علماً بأن هناك اختلافاً بين المجتمعات المختلفة في تحديد سن الحدث . أما في العراق فحدده المشرع في المادة الأولى من قانون الأحداث رقم ٦٤ لسنة ١٩٧٢ بأنه « من اتم السابعة من عمره ولم يتم الثامنة عشر ذكر ام أنثى وعلى صنفين :

١ ـ الصبي : من اتم السابعة من عمره ولم يتم الخامسة عشرة .
٢ ـ الفتى : من اتم الخامسة عشرة من عمره ولم يتم الثامنة عشرة » .

ولا بد من اعطاء فكرة واضحة عن تطور اتجاهات الحدث لأنها عامل فعال في تطور شخصيته وتكاملها .

اتجاهات الحدث :

١ ـ التسلط على الدوافع وتوجيهها من قبل الحدث نفسه والا يكون هذا التسلط سيطرة مفروضة بقوة خارجة بل تأديباً لهذه الدوافع وتهذيباً لها آنياً من تلقائية وطواعية من باطن ذاته وبذلك تنطلق طاقاته النفسية من مجال نفسه وتركيزه الذاتي الى المجال الفسيح للنمو والأمتداد .

٢ ـ التكيف الاجتماعي : ان اشتداد الميول الأجتماعية في المراهقة ينبغي الا تؤدي الى ارضائها لمجرد كونها دوافع أصلية بغض النظر عن قيمتها الاخلاقية فعلى الحدث الموازنة بين هذه الدوافع والتصرف بمستوى العرف والتقاليد (الرأي العام) . فالرأي العام هو التحكم في السجايا والتصرفات . ويجب ان ينصرف التكيف الأجتماعي الى التخلص من التركيز الذاتي والتعاون مع الآخرين والأندماج بهم وتأكيد الأتجاه نحو الأيثار لأنه اساس للتطور الخلقي الرفيع .

٣ ـ التكيف المهني : يواجه المراهق عادة مهمة النظر الى مصيره في الحياة المقبلة والعمل الذي ينبغي ان يضطلع به ليكون شخصاً نافعاً لنفسه ولمجتمعه ويؤكد « أدلر » وظائف ثلاث رئيسية ويجعلها اساساً لأساليب الحياة الاساسية التي ينبغي ان يتكيف لها الطفل منذ سنواته الأولى وهي : ـ

أ ـ التوفيق بين ميوله ورغباته من ناحية وبين قدراته وامكاناته من ناحية ثانية .
ب ـ ان ينشأ على تقدير العمل وجعله منتجاً مثمراً .
جـ ـ التوفيق بين مطالبه الفردية ومطالب المجتمع ولابد ان يأتي تحديد هذه الوجهة في المهنة تدريجياً ويكون مرناً قابلاً للتحوير والتعديل وقائماً على التجارب الواقعية وان ينزع المراهق فيه الى التعاون مع الآخرين والعمل المشترك .

٤ ـ النزعة الى الاستقلال : تتجلى هذه النزعة لدى المراهقين في تأكيد الذات في صور متعددة وفي محاولتهم الأقل من تأثير سلطة الوالدين على اعمالهم والانتقال الى التماس التأثير في الاقران او غيرهم من الكبار ممن يختارهم المراهق لهذه المنزلة بصورة مقصودة او غير مقصودة ومتابعة لهذه النزعة يقوم المراهق بتوسيع نطاق اتصالاته بالعالم الخارجي ويتجاوز في ذلك نطاق الأسرة ونطاق المدرسة مما كان مألوف لديه في الطفولة .
كما تتجلى هذه النزعة في قيام المراهقين بأعمال يجربون فيها قواهم ومدى مايستطيعون فعله فيها وقد يندفعون في ذلك الى مواقف متطرفة متناقضة فيقومون مثلاً بالعمل المرهق الفادح أو بالمغامرة المحفوفة بالخطر احياناً ويركنون الكسل والبطالة وطلب السلامة في احيان اخرى وانما يندفعون الى كل من هذين النقيضين شعورياً او لاشعورياً بقصد رغبتهم في الكشف عن مدى استطاعتهم ومدى قوة ارادتهم في ممارسة مايختارون من اعمال .

ومن المهم الا تؤدي هذه النزعة الأستقلالية الى التصادم بين جيل الناشيء وجيل الكبار سواء في محيط الأسرة أو خارجها .

٥ ـ الواقعية : من المهمات الخطيرة التي يواجهها المراهقون هو انتقالهم من الاعتماد على مبدأ اللذة الذي تصطبغ به حياة الطفولة الى الاعتماد على مبدأ الواقع وسعيهم الى الملائمة بين دوافعهم ورغباتهم وبين العالم الواقعي المحيط بهم على طريقة « فرويد » في التعبير وهذه النزعة الى الواقع يساندها النمو العقلي للمراهق مما يعينه في تحليل المواقف التي تواجهه وحسن تقديرها وفهمها كما يسندها شدة الميول ويقظة الحياة الوجدانية التي تدفع بالمراهق الى توسيع اتصالاته بالعالم الخارجي .

ونجاح المراهق في التسلط على دوافعه وتوجيهها وفي التكيف الأجتماعي والمهني يعتمد على قدرته في فهم المؤثرات الخارجية المحيطية به سواءاً كانت مادية أم اجتماعية أم فكرية .

٦ ـ تكامل الشخصية : ان الهدف الذي ينبغي ان يتجه نحوه التطور السليم انما هو تكامل الشخصية وهو هدف ينبغي أن يصل المراهق الى نصيب منه وان كان من العسير الوصول الى اتمامه .

ومن المهم خاصة ان يبلغ المراهق قسطاً من التوازن بين جوانب النمو المختلفة الجسمية والفكرية والاجتماعية فان التفاوت فيها قد يسبب مصاعب كثيرة في سبيل التطور .

ومن المهم ايضاً في مرحلة المراهقة انتظام الدوافع والأنفعالات في منظومات تصاعدية تنسجم بعضها مع بعض وتتسلط عليها رعاية الذات . وان يبلغ المراهق في هذه الفترة مايجعله يتجاوز مستوى العرف والتقاليد في احكامه .وتصرفاته الخلقية الى مستوى يظهر فيه شيء من الابتكار والابداع .

ويحدد (البورت) المقاييس الثلاثة الاتية للشخصية وتكاملها :

١ ـ ان يملك الشخص ذخيرة واسعة في الميول تجعل بأمكانه ان ينغمر في مطالبها بصورة ذاتية وهو مسترسل على سجيته من غير كلفة او عناء فينغمر في العمل وفي الدراسة والتأمل وفي الولاء للآخرين وللمجتمع وبذلك يتخلص من التركيز الذاتي .

٢ ـ ان يصل الى النظر الى ذاته نظرة موضوعية ويعرف منزلتها الحقيقية بالنسبة للآخرين فلا يغلو في تقديرها ولا يغلو في الاستهانة بها وهذه هي البصيرة التي تجعل المرء ينظر الى نفسه كما يراها الاخرون على حقيقتها .

٣ ـ أن تكون له وجهة عامة في الحياة يمكن ان تسمى فلسفة حياة تحدد الاحداث المنحرفون هم فئة من الافراد لايختلفون عن غيرهم من أفراد المجتمع الذين يخالفون القوانين السلوكية ومن الناحية القانونية يصطلح عليه بأنه ضار اجتماعياً ويختلف من مجتمع الى آخر حسب القيم الاجتماعية والاخلاقية والآراء والمبادىء . (٣١ ـ ص ٩٨٦ ـ ٩٨٩) .

مفهوم الجنوح

لفظة الجنوح تعني الاثم . وهو كل فعل يعاقب عليه القانون الجنائي . يتمثل في مظاهر السلوك المنحرفة عن النموذج المتوسط الذي يمثل النموذج السليم ، وهي افعال لو صدرت عن الكبار لعوقبوا عليها كجرائم، والنموذج المتوسط يمثل حسب تفسير دوركايم (E,Durkheim) ـ صورة لحدث متكامل نموه النفسي والجسدي والعقلي بحيث يستطيع التكيف مع جماعته الأسرية والمدرسية والمهنية ، وجماعات اللعب وغيرها ، في حدود القوالب الاجتماعية والأساسية في علاقاته مع الآخرين من جهة . وفي تصرفاته الذاتية من جهة اخرى . ولهذا فأن مضمون الانحراف يمكن ان يتسع ليشمل انماطاً تبتعد بدرجات متفاوتة عن النموذج الوسطي هذا هو التفسير الاجتماعي . اما من حيث المفهوم النفسي فأن الحدث المنحرف او الجانح هو طفل يعاني اضطراباً وصراعات نفسية يفصح عنها بأشكال من السلوك المنحرف وبأسلوب يؤذي نفسه او غيره ، وهو بذلك لايختلف عن المريض نفسياً ، ويمثل الانحراف عادة محاولة من جانب الطفل لحل مشكلة خطيرة او بعيدة الأثر في نفسه .

وبعبارة اخرى فان علماء النفس ينظرون الى شخصية الحدث المنحرف ، وليس الى الفعل نفسه ، ولذلك فهم يفرقون بين المنحرفين المرضى والمنحرفين الاسوياء ، على اعتبار ان الانحراف في الحالة الاخيرة يرجع الى المجتمع وظروفه ، وليس الى الفرد نفسه »

علما بأن هناك اختلافا بين المجتمعات المختلفة في تحديد سن الحدث . وفي العراق حدده المشرع في المادة الثالثة من قانون رعاية الاحداث رقم ٧٦ لسنة ١٩٨٣ كما يأتي : ـ

١ ـ يعد صغيراً من لم يتم التاسعة من عمره .
٢ ـ يعد حدثاً من اتم التاسعة من عمره ولم يتم الثامنة عشرة .
٣ ـ يعد الحدث صبياً اذا اتم التاسعة من عمره ولم يتم الخامسة عشرة .
٤ ـ يعد الحدث فتى اذا اتم الخامسة عشرة من عمره ولم يتم الثامنة عشرة .
٥ ـ يعد وليا ، الاب والام او اي شخص ضم اليه صغير او حدث او عهد اليه بتربية احدهما بقرار من المحكمة»

» قانون رعاية الاحداث ، وزارة العدل دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٨٣ ، ص ٥ رقم (٧٦) لسنة ١٩٨٣ .

صور جناح الاحداث :

صور الجنح عديدة ومتنوعة ، وعقوبات القانون تختلف باختلاف نوع الجريمة .

وفيما يأتي تعدد كل مايمكن ان يدخل تحت الادانة بالجنوح في مختلف اقطار العالم بغض النظر عن التصنيف القانوني التقليدي للجرائم الى مخالفة او جنح او اجرام او الى مواد وفقرات جزائية وهي :

١ـ جرائم السرقات عامة :

أ ـ السرقة حسب اماكن وقوعها (المساكن ، المحلات التجارية ، السطو على المحلات الاخرى .. الخ)

ب ـ السرقة حسب ظروفها (بالاكراه والعنف ، بالسلاح او بدونه) .

جـ ـ الاختلاس (سرقة اموال لحيازتهم ، اي في دورهم او المحل الذي يعملون فيه) .

د . الحيازة (اخذ اموال او مواد تعود للغير) .

٢ ـ الجرائم المخلة بالاخلاق والآداب العامة : ـ

أ . سوء السلوك .

ب . افساد الأخلاق ، كممارسة القمار وخدمة من يقوم بذلك .

جـ .النصب والأحتيال والرشوة .

د . الهرب من المدرسة .

هـ . القذف والسب .

و . المروق (أي التهرب من سلطة الاب او الولي او الوصي او مخالطة المشردين) .

٣ ـ الجرائم الجنسية :

أ . الاغتصاب (هتك العرض بالقوة والأكراه) .

ب . هتك العرض لمسلوب الأرادة .

جـ . المثلية الجنسية (اللواطة) .

د . توزيع الصور الجنسية المخلة بالآداب والحياء .

٤ ـ جرائم العنف والقتل :

أ . القتل المتعمد .
ب . القتل الخطأ .
جـ . الايذاء الجسمي (العراك) .
د . حمل السلاح دون ترخيص رسمي .
هـ ـ التخريب والشغب .

٥ ـ تعاطي المخدرات او الأشتراك بتسويقها وبيعها .
٦ ـ الحرق العمد والغرق العمد .
٧ ـ التزوير وتقليد الاختام والمعلومات والطوابع وجوازات السفر .
٨ ـ التشرد (التسول في الطرق العامة) ولا يعدها بعضهم من ضمن السلوك الجانح بل هو طريق يؤدي الى الجنوح . وفي معظم القوانين العالمية لايعد التشرد بالأصل جريمة تستوجب العقوبة بل تحتاج الى التدابير الوقائية (١١ ـ ص ٢٩ ـ ٣٠) .

وقد حدد التشرد في المادة ٢٤ من قانون رعاية الاحداث العراقي رقم ٧٦ لسنة ١٩٨٣ بما يأتي : ـ

أولا : ـ يعد الصغير او الحدث مشرداً اذا :

أ . وجد متسولا في الاماكن العامة او تصنع الأصابة بجروح او عاهات او استعمل الغش وسيلة لكسب عطف الجمهور بقصد التسول .
ب . مارس متجولاً صبغ الاحذية او بيع السكاير او أية مهنة أخرى تعرضه للجنوح . وكان عمره أقل من خمسة عشرة سنة .
جـ ـ لم يكن له محل أقامة معين او اتخذ الأماكن العامة مأوى له .
د . لم تكن له وسيلة مشروعة للتعيش وليس له ولي او مرب .
هـ ـ ترك منزل وليه او المكان الذي وضع فيه بدون عذر مشروع .

ثانيا : ـ يعد الصغير مشرداً اذا مارس اية مهنة او عمل مع غير ذويه*

٩ ـ مخالفات المرور .
١٠ ـ الأخبار الكاذب . شهادة الزور . اليمين الكاذبة .
١١ ـ انتحال الوظائف بالصفات الشخصية .
١٢ ـ الهرب من المدرسة الأصلاحية او دار الملاحظة او دار رعاية الفتيان .
١٣ ـ المخالفات المتعلقة بالأضرار بالصحة العامة أو الراحة العامة او قتل الحيوانات .

فبالنسبة للاحداث فان قانون الأحداث في تلك الدولة يستبدل العقوبات بغيرها ويتخذ اجراءات قضائية وامنية اخرى تعد منبثقة ومتممة او نافية لقانون عقوبات البالغين وتتخذ لها قانوناً خاصاً يدعى « بقانون الأحداث . وقد يدرج بعضها في القانون الجزائي العام . (١١ ـ ص ٣٠ ـ ٣١)

انماط الأحداث المنحرفين :

يميل بعض العلماء الى تقسيم الأحداث المنحرفين الى انماط يتميز كل نمط بخصائص تفرق بينه وبين النمط الآخر واليك انواعاً من هذا التقسيم :

١ ـ حدث العصابة :

يسمى « جينكنز وهيويت » « الحدث من هذا النمط » بالمنحرف المطيع اجتماعياً . وهو النوع السائد بين الاحداث المنحرفين الذي لايقوم بنشاطه الاضمن جماعة من المنحرفين مثله . وهو في العادة لايحتمل الوحدة ، وعلى استعداد للقيام باي عمل من اجل الجماعة التي ينتمي اليها ، اذ ان معايير الجماعة عنده اهم من اي معايير اخرى ، لذلك كان هذا النوع من أصعب حالات الانحراف لحاجته الدائمة الى الجماعة المنحرفة التي يصعب عزله منها .
وتتخذ المعايير التالية لتحديد هذا النمط :

أ . الصداقة مع امثاله من المنحرفين .
ب . يتم نشاطه المنحرف او الهرب مع جماعة من امثاله .

---

* قانون رعاية الاحداث ، رقم ٧٦ لسنة ١٩٨٢ ، ص ١٥ ـ ١٦ .

جـ . يقوم بدور ايجابي في الجماعة المنحرفة .
د . يقوم بالسرقة مع الجماعة .
هـ . يتزين بالزي الذي يطبع المنحرفين ويتكلم بالطريقة التي يتكلمون بها .
و . يتردد على دور اللهو .

مع ملاحظة ان هذه المعايير مستمدة من الثقافة الغربية وقد لاتنطبق على الحدث المنحرف في ثقافتنا .

٢ ـ الاعتدائي اللااجتماعي

يقابل المنحرف المطيع اجتماعيا الحدث الذي يسميه (هيويت وجينكنز) « الحدث الاعتدائي اللااجتماعي . والمعايير التي تتخذ لتحديد هذا النمط هي :

أ . العزلة عن الاصدقاء .
ب . القيام بنشاطه منفرداً .
جـ . العجز عن الانتماء لأي جماعة .
د . لايوجد له اصدقاء حميمون .
هـ . يتميز بالخجل والأنسحاب .
و . لايتصف بصفات القيادة بينهم .
ز . غير محبوب بين اصدقائه .
ح . قد لايبدو للناظرين نشيطاً .

٣ ـ المنحرف العرضي :

ويرى « واتنبرج » ان هذا النمط ينحرف ويقبض عليه لأرتكابه مايخالف القانون نتيجة لسوء تقديره للموقف او لمشكلات اعترضت طريق نموه السوي . اي ان الحدث يكون عادة سويا في تكوينه النفسي غير انه لم يقدر خطورة ماقام به ولعله قام بما قام به لانه راى كل من حوله يقومون بنفس الفعل ، أو لعله قام به لاعتقاده ان هذا عمل يدل على القوة . وتكون المخالفة التي يرتكبها مثل هذا المنحرف احياناً خطيرة من ناحية نتائجها لامن ناحية القصد فيها .

٤ ـ المنحرف العصابي :

ويعد « واتنبرج » ان هناك حالات من الانحراف يكون الانحراف فيها نتيجة لصراع يتم التعبير عنه بسلوك منحرف . والمنحرفون من هذا النوع من ابناء الطبقات الممتازة اجتماعيا . ولا يمكن ان يعزى انحرافهم الى الاسباب الاجتماعية المعروفة كالفقر والجيرة السيئة ... الخ .

وهنا يمكن القول ان الانحراف انما يعزى لعوامل لاشعورية ، ويسوق « واتنبرج » امثلة ثلاثة على ذلك . المثل الاول يقوم ولد حسن السمعة والسلوك بسرقة يقبض عليه فيها فيقترف مما يثير هلع الوالدين ، غير ان الولد يحس بالراحة لأعترافه ، فهو يسعى للعقوبة لشعوره بالذنب ، ويجد الباحث المدقق انه قام بالسرقة مهيئاً الظروف للقبض عليه وكأن العقوبة ترفع عن كاهله عبئا ليعود الى السلوك السوى الذي اشتهر به .

والمثل الثاني للشاب الذي قد يتشكك في رجولته وقدرته الجنسية ، فيسعى الى المغامرات الجنسية ليثبت رجولته ، او للعراك ليثبت قوته او ما الى ذلك والمثل الثالث للتعطش للحب ، وحب الكبار للطفل يعني اغداقهم عليه بالهدايا فاذا كان من يهمه حبهم لايعطونه هذه الهدايا فليكرههم عليها بسرقتها منه .

٥ ـ النمط المختلط :

ليس من السهل تصنيف السلوك المنحرف طبقاً لأي نمط لأن الواقع يبين ان قليلاً من الافراد يمكن تحديد نمطهم بينما الغالبية قد ينطبق عليها اكثر من نمط ، فقد يوجد بين نمط العصابة من يتصف سلوكه بالأعتداء . وقد يكون في هذا النمط المنسحب المنزوي الذي يسعد بوصف زملائه له بأوصاف شتى . لهذا كان التقسيم الى انماط تقسيماً مصطنعاً لايقصد منه سوى سهولة الدراسة ، لان السلوك المنحرف كما سبق ان بينا سلوك معقد تتداخل فيه عدة عوامل وتتفاعل ويصعب عزل هذه العوامل عن بعضها . ففي الحالة الواحدة قد تلعب عوامل الذكاء ، والتكوين الجسمي والآباء والمدرسة والاصدقاء والجيرة مما يحتم دراسة كل حالة على حدة طبقاً لظروفها ، وقد يساعد على هذا الفهم اشتراك اكثر من متخصص واحد لفهم سلوكه ، اذ قد يشترك في ذلك الطبيب ، والطبيب النفسي ، والاخصائي الاجتماعي ومن اليهم في دراسة الحالة لفهم ذلك السلوك .

الأسباب المؤدية الى جنوح الاحداث

هناك اتجاهات ونظريات متعددة في تفسير ظاهرة الجنوح من اهمها : ـ

١ ـ الاتجاه البيولوجي :

كاد الاتجاه البيولوجي في تفسير الجريمة يختفي من علم الاجرام الحديث لولا ظهور معلومات وحقائق علمية جديدة حول الموضوع . فبعد ظهور الدراسات والبحوث المتعددة توجه الأهتمام الى دراسة الجريمة كسلوك بشري يتعلق بالفرد والمجتمع ومن ثم تبلورت بصفة مدارس في علم الجريمة اتصفت بالدراسة الجدية للأنسان ولظروفه وبيئته وكانت هناك مدارس اصلاحية سواءا كانت صحيحة ام غير صحيحة علمياً انذاك ..

وفيما يلي الجوانب البارزة في بيولوجية الجانح : ـ

١ ـ التكوين الأجرامي

كانت نظرية الطبيب وعالم الاجرام (سيزار لومبروزو) **C.Lombroso** من ابرز النظريات البيولوجية ، لأنها أرجعت الجريمة والأنحراف الى سمات وصفات تكوينية في الفرد تهيئه للجنوح ، كما ان هذه الميول الأجرامية ليس كامنة في التركيب البيولوجي (الوراثي) فقط بل انها تبدو على سيماء المجرم وتقاطيعه وسحنته وشكل جمجمته وأيد (موريل) نظرية لومبروزو . وكان وجود الجنوح بين الأحداث وفي فترة المراجعة على الخصوص أحد الأدلة التي استغلها دعاة النظرية التكوينية والخلقية بأعتبار الغرائز قد ظهرت مبكرة في الشخص المجرم . وبذلك سادت فكرة « المجرم بالوراثة » لحقبة من الزمن والى اوائل القرن العشرين . وهي الفكرة التي تناقض فكرة « العوامل الخارجية » والأجتماعية للجنوح . ويذكر (آنجو) **Ahnsjo** مثالاً للتناقض هذا ما ظهر في احدى الدراسات للأحداث الجانحين اذ كانت العوامل الوراثية تشكل ٨٨ ٪ والعوامل الخارجية ١٥ ٪ بينما كانت في دراسة اخرى ٥٠ ٪ وفي دراسة ثالثة صفراً .

على ان التقدم العلمي في ميادين الوراثة والطب وعلم النفس والدراسات الاحصائية المتلاحقة سرعان مادحضت نظرية (لومبروزو) الضيقة وحفزت الأبحاث على ايجاد تفاسير أوسع شمولا واعمق نفاذاً فقد وجد العالم (جورنج) ان السمنة

والتقاطيع الاجرامية التي اعتمد عليها لومبروزو في تشخيص المجرم موجودة لدى الطلبة الجامعيين والناس الأبرياء بنفس معدل وجودها بين نزلاء السجون .

وقد درس جلويك ، جلويك (Glueck & Glueck) عام ١٩٥٦ التركيب البنيوي للجانحين ووجد أن الفتى الجانح يميل عادة الى البنية العضلية الممتلئة (المكتنزة) . كذلك وجد (جيينز) في مجموعات من سجون انكلترا ومدارسها الأصلاحية ان اكثر الجانحين من العضليين .

أما محاولات (شيلدون) لأيجاد علاقة بين الجنوح ومقاييس الجسم من طول وعرض وسمنة فلم تحظ بالنجاح ، لكن (شازال) يعتبر ان عدم التنافس بين النمو الجسمي السريع بالنسبة الى النمو العاطفي (او النضج العقلي) هو السبب في التهيئة للجنوح . (١١ ــ ص ١١٣) .

٢ ــ الوراثة :

وراثة الأجرام نظرية قديمة أحياها لومبروزو كما ذكرنا سابقاً . الا ان المقصود هنا ليس مجرد التكوين ، بل وراثة الصفات (الجينات والكروموسومات) التي تدفع بالمصاب الى الاجرام واستعداده له .

ودراسة التوائم هو الميدان الادق لاثبات او دحض ذلك . فقد وجد (لانجيه) Lange ١٠ توائم جانحين من مجموعة ١٣ توائم متشابه واثنين من مجموع ١٧ توأم متاخي . وايد ذلك بابحاث اخرى كل من (كراتز) و (روزانوف) و (هاندي) وكما ان (ايزنك) يذكر ظهور الجنوح بنسبة ٨٥ ٪ بين التوأم المتشابهة Identical- Twins وبنسبة ٧٥ ٪ بين التوأم المتاخية Non - Identical -Twins . ويدل كل ذلك على ان الجنوح اكثر احتمالا بين التوائم المتشابهة مما هو عليه بين التوائم المتاخية ، ولكنه لا ينفى عامل البيئة (وهي التي تتراوح من ١٥ ــ ٢٥ ٪) ، ولا يعني ايضا ان الوراثة تتم بالاسلوب البسيط لقوانين (مندل) ولا ان وراثة الصفة الاجرامية تعني بوراثة الاجرام بل « الاستعداد له » .

وفي اوائل منتصف القرن العشرين تقدمت دراسة اشكال الكروموسومات في الخلية . وظهرت دراسات حول العلاقة بين أشكال الكروموسومات الغريبة والقوى العقلية والاجرام والجنوح . وكان من جملتها اكتشاف كروموسوم ذكري (Y) بالاضافة في مجموعة من المجرمين اللااجتماعيين (السايكوباثيين) الاعتدائيين

طوال القامة . اي ان كروموسوماتهم تكون X بدلاً من XY وقد وجهت انتقادات الى هذه الدراسة لانها مستمدة من المستشفيات العقلية فقط . وان دراسة كروموسومات الاحداث الجانحين لم تظهر وجود مثل هذا الخلل . كما انها تفرق بين المجرم الاعتيادي والبالغ و بين الحدث الجانح الصغير .

الا ان نظرية (آيزنك) في الشخصية الأجرامية أعادت الى الأذهان مرة اخرى عامل الوراثة والتركيب البيولوجي وقد وجد الدكتور (ميدنيك) ان للجنوح علاقة بالوراثة لأنه وجد كثرة الجنوح بين احداث تبين ان آباءهم الحقيقين كانوا جانحين مجرمين بينما لم يجد علاقة بين جنوح وسلوك آبائهم الثانويين . وهذا يؤيد وجهة نظر الاستاذ « لي روبين » Lee-Robin عام ١٩٦٦ من ان وجود اب مدمن او مجرم له تأثير على سلوك طفله حتى وان لم يطلق الاثنان قط .

٣ ـ الامراض العضوية :

كانت بقايا نظرية لومبروزو منعكسة على اوائل نشوء علم النفس والطب النفسي والطب النفسي الحديث . وهذه النظرية تربط بين المميزات الجسمية او الخلقية وخاصة في الوجه والجمجمة و بين انواع من النقص العقلي . او الاضطرابات الخلقية او اشكال الانحراف . وتعرف هذه النظرية باسم النظرية الجسمية وهي تقول : ان المجرمين يتميزون عن غيرهم بسمات بدنية يمكن ملاحظتها في بيئتهم الخاصة . فهي بهذا تربط بين حالتهم الجسمية و بين تصرفاتهم الشاذة . وبهذا اصبح الاجرام ثابتا يصدر عن افراد معينين لهم شخصياتهم الذاتية وهم مجبرون في اجرامهم لان تركيبهم الجسمي يرغمهم على الاتيان بافعالهم غير السوية . ولهذا سميت هذه النظرية احيانا بالنظرية الجبرية . (٣٨ ـ ص ٢٤١)

لقد ظهرت عدة نظريات عززت اركان نظرية « لومبروزو » اذ قام (جورلج) Goring بدراسة علمية اراد ان يثبت عدم اصالة تلك النظرية حيث قام بدراسة مسح فيها مجتمعا كبيرا من نزلاء السجون في انجلترا واستعمل في ذلك طرق القياس الاثنوجرافي لتقاطيع كثيرة من الجسم واكد بذلك انه لا يوجد نمط بيولوجي او تشريحي محدد للجناح او الاجرام كما وصفه لومبروزو .

كذلك قدم كل من هيلي وهوايت دليلاً على عدم صحة هذه النظرية في تفسير الجناح . وأكدا أثر العوامل النفسية التي تعوق العوامل البيولوجية والفسيولوجية التي

هي محددات للانحرافات السلوكية ومقررات لها وخاصة بعد ان اجرى « هيل » ابحاثه على حوالي ١٠٠٠ من الجانحين ، أكد بعدها ان هناك عوامل نفسية معقدة في طبيعتها متداخلة في بعضها يمكن ان تكون مسؤولة اكثر عن الانحرافات السلوكية عند الأطفال ، وفي الوقت نفسه أكد بأنه لايستطيع معارضة اي رأي ينادي بوراثة الاجرام او طبيعة المجرم بالميلاد (٣٨ ـ ص ٢٤٣)

ان اهم نقد يوجه لهذه الاتجاهات التي كانت تغلب عامل الوراثة او الاستعداد الفسيولوجي في تحديد الانحرافات السلوكية هي انها اهملت اثر البيئة في تعديل السلوك .

وكما ان الامراض والعاهات الجسمية تدخل في جملة العوامل التي قد تؤدي الى الجنوح اذ ان الدراسات الحديثة دللت على عدم وجود علاقة مباشرة بين المرض العضوي او العاهة والجنوح .

وعلى الرغم من ذلك فان دراسات سريعة وغير دقيقة أدعت وجود علاقة بين الجنوح ومرض ا لتدرن الرئوي او الملاريا او الزهري وحتى الصرع الذي عدّ اساس السلوك الاندفاعي نحو اللذة او النكوص الطفولي . ان علم الامراض العصبية والنفسية الحديث يشير الى ان الأمراض التي يمكن ان تؤدي فعلاً الى اضطراب في السلوك هي الاذى على الرأس وتخريب الدماغ الذي يحدث أحياناً اثناء الولادة العسرة او بسبب التعرض للاختناق أو بسبب اختلاف فصائل دم الأبوين وكذلك التهاب المخ الذي يمهد للسلوك اللااجتماعي والجنوح .

أما العاهة الأعتيادية فانها يمكن ان تؤدي الى سلوك جانح ليس بسبب تخريب عضوي في الدماغ والجهاز العصبي بل بسبب الشعور بالنقص وملحقاته التي شرحها (ادلر) في نظريته عن التعويض عن شعور النقص .

٢ـ الامراض النفسية والعصبية والذهان

المرض النفسي لايعني بالضرورة الندرة او الغرابة ولا مجرد السلوك غير الطبيعي الا اذا كان مقارناً ومقاساً بالنسبة الى ثقافة معينة ومجتمع خاص بحيث يؤدي استمراره ووجوده لدى الفرد الى اضطراب في شعوره بالراحة والصفاء والأمن والى الاخلال بكفائته الأنتاجية كعضو في مجتمع والى تشويش نظرته الى الناس والعالم او بعلاقته معهم .

ويمكن تعريف الصحة العقلية السوية بما يأتي « هي الكفاءة العقلية والانسجام النفسي الداخلي الذي لا يعرقل الانتاج الفردي او حركة الجهاز الاجتماعي والثقافي العام ، ويكون مصحوباً عادة بشعور من الارتياح والسعادة .

والمرض النفسي هو كل ما لا ينسجم مع هذا التعريف وفهم المرض النفسي واعراضه ليس بالأمر الهين . وقد اختلفت مدارس علم النفس المعاصرة وبقية العلوم الحياتية والطبيعية بتوضيح المرض النفسي ، ومن ابرز المدارس المعاصرة هي الفرويدية وخطتها في التحليل النفسي للأعماق وقد قدمت مفهوماً حياً لالية الحياة العقلية ووضعت الاسس الايضاحية للاعراض النفسية المرضية . وقد فعلت بقية المدارس المقاربة للفرويدية الاثر نفسه ايضاً كمدرسة يونج وجماعة فرويد المعاصرين مثل فروم وهورني وسوليفان

اسباب المرض النفسي متعددة ومتشابكة . وفي الفرد الواحد تتعدد الاسباب كذلك . ونادراً مايوجد سبب واحد للمرض الواحد . ويمكن تصنيف الاسباب الى ثلاثة مجموعات عامة هي :

١ ـ الاسباب البيولوجية
٢ ـ الاسباب النفسية
٣ ـ الاسباب الثقافية .

ولفهم كيفية حدوث المرض النفسي يجب تقسيم العوامل السببية الى نوعين :

١ ـ العوامل المساعدة او الممهدة .
٢ ـ العوامل الحاسمة او الترسيبية .

فالعوامل الممهدة هي التي تجعل من الفرد عرضة للأصابة بمرض نفسي معين اكثر من مرض آخر وقد تكون عوامل وراثية او عضوية او اجتماعية . فالحرمان العاطفي والجفاء الذي يتعرض له الطفل قد لا يستطيع في المستقبل مواجهة مصاعب الحياة الواقعية ، اي اكثر استعداداً للأصابة بالعصاب مثلاً . او العوامل الحاسمة في ترسب او تبلور المرض كحقيقة سريرية ملموسة . فهي اذن شدائد مباشرة اذا توجهت الى فرد مستعد فجرت فيه المرض النفسي وأظهرته .

وهناك اتجاه اخر لدى بعض العلماء يقسمون على مجموعتين هما :

١ ـ عوامل داخلية في ذات الانسان .
٢ ـ عوامل خارجية او (محيطية) .

واذا تناولنا الاسباب البيولوجية التي تشمل على مجموعة من العوامل الوراثية ـ والتركيبية والمرضية تعمل كل واحدة منها على حدة او تشترك مع بعضها . ان كل صفة بشرية ناتجة عن وراثة تشكيلات خاصة من الجينات ، بالأضافة الى مفعول القوى المحيطية . وتعد الصفة الوراثية نقية عندما تعتمد كلياً على تشكيلة من الجينات الوراثية كلون العين والطول ... الخ . اما اذا كانت الصفة نتيجة جينات ومضافاً اليها ظروف محيطية فتكون غير وراثية خالصة بل يطلق عليها ولادية بمعنى ان عوامل في داخل الرحم قد حورت من الطاقة الوراثية فنتجت عنها صفات اخرى مزيجة من الوراثة الخالصة والمحيط .

وفي الدراسات الحديثة لأشكال الكروموسومات واعدادها تكشفت حقائق جديدة عن دور الوراثة في المرض العقلي والسلوك البشري . فقد وجد كروموسوم جنسي ذكري **(Y)** اضافي على العدد الطبيعي في الذكور السيكوباثيين الاعتدائيين ، وكان ذكاؤهم طبيعيا وفاماتهم طويلة كما وجد ان نسبة كبيرة من المرضى الذهانيين في المستشفيات العقلية يحملون كروموسوم جنسي انثوي **(X)** اضافي على العدد الطبيعي في الذكور والأناث على السواء .

ان وجود ادلة قوية على العوامل الوراثية في أمراض الفصام والكآبة والهوس والصرع لا يعني كونها وراثية صرفة . بل ان الاستعداد الوراثي في حاملي الجينات المذكورة يجعلهم اكثر استعداداً للاصابة بالمرض في حالة توفر ظروف اخرى .

اما العوامل التركيبية فيقصد بها مجموعة الصفات الحياتية للشخص والناتجة عن تلاحم عوامل متفرقة وتجمعها من الكروموسومات والجينات الوراثية . وظروف الحمل ونوعية البنية والجسم والجهاز الهرموني وكل نواحي فسلجة الجسم .

وتعني العوامل المرضية الاصابة بأمراض عضوية تغير من تركيب الجسم ومن توازن اجهزته ومن انتظام جهازه العصبي .. ولذلك يحدث اضطراب عقلي يصل الى حد الذهان او الخرف ومن الامراض المهمة التي تؤثر في عقلية الانسان وسلوكه الاذى والصدمات على الرأس (الرجة الدماغية) والتهابات السحايا والتهاب انسجة الدماغ وامراض القلب وسوء التغذية والامراض المزمنة .. الخ

اما الاسباب النفسية فتعود الى عوامل عدة فبناء الشخصية يقرر درجة المرض العقلي ونوعيته وكل فرد يمر بأدوار من الطفولة وحتى الشيخوخة وهناك عوامل

عديدة تؤثر على مسيرة نمو كل مرحلة . فتتدخل عوامل البيئة البيئية والمدرسية في مرحلة الطفولة مما يحدد عملية التكيف الاجتماعي . وفي المراهقة تظهر عوامل النضج الجنسي وما يتبعه من اعراض تحدد علاقة المراهق بالاسرة والمدرسة والاصدقاء والمجتمع ، ويأتي دور الشباب وتبرز عوامل اخرى كالزواج والابوة واحتمالات الطلاق ثم مشكلات المهنة وكسب العيش .

وفي دور الكهولة ، تظهر عوامل التوقف ثم التراجع في النشاط الجسمي وتبديلا البيت والاسرة ثم بدء سن اليأس واضطراباته وفي مرحلة الشيخوخة ، تبدأ عوامل اخرى في التأثير على الانسان كالانحطاط في القابلية الجسمية والاضطرار الى الاعتماد على الغير ماديا أو جسميا أو اجتماعيا . كذلك تبرز عوامل الوحدة والكآبة والعزلة والشعور بالتفاهة .

ويتدخل المحيط الثقافي **(Culture)** في عملية نضج الشخصية الاساسية وبنائها واتجاهها والعوامل الثقافية (التي تشمل العادات والتقاليد والطقوس والاعتبارات والمعايير التأريخية والتراثية والشعبية) لها تأثير غير مباشر على حدوث المرض العقلي ، وفي حالات خاصة وشديدة قد تكون هي السبب المباشر*

اما الامراض العقلية (الذهانية) فتختلف عن العصاب النفسي باحتمال كونه من الامراض الداخلية المنشأ المتعلقة بالدماغ والوراثة والتغيرات الكيمياوية في الجهاز العصبي . وهو يؤثر

في شخصية الانسان المصاب بصورة عميقة ويحور من تفكيره ونظرته الى الناس والحياة ويفقده الاستبصار .

ومن اكثر انواع الذهان بين الصغار والاحداث هو الفصام العقلي أو الشيزوفرينيا ويبدأ عادة حوالي البلوغ والشباب (من ١٥ سنة فما فوق) وربما ابتداء من السابعة من العمر واختلاف العلماء الامريكان عن الاوروبيين في كيفية تشخيص الفصام هو من اسباب الاختلاف في علاقته بالجنوح . ويعد العلماء الاوربيون ان الفصام احد مسببات الجنوح .

---

* فخري الدباغ ، اصول الطب النفسي ، ط ٢ ، مطبعة جامعة الموصل ، الموصل ١٩٧٧ ، ص ٨٢ - ٨٦ .

ان ما يمكن التأكيد عليه ان الاسباب العقلية والجسمية لجنوح الاحداث قليلة . اما نسبة الذهان في الاحداث الجانحين فلم يؤيد أي بحث جرى حتى الان على انـه عامل مهم في جنوح الاحداث ، بـل ان العلاقة كما يبدو عكسـية (١١ـ ص ١١٨ـ ١١٩).

ـ **الذكاء والجنوح :** الذكاء هو عنصر بيولوجي آخر يتعلق بالوراثة والاستعداد وبالبيئة كذلك وبما ان تحديد نسبة وزن الوراثة والبيئة في درجة ذكاء الانسان موضوع جدل مستمر . فأن نظريات الاجرام القديمة كانت تربط بين الجنوح والتأخر العقلي حتى قيل ان ما لا يقل عن ٥٠ ٪ من الجانحين هم متأخرون عقليا وقد اعتقد كثيرون ، وقبل ان تظهر وسائل قياس الذكاء الدقيقة ، بأن الجانح غبي أو متأخر عقليا . وهكذا اعتقد العالم (بيرس) **Pearce** بأن نسبة كبيرة من الجانحين هم ذوي ذكاء يقل عن المعدل العام . واعتقد (بيرت) **Burt** ان التأخر العقلي بين الجانحين هو خمسة اضعافه بين الاسوياء . عدّ (جودارد) **Goddard** معظم الاحداث الجانحين ضعاف عقول وقارن (ميرل) **Merril** ذكاء (٥٠٠) منحرف بعينة عشوائية من الاحداث الاسوياء تبلغ (٢٩٠٤) . فكان معامل ذكاء المنحرفين ، هو ٩١٢,٥ ٪ (الحد الادنى للمعدل العام) . ومعامل ذكاء الاسوياء ١٠١,٨ (الحد الاعلى للمعدل العام) وقد استعمل في ذلك اختبار (ستانفورد ـ بينية وهذا يدل على ان ذكاء الجانح اقل من ذكاء الاسوياء بفارق ضعيف جداً .

اما دراسة (جلويك وجلويك) فتبين ان الجانحين والاسوياء متماثلون في الاختبار العملي لمقياس (ويجسلر) ، بينما تقدم الاسوياء على الجانحين في الاختبار اللغوي لنفس المقياس وهذا دليل على اثر العامل الدراسي والتحصيل والمعرفة وليس الجنوح .

كذلك يبرهن اخرون بأن لا علاقة للذكاء بنسبة الجنوح كما ان دراسة مستفيضة قام بها كل من (كلارا جاسيل) و (هيل) و (برومر) دلت على عدم وجود علاقة بين الذكاء والجنوح . وان التأخر العقلي الموجود عند بعض الجانحين يعد من جملة العوامل المساعدة . ونجد ان دراسة (ماكورد وماكورد) تقول ان ذكاء المنحرفين متوسط أو فوق المتوسط ، وان الاذكياء منهم هم الذين يتحايلون وينمون من قبضة البوليس أي انه لا توجد علاقة مباشرة بين الانحراف ودرجة الذكاء .

ويقول الباحث الاجتماعي (ستوت) انه لا يعتقد على الاطلاق بان للغباء أو التأخر العقلي تأثيراً في حدوث الجنوح ، وان مقاييس الذكاء لن تصلح ابداً لارشادنا الى الجنوح ومسبباته ما لم ندرس جميع العوامل الاخرى سوية . (١١ ، ص ١٢٠ ـ ١٢٢) .

٦ ـ الشخصية السايكوباثية

تعني الشخصية السايكوباثية ، الشخصية المريضة نفسياً . وهذه التسمية تجعل من الصعب تحديد المظاهر التي يصح شمولها بهذا الاصطلاح . وقد دفعت هذه الصعوبة الى عشرات التعريفات لهذه الحالة . واقرب التعاريف استيفاء للخصائص الاساسية للشخصية السايكوباثية هو التعريف الذي جاء به (شيني Cheney) « ذو الشخصية السايكوباثية ، هو فرد يتصف بعدم النضوج العاطفي أو الطفولية ، مع نقص في المقدرة على تحكيم العقل ، وفي التعلم من التجربة ، وهو عرضة لانفعالات آنية ، تدفع به الى ردود فعل لا تأخذ الغير بعين الاعتبار كما يتصف بعدم الاتزان العاطفي ، وبالتقلب بسرعة عاجلة من النشوة الى الكآبة ، اما تلقائياً ، او لاقل الاسباب واتفهها . « ومن المظاهر الخاصة للشخصية السايكوباثية ، الاتجاه نحو الاجرام ، والتخلف الخلقي ، وعدم الثبات في مكان أو عمل معين ، والانحراف الجنسي ، اما الذكاء عند السايكوباثي ـ كما تظهره المقاييس ـ فهو طبيعي أو اعلى من المعدل وان كان بعض السايكوباثيين على الحافة في معدل ذكائهم .

وهناك نظريات استهدفت الاسباب المؤدية الى الشخصية السايكوباثية تتلخص بما يأتي :

١ ـ العامل الوراثي ، ان من الصعب اثبات العامل الوراثي بشكل علمي قاطع ، الا ان ورود حالات سايكوباثية في التوائم وفي العائلات ا لتي عرفت بوجود سايكوباث أو أكثر فيها ، يدلل على فعالية العامل الوراثي .

٢ ـ عامل المحيط ، ويرى كثيرون انه في غاية الاهمية في تكوين الشخصية في السنوات الاولى من الحياة . ومع اهميته فان الدراسات في هذا المجال قليلة ولا تكفي لاعطاء تقدير صحيح عن فعاليته . ومع ذلك فان البحث في هذا العامل يفيد بتصدع الصلات العاطفية والمادية والتربوية بين الطفل ووالديه . ومن غير الواضح فيما اذا كان هذا التصدع هو السبب أو النتيجة للحالة السايكوباثية مما يجعل امر التفاضل بين الوراثة والمحيط امراً صعبا .

٣ ـ ودلت بعض الدراسات ايضا على الحركة الكهربائية الدماغية للمصابين بالشخصية السايكوباثية ، ان هذه الحركة غير مكتملة النمو ، وان هنالك تخلفاً في نضوجها الى الدرجة التي تتناسب مع السن . ومن الصعب ان ندرك ان هذا التخلف قد جاء بسبب عامل طارىء في الطفولة اثر في مادة الدماغ ، أو جاء بسبب استعداد وراثي ، ويميل اعتقاد المختصين بهذا الفرع في الدراسة الى ترجيح العامل الوراثي .

هناك انواع متعددة للشخصية السايكوباثية وفيما يأتي بعضها :

١ ـ **سايكوباثية التعدي :** وفيها يقوم الفرد بالاعتداء على الغير بشكل اندفاعي سريع وبدون سبب أو على اثر اثارة غير كافية . ويؤذي المريض نفسه والاخرين ولا يشعر بالندم ولا يكترث للعواقب المترتبة على فعلته ، كما لا يفيد فيه اي اجراء عقابي .

٢ ـ **السايكوباثية الالزامية** ، وهي التي يدفع بها المريض دفعاً الزاميا للقيام بعمل اجرامي لافائدة منه كأن يقوم بأشعال النار في البيوت أو الممتلكات أو الغابات . أو سرقة ممتلكات الغير دون الحاجة ا ليها .

٣ ـ **سايكوباثية التخلف العاطفي :** وفيها تبدو الردود العاطفية للفرد طفولية وغير ناضجة وكأنها من صفات من هو اصغر منه سنا وتجربة وثقافة . ولذلك نجد المريض يقيم علاقات عاطفية أو جنسية أو اجتماعية مع من هم اصغر منه سناً .

٤ ـ **السايكوباثية الاخلاقية :** وفيها يظهر المريض وكأنه لم يعد اعداداً خلقياً ومعنوياً سليماً ومن مظاهر هذه الحالة الكذب والغش والخداع ، للوصول الى مايرغب به بأقرب وسيلة .

٥ ـ **السايكوباثية الابداعية :** وهي التي يعرف بها بعض المبدعين في مجالات الادب والفن . فمنهم من عرف بالشذوذ والانحراف في السلوك الى جانب عبقريتهم . ويبدو كأنه هنالك ارتباطا اساسياً بين النزعة السايكوباثية وبين القابلية الا بداعية . (٤٠ ، ص ١٤٥ ـ ١٤٩)

٦ ـ العمر : ان العمر بالنسبة الى الطب وعلم النفس عامل مهم من ناحية التكوين البيولوجي ومعايير السلوك البشري السوي والمنحرف . في مرحلة جنوح الاحداث (من الثامنة حتى الثامنة عشر من العمر) نرى كيف ان العمر يتعلق من ناحية بالنمو البيولوجي ومن الناحية الاخرى بالبيئة والجماعة وظروف العيش ، ثم نرى كيف ان صنفاً معيناً من السلوك المنحرف يتعلق بمرحلة من العمر وقليل الارتباط بمراحل اخرى . والدراسات العديدة في مختلف الاقطار في العالم تكاد تقارب بعضها في جوانب السلوك المنحرف وعلاقته بمرحلة معينة من العمر .

تتميز مرحلة المراهقة (١٥ ـ ١٨ سنة) بحب المغامرة والبحث عن تجارب جديدة ومشكلات المراهقين في الدول المتقدمة اكثر مما هي عليه في المجتمعات المتخلفة وكل ذلك يتعلق بالاتجاهات والميول المرتبطة بمرحلة العمر وبيولوجية الجسم البشري التي قد تدفعه الى مخالفة القانون والجنوح .

وفي العراق وجد ان التشرد يكثر في الاعمار ١٠ ـ ١٥ سنة ، واعلى نسبة للتشرد تنحصر بين الاعمار ١٣ ـ ١٥ سنة بنسبة ٥٠ ٪ . كما ان مكتب الخدمة الاجتماعية في محكمة احداث بغداد وجد في احصائياته من جرائم السرقة والعنف والجرائم الاخلاقية هي اعلى بين الفتيان من الصبيان (أي بعد الخامسة عشر من العمر)» (١١ ، ص ١٣٨ ـ ١٢٩)

٧ ـ الجنس : جنس الحدث عامل بيولوجي اخر في الجنوح . فهو مرتبط بالتكوين العضوي ، وبأنشطة اجهزة الجسم ، وبكميات الهرمونات الانثوية والذكرية في الدم ، ثم بفترة البلوغ عند الذكر وعند الانثى . ثم يرتبط اولا واخراً بالشخصية ككل .

والحقيقة التي لا تختلف فيها أية دراسة عالمية لحد الان ان جنوح الاناث اقل بكثير من جنوح الذكور ولذلك علاقة وثيقة بشخصية الانثى كمخلوق بيولوجي ذات شخصية تتقبل التقلبات والانعكاسات الشرطية التربوية وتساير القيم والتقاليد السائدة وتتلقى الدروس الحياتية وتحتفظ بها كالتزام وواجب ذاتي (نظرية ايزنك في الشخصية) . والاختلاف بين جنوح الاناث والذكور تدلنا بوضوح على اهمية الجنس على ان ندرة الجنوح بين الاناث لا تعني ان مقاومة الانثى اكثر من الذكر ،

بل على دور الانثى السلبي عادة وعلى تركيبها البيولوجي . وأغلب جنوح الاناث هي من نوع السرقة ، أو الهرب من المدرسة أو العراك ، أو المخالفات الجنسية .

فيبدو ان انحراف الفتيات يميل الان الى الارتفاع التدريجي ، وانه يتجاوز احياناً في مناطق متفرقة . جنوح الفتيان ، ففي فرنسا مثلا ارتفعت نسبة جنوح الفتيات عام ١٩٦١ بنسبة ١٨,٦ ٪ عما كانت عليه عام ١٩٦٠ ، بينما كانت نسبة جنوح الفتيان ١٤,١ ٪ في تلك السنوات (١١ : ص ١٣١ ـ ١٣٢) .

٢ ـ الاتجاه النفسي : يبحث هذا الاتجاه في العوامل النفسية المؤدية للسلوك الاجرامي حيث توجد حالات نفسية مرضية ينجم عنها نشوء سلوك مضاد للمجتمع . فيرجع جماعة التحليل النفسي الجنوح الى اضطراب في التكوين النفسي لشخصية الفرد . فالطفل عندما ينمو يتحول بالتدريج من اشباع رغباته والحصول على اللذة وتجنب الالم الى شخص يوجه طاقته نحو صداقة معينة تتفق ومتطلبات المجتمع وتتكون الانا **(Ego)** وهي تهيء السبل لاشباع الدوافع الغريزية لشرط انه تخضع لنظام الجماعة وتقاليدها . وبعض هذه الدوافع يكبت في اللاشعور مكونا الذات الدنيا أو الهي **(Id)** ولا بد من وجود قوة رادعة للدوافع الغريزية الملحة في اللاشعور لسلوك الطفل بغض النظر عن الوجود الفعلي للسطلة في الخارج أو غيابها متمثلة في الوالدين او اية سلطة ضابطة اخرى . وهذه القوة تبدأ بالتكوين عندما يبدأ الطفل بالشعور بالخجل والامتعاض اذا ما قام بما لا يباح له من اعمال ويذنب نفسه بالرغم من مسامحة الوالدين له وهذا ما يدلل على تكوين الذات العليا **(Super-Ego)** أو الضمير لديه .

وللتنشئة الاجتماعية اثر كبير في تكوين نوعية الذات العليا . فلاتجاهات الوالدين وسلوكهما تنمي الجانب الخاص لدى ابنائهم عن طريق تقمص شخصياتهم والذي يعد اساساً مهما في جنوحه .

ان الضمير الاخلاقي للجانح لم ينضج نضجاً كافياً بحيث يؤهله للحكم العادل المتزن في علاقاته بالذات وتصرفاتها . كما ان فاقد القدرة على التعبير والتحكم في تلك الدوافع والرغبات فينشأ عن ذلك عدد من الامراض النفسية كالقلق وعصاب القهر والظواهر الهيستيرية . ويرجع جماعة التحليل النفسية حالات الصراع واضطراب نحو الذات العليا الى علاقة الطفل بأبويه بسبب الصراع الاوديبي وقد

يرجع القلق الى انعدام الدفء العاطفي في الاسرة أو التناقض والتشديد في البيئة مما يشعره بالعجز . وقد يتخذ الفرد اسلوباً عدائياً لطريقة لخفض ومقاومة شعوره بالعجز امام عالم يشعر بأنه يعاديه ويلجأ هذا التبرير لاعادة شعوره بالامان . وهذا ما توصلت اليه (كارن هورني) .

اما (جون بولبي) فقد وجد ان الجنوح يرتبط بالحرمان من رعاية الام نتيجة للعلاقات المضطربة بين الوالدين وانعدام الدفء العاطفي والنبذ المستمر للطفل .

٢ ـ الاتجاه الاجتماعي

أ ـ العوامل البيئية الداخلية (الوسط العائلي) : يقصد بها العلاقات الاسرية كالعلاقة بين الوالدين والتصدع الاسري . الاسرة المفككة وسوء تصرف احد الوالدين واهمال الاسرة للابناء ونبذ الاباء والاشقاء والاصدقاء للحدث والاستعداد الاجرامي للاسرة . والادمان على المخدرات . وحالة الاسرة الاقتصادية . فالحياة الزوجية المضطربة تنعكس على الاطفال . او ان اثار الخلاف بين الزوجين في القيم والمعايير الاساسية يظهر في واحدة أو أكثر من الصور الاتية .

١ ـ تنازع الولاء للاسرة ككل . واضطراب الطفل ازاء الضغوط الانفعالية التي يعانيها نتيجة التوتر العنيف بين الوالدين الى الانتماء الى احد المعسكرين دون الاخر .

٢ ـ خيبة امل الطفل في مصدر السلطة وهو الاب ومظهر العطف وهي الام يدفعه الى الانتماء الى العصابات التي يجد فيها الاشباع العاطفي الذي يفقده في اسرته ويتعرض الطفل خاصة في مرحلة المراهقة الى حالات خطيرة من الانحلال الخلقي لانعدام الضابط الخلقي واهتزاز المثل العليا والقيم الاخلاقية في محيط اسرته .

٣ ـ ظهر ان نسبة عالية من حالات التشرد والمروق توجد لدى اطفال الاسر المضطربة أو المحطمة بسبب الهجر والطلاق أو وفاة احد الوالدين او كليهما .

فللعوامل الاسرية والتنشئة الاجتماعية اثر كبير في الانحراف . فالطلاق والهجر والترمل والانفصال وسجن العائل وكبر حجم الاسرة لها نتائج خطيرة على الاولاد وهي كما يأتي : ـ

آ ـ حرمان الاطفال من عنصر مهم من عناصر التربية والتعليم وهو اثر الوالدين .
ب ـ حرمان الاطفال من الموارد الاقتصادية الضرورية لتنشئتهم وتربيتهم تربية سليمة .
جـ ـ حدوث كثير من الصراعات بين افراد الاسرة مما يفقد الاحداث الشعور بالامان وعدم الاطمئنان والقلق النفسي .
د ـ شعور الاطفال بالاخفاق والشقاء للتغير المفاجيء الذي يصيب حياة الاطفال بعد الطلاق أو سجن العائل .
هـ ـ ادمان الاب على المخدرات مما يساعد على ضعف شعور الاب بالمسؤولية كما يقلب من احترام الاسرة للمسؤول عنها .
و ـ تدليل الطفل بصورة مفسدة فيقوم الوالدان بتلبية كافة رغباته فيوثر ذلك على شخصيته وقد يفسد السلوك عندما يترك الطفل يفعل ما يشاء .

٤ ـ الاباحية في الاسرة : من البديهي ان الاسرة التي تغذي ابناءها بمجموعة من الفضائل الانسانية والاخلاقية وبهذه المعايير وانماط السلوك التي امتصها من محيط اسرته يواجه الصغير مجتمعة الكبير . فاذا ساد الاسرة قيم لا أنسانية تصارعت لديه قوى المعايير المختلفة وكثيراً ما تضعف في نفسه القوى الرادعة نتيجة لعدم تغذيتها اصلا بمجموعة من القيم او المعايير تصبح المعايير المنحرفة مألوفة لديه فينحرف . اما الاباحية في الاسرة تشمل :

آ ـ عدم احترام العادات والتقاليد وانماط السلوك المتعارف عليها في مجتمعه وتقديرها .
ب ـ ضعف القوى الروحية او انعدامها .
جـ ـ انهيار معاني العفة وتغليب الغرائز والاستسلام لها .
د ـ الانصراف عن الالتزامات الاسرية والحفاظ على مقومات العلاقة بين افرادها .
هـ ـ استباحة الاستيلاء على حقوق الاخرين او تحطيم مصالحهم وسمعتهم بقصد التشفي واشباع دوافع العدوان .
و ـ الهروب من الواقع الاجتماعي وتقاليد الحضارات الواحدة .
ز ـ هبوط مستوى القوى الضابطة في الاسرة .

ب ـ العوامل البيئية الخارجية : لم تستطع البحوث والدراسات التي اجريت على حالات كثيرة من الاحداث المنحرفين ان تحدد بدقة درجة الاهمية النسبية

لكل العوامل الشخصية والعوامل البيئية الداخلية والخارجية في احداث الانحراف اذ انها متداخلة . ومن العوامل البيئية الخارجية،

١ ـ **المسكن** : ان الجانب المرفولوجي للمسكن من حيث تخطيطه وتصميمه وطريقة بنائه وعدد غرفه واتساعها وكفاية امكاناته ومرافقه وما الى ذلك تعد كلها من القوى البيئية الخارجية التي تؤدي دوراً يضيق او يتسع بالنسبة للانحراف في الاحداث كما ان الجانب الفيزيولوجي في المسكن هو مايعرف بالعلاقات الانسانية والاتصالات بين افراد هذا المسكن ووحدته والجو الذي ينبعث داخل هذا الاطار المادي لايمكن ان يعد من قبيل العوامل البيئية الخارجية وانما هي مؤثرات بيئية داخلية . ومن جهة اخرى فان طبيعة العلاقات والاتصالات الانسانية القائمة في اطار هذا المجتمع الصغير انما يغذيها ويشكلها ويحولها الى العوامل البيئية الخارجية . فقد يؤدي ازدحام افراد الاسرة في حجرة واحدة الى تحديد انماط التعامل بين افرادها كما انها قد تؤدي الى الانصراف عن الترويح الداخلي الى ترويح خارجي قد يشكل هو الاخر مؤثراً بيئياً خارجياً يضغط بمستويات مختلفه من العمق على هؤلاء الافراد، ونكرر القول بأنه لايمكن الفصل بين العوامل المؤدية الى جنوح الاحداث انما صنفت الى مجموعات تنظيما شكلياً للقوى المتقاربة في ابعادها دون ان يعني ذلك امكان عزل اي منها عن التداخل والتشابك مع عامل او عوامل عدة في الفئات الاخرى وقد تتداخل هذه المؤثرات بصورة تجعل من غير الميسور تحديد نصيب كل منها في احداث الانحراف .

٢ ـ **الحي والجيرة** : قد يكون الحي ذا طابع تجاري مزدحم بالمواصلات او قد يكون ذا طابع سكاني مزود بالحدائق او قد يكون ذا طابع ترويحي وما الى ذلك . هذا الطابع الذي قد يبدو اقتصادياً او اجتماعياً بحتاً له اثار اخلاقية بعيدة المدى على نظرة الفرد للحياة من جهة وعلى اسلوبه في الاتصال والتآلف مع الاخرين من جهة اخرى

وقد دلت نتائج الدراسات والبحوث التجريبية ان الطريق الذي يسلكه الحدث في تردده اليومي على مدرسته او عمله له دور واضح في كافة مشكلاته التي يواجهها في مدرسته و في عمله . فالتأخر عن مواعيد الدراسة او العمل والهروب بانواعه المختلفة والتخلف الدراسي وكثير من حوادث العمل تتأثر بطبيعة الحي وظروفه بدرجات متفاوتة بحسب المقومات الشخصية للحدث .

وقد تكون طبيعة الحي تساعد على تفريغ الاجرام كالاحياء المليئة بالحانات وغيرها مما يساعد على الانحراف . وان الاحياء المتخلفة **(Slums)** تضم مجموعات بشرية تعيش في ظروف اسكانية في مستوى لا يليق بالانسانية وهذه تؤثر تأثيراً مباشراً في معايير الحدث وقيمة انماط سلوكه . ففي هذه الاحياء تتجمع فئات من معتادى الاجرام والهاربين من العدالة .

٣ ـ **المدرسة والنظام المدرسي** : تتميز عملية اعداد الصغار للتكيف مع المدرسة بأنها من اشق العمليات الاجتماعية واهمها في الوقت ذاته فأذا لم يجد التوجيه والرعاية الكافيين من جهة واذا اصطدم بأوامر والتزامات قاسية من جهة اخرى فقد ينحرف عن النظام المدرسي وتعد قسوة المدرسين من الاسباب التي يمكن ان يرجى اليها فشل الاطفال في حياتهم المدرسية ويظهر في الصور الاتية :

آ ـ الهروب من المدرسة : ويمكن الكشف عنه عن طريق ملاحظة الغياب المتكرر وتجرى الاسباب عن طريق الاتصال المباشر بالاسرة وهيئة التدريس وزملاء المدرسة .

ب ـ التخلف الدراسي ، قد يرجع الى ضعف القدرات العقلية او الى اسباب في الاسرة او المدرسة وعلى المدرسة الكشف المبكر باستخدام الاساليب المناسبة لان التخلف الدراسي قد يقود الى الانحراف .

جـ ـ الانحراف داخل البيئة المدرسية واهمها حالات الشذوذ الجنسي وحالات حب التملك .

ان اية مؤسسة اجتماعية او تربوية لا يمكنها ان تقوم بواجباتها في مجال الرعاية الاجتماعية الا عن طريق الاسرة والتعاون معها . فغالباً ما تفشل المدرسة عندما تفشل العائلة فيكون عمل المدرسة بعد ذلك عملية ترقيع .

٤ ـ **العمل وطبيعته وظروفه** : قد يستغل اصحاب الاعمال الاحداث ويرهقونهم وقد تستغل استغلالا يضر بصحتهم ويضعفهم بسبب الارهاق وسوء التغذية الناتج عن ضآلة الاجر . وقد حظرت الاتفاقية الدولية رقم ٧٩ لسنة ١٩٤٦ استخدام الاحداث الذين يقل عمرهم عن ١٤ سنة المتوفرة فيهم شروط الاستخدام في نطاق ساعات عمل كاملة او جزئية . كما منع قانون العمل العراقي رقم ١٨٨ لسنة ١٩٧١ تشغيل الاحداث دون الخامسة عشر من العمر كما منعت تشغيل الاحداث الذين تجاوزوا الخامسة

عشر ساعات اضافية وانهم خاضعون للفحص الطبي والرعاية الاجتماعية والتأهيل المهني او اعادة التأهيل لعمل مناسب .

٥ ـ **الرفاق :** يعد الرفاق والزملاء في العمل والدراسة او الحي والجيرة مؤثرات بيئية خارجية على درجة كبيرة من الاهمية . اذ ان تشكيل هذه الجماعات يتصف بخصائص تتميز بقوة الدوافع التي تشد الطفل وتجذبه الى الخضوع التام لاحكامها ومقرراتها وكثيراً ماتكون هذه الاحكام غير متفقة مع آداب المجتمع ونظمه في الوقت ذاته تشبع لدى الناشئين الصغار كثيراً من الدوافع الغريزية الملحة التي لم يجدوا لها مجالات الاشباع المنتظم في عالم الواقع والجو الذي يشعر بالحرية والانطلاق .

ان اثر الرفاق لايؤدي بالضرورة الى الانحراف او الخروج على آداب المجتمع ونظمه الا اذا وجد مجالاً مساعداً لتفريغ الانحراف وقد يتصل الاحداث بعصابات من البالغين فيتعلمون سلوكهم وكثيراً ما يصاب افراد العصابات بالشخصية السيكوباثية ضد المجتمع والتي تجد لذتها في الاعتداء على الاشخاص الاخرين واموالهم .

وهنا يجد الحدث نفسه خاضعاً لسلطة قاهرة تؤدي الى اضطراب سلوكه وعدم القدرة على التكيف الاجتماعي مما يؤدي الى السير في تيار الجريمة وتصبح مصدراً لاشباع اعتبار الذات لديه وعلى المدرسة والاسرة التعرف على رفاق الحدث واتخاذ الوسائل الكفيلة التربوية لتجنبه من مرافقة رفاق السوء .

٦ ـ **السينما والصور الفاسدة والقصص المثيرة :** تعد السينما وبخاصة المثيرة للغرائز عاملاً اساسياً في انحراف الاحداث .

وخطورة هذه العملية انها تفصل الحدث عن المجتمع السليم وتدفعه على الاتصال بنوع آخر من المجتمعات يتصف بالانهيار الخلقي والاجتماعي . ومن المعروف ان الحدث يرغب التقليد والمحاكاة وسيجد في السينما بغيته وهو ايضاً يردد في تمثيله كا ما مر امامه ومن ثم يتحرر من القيود ويكشف عما يجيش في نفسه من نزعات ومن ثم يندفع الى الانحراف .

أما الصور الفاسدة فتلعب دوراً خطيراً في حياة الحدث وخصوصاً الذين يفدون من القرى ، فيندفعون لمعرفة كل شيء عن امور ماتحتويه هذه الصور ويحاول

الحدث تقليد ما في الصور وينزلق . والقصص المثيرة وخاصة القصص التي توحي بالانطلاق والتحلل كالقصص العاطفية الغرامية الفاسدة التي تساعد على الاغراء الجنسي والتي لاتتفق وسن الحدث وكذلك لاتساعد عن طريق وجوده في البيئة الصالحة وبذلك ينزلق نحو تيار البيئة المنحرفة .

٧ ـ **التصنيع والتحضر** : ان المجتمعات المتجهة نحو التصنيع هي مجتمعات متغيرة فالانتقال من الحياة التقليدية التي تتميز بها الحياة الريفية الى حياة حضرية تتشابك فيها العلاقات الانسانية يؤثر في طبيعة الروابط الاسرية من جهة وفي نوع العلاقات الاجتماعية من جهة أخرى . فالحياة في القرية تتميز بالترابط الوثيق بين الاسرة الريفية ككل من جهة وبين افراد الاسرة الريفية كوحدة مستقلة من جهة اخرى .

٨ ـ **الحراك الاجتماعي** : ان التطور السريع لبعض الاقطار والتوازن والتغيير المفاجيء يخلق حراكا اجتماعيا . هذا الحراك الاجتماعي يؤدي ببعض الاسر او الافراد الى الصعود والاخرى الى الهبوط فاذا لم يضبط هذا الاختلال يخلق عوامل غير متوازنة في حياتهم ويؤدي ببعض المراهقين الى الانحراف .

ان الحراك الاجتماعي يعبر عن دينامية المجتمع ويستجيب لكل التغيرات التي تحدث نتيجة لتغيير ابعاد العلاقات وتقريب الفوارق والتمايزات الطبقية . ولابد من ضبط لهذه العملية ويعد (سوركن) بعض الصور المهمة للحراك الاجتماعي في كتابة النظريات الاجتماعية المعاصرة وكتابة الحراك الاجتماعي اذ قسمه الى حراك اقتصادي وحراك سياسي وحراك مهني وحراك لغوي وحراك ثقافي وحراك عقلي وحراك ديني وحراك ايكولوجي (بيئي) وحراك صناعي .

وقد يكون الحراك الاجتماعي للافراد وللموضوعات الاجتماعية وهو على شكلين أفقي ورأسي .

نستنتج ان هناك وجهات نظر متعددة في الاسباب التي تؤدي الى الجنوح ولكل وجهة لها باحثيها واطارها الفلسفي الذي ينطلق منه .

ولكن نجد انه لايمكن الفصل بين تلك الجوانب وانما هناك عوامل كثيرة متداخلة تؤدي الى الجنوح . كما ان لكل مجتمع خصائصه ولكل اسرة خصائصها ولكل فرد سماته التي هي حصيلة المتغيرات في عوامل التنشئة الاجتماعية . وكل

حالة جنوح هي فردية . فلا يمكن ان نقتصر على وجهة نظر واحدة بل نستطيع القول ان الجنوح هو سلسلة متصلة من المتغيرات . (٣١ ، ص ١٠١٢ ـ ١٠١٩) .

ان سبب تعدد وجهات النظر للباحثين والمهتمين بجنوح الاحداث والاسباب المؤدية لها يرجع الى ان كلا منهم ينظر الى ظاهرة الانحراف من زاوية معينة ووجهة نظر خاصة مبينة على اهتماماته واطاره الفلسفي الذي ينطلق منه .

ان السلوك الجانح ليس وليد سبب واحد بل هو سلسلة متفاعلة متصلة من التغيرات والعوامل من النواحي الجسمية والنفسية والاجتماعية .

فيرتبط العاملان النفسي والاجتماعي بعضهما ببعض ارتباطاً وثيقاً فاضطراب الشخصية يمكن ان تسهم فيه عوامل النبذ او الاهمال الاجتماعي للطفل وانعدام الدفء العاطفي والعلاقات المضطربة بين الوالدين واثر ذلك على معاملتهما له . وغيرها من المشكلات الاجتماعية ذات الاثر النفسي الكبير في حياة الطفل وشخصيته ومستقبله . كما ان العامل الفسيولوجي قد يؤدي الى الجنوح كالتهاب المخ او التخريب الدماغي والتعرض للاختناق والعاهات ولكن ليس بصورة مباشرة وانما ماتؤديه هذه الاعراض من آثار نفسية تؤدي الى سلوك جانح . علما بان كل حالة جنوح هي فذة بحد ذاتها لها خصائص وصفات عامة يمكن تمييزها عن غيرها من فئات الجنوح الاخرى . وصفات اكثر خصوصية تميّز الجانحين بعضهم عن البعض الاخر . وهذا لايعني اهمال جانب والاخذ بجانب آخر ولكن الاخذ بجميع هذه الجوانب والاسباب متكاملة يؤدي بنا الى تفسير اي سلوك جانح .

دراسة الاحداث ورعايتهم ووقايتهم من الجنوح

ان الوسيلة الوحيدة لفهم عوامل جناح الاحداث هو اتخاذ المنهاج العلمي وسيلة الدراسة والبحث . والمنهاج العلمي الذي يقوم على الموضوعية ويؤمن الترابط والتكامل وربط الاسباب بالنتائج بهدف الوصول الى الحقائق وفي ضوء هذا المنهاج تعددت اساليب الدراسة كما سنرى فيما يأتي :

١ ـ **اسلوب دراسة الحالة** : وهو الاسلوب الذي تستخدمه الخدمة الاجتماعية في دراسة حالات الجناح ومعالجتها بصفة عامة . ينهج هذا الاسلوب الى دراسة عوامل الجناح لكل حالة على انفراد وفق ظروفها وملابساتها الشخصية والبيئية ولذلك فانه

يدرس الحدث دراسة بيولوجية فقد يكون من عوامل جناحه اصابته بعاهة او مرض . كما يدرس دراسة سيكولوجية ويدرس مداركه العقلية فقد يكون من عوامل جناحه اضطرابه النفسي الناجم عن الحرمان والقلق وقد يكون بسبب ضعف مستواه العقلي ويدرس ايضاً دراسة اجتماعية فقد يكون جناحه بسبب خلل في اسرته او مدرسته او جماعة رفاقه في اللعب او يدرسه من النواحي المرفولوجية فقد يكون من عوامل جناحه وجوده في بيئة تدفعه الى الانحراف ... الخ . وهو بطبيعة المنهاج العلمي خليط من هذه العوامل . وان كان لاحدها اهمية نسبية في حالة دون اخرى وهو اسلوب علمي يعني بانفراد ويؤدي الى تكوين صورة شاملة عن الحدث وعوامل انحرافه مما يستخدم اساساً لعلاجه سواء في علاجه ذاتياً او اجراء تعديل بيئي او في كليهما معا . وهو المتبع عادة .

٢ ـ **اسلوب دراسة العوامل العامة للجناح :** وهذا الاسلوب يعتمد على تجميع نتائج الدراسات السابقة وتصنيف تلك النتائج في اصناف معينة كعوامل الجناح واليكم التصنيف الاتي :

١ ـ العوامل الشخصية : كالاضطرابات الصحية والنفسية والعقلية اذ التخلف العقلي او القابلون للانحراف او غير المندمجين واصحاب الشخصية المضطربة .
٢ ـ العوامل البيئية :
أ ـ البيئة الداخلية : الاسرة والتنشئة الاجتماعية منها التفكك الاسري والوضع الاقتصادي للاسرة .
ب ـ البيئة الخارجية : النظام الاجتماعي والظروف المجتمعية المدرسة ، العمل ، العامل المرفولوجي المسكن ومقره ونوعه واكتظاظه بالسكان ، الصور المتحركة الرفاق .
٣ ـ التصادم الحضاري : التصادم بين الحضارة الموروثة والحضارة الوافدة .

وتتعدد الطرق التي يمكن بها التنبؤ باحتمال الجنوح ودراسة تلك العوامل وكل طريقة تعكس فلسفة واصفها الا ان هذه الطرق متشابهة . وسنذكر بعضاً منها لان المجال لايسمح بذكرها جميعاً :

أ ـ اختبارات الشخصية :

كانت هناك محاولات عدة استعملت فيها اختبارات الشخصية التي وجد انها تفرق بين المنحرفين وغير المنحرفين . وقد استعرضت (ميرل) بعض هذه

الاختبارات وهي تلخص النواحي التي تميز فيها هذه الاختبارات بين المنحرفين وغير المنحرفين فيما يأتي :

١ ـ الثبات الانفعالي كما تقيسه بعض الاعراض المتصلة بالسيكوباثية
٢ ـ النضج الانفعالي كما تقيسه عناصر مثل انواع الاشخاص الذين يحبهم الفرد ويعجب بهم ، نواحي القلق والمعارف ، الاشياء التي تعد صوابا او خطأ ، الاهتمامات وما يحبه الفرد ويكرهه .
٣ ـ السمات الاجتماعية والانفعالية التي يقال انها تميز الشخصية السيكوباثية .
٤ ـ التكيف الاجتماعي كما تقيسه استجابات عن اسئلة تفسر على انها تدل على الاهتمام بالناس والمشاركة الوجدانية والاتزان وضبط النفس ، والرغبة الموجهة الى هدف .
٥ ـ الاتجاهات الشخصية كما يقيسها ، النقد الذاتي نقد الولد العادي او المتوسط ، الاحساس باختلاف عن الولد العادي او المتوسط ، الشعور بالعظمة والبصيرة الاجتماعية .
٦ ـ السلوك المشكل كما يقدره آخرون مثل : السمات العقلية والسمات الجسمانية والسمات الاجتماعية ، والسمات الانفعالية .

وتعلق (ميرل) على اختبارات الشخصية كادوات يستعملها الاخصائي النفساني بقولها انه وللاسف لاتساعد على فهم الجانح ، غير انه يمكننا ان نقر ان بعض اختبارات الشخصية تكشف عن بعض السمات التي تفرق بين الجانحين وغيرهم من العاديين ، الا انه يبدو ان بعض الافراد الذين توجد فيهم هذه السمات ينحرفون بينما لاينحرف بعضهم الاخر ، هذا بالاضافة الى فشل كثير من اختبارات الشخصية في بيان العلاقة السببية بين السمات التي تقيسها وبين الانحراف (٣١ ـ ص ٩٩٥ ـ ٩٩٦) .

ب ـ الاختبارات الاسقاطية

١ ـ اختبار الرورشاخ :

ويسمى الاختبار باسم عالم سويسري ، وهو عبارة عن عشر بطاقات من الورق المقوى ، على كل بطاقة شكل عمل بوضع نقطة من الحبر على ورقة طويت من الوسط قبل جفاف الحبر فلما انتشر الحبر نتيجة لطي الورقة ينتج الشكل ـ وقد

عملت الاشكال على خمس من هذه البطاقات بالحبر الاسود ، بينما اضيفت الوان اخرى الى اللون الاسود في الخمس بطاقات الاخرى . ويعطي هذا الاختبار بتقديم البطاقات واحدة بعد الاخرى للفرد بنظام معين . ويقوم الاخصائي بتسجيل الاجابات على كل بطاقة .. وبعد الانتهاء من كل البطاقات ، يبدأ الاخصائي ثانية بعرض البطاقات على المفحوص واحدة واحدة ليحدد اين يرى المفحوص ماسبق له ان رآه ، والعناصر الموجودة في البطاقة التي ادت به الى رؤية ذلك ، ونوع المحتويات .

لقد طبق هذا الاختبار في دراسة (جلوك وجلوك) على خمسائة حدث منحرف وخمسمائة حدث في المجموعة السوية المقابلة . وقاما بتحديد سمات للشخصية افترضنا انها تمت للانحراف ويكشف عنها الرورشاخ ... وكانت اهم السمات القائمة على اساس الرورشاخ والتي وجد انها تفرق بين المنحرفين وغير المنحرفين هي :

١ ـ السيطرة الاجتماعية .
٢ ـ التحدي .
٣ ـ الشك .
٤ ـ التخريب .
٥ ـ عدم الثبات الوجداني .

ويعلق (شافتل وشافتل) وهما اللذان قاما بتفسير بروتوكولات الرورشاخ على هذه السمات بقوله « ان المنحرفين بمجموعهم يفوقون غير المنحرفين في السيطرة الاجتماعية التحدي ، والتناقض الوجداني تجاه السلطة ، كما انهم يتميزون اكثر بكراهيتهم للاخرين وعداوتهم وشكهم وتخريبهم .. وهم اكثر اندفاعاً وحيوية وهم بلاشك اقل خضوعاً للسلطة ، ويعانون بدرجة تفوق غير المنحرفين من الخوف من الفشل والهزيمة ، وهم اقل تعاوناً مع الاخرين واقل اعتماداً عليهم . وقد اكدت دراسات كثيرة صحة الاطار النظري المستمد من الرورشاخ الذي اتخذه (شافتل وشافتل) للتفرقة بين المنحرفين وغير المنحرفين .

٢ ـ اختبار تفهم الموضوع : ـ

او اختبار الصور **(TAT)** ، وهذا الاختبار عبارة عن ٣٠ صورة وبطاقة واحدة بيضاء ، بعضها صالح للرجال والصبيان ، والبعض الاخر صالح للبنات والنساء ، وبعضها صالح لكل سن وجنس . وتعطى الصور المناسبة للفرد واحدة بعد الاخرى

بعد ان يقال له : « هذا اختبار لقوة الخيال » . عليك ان تنظر للصورة وتبين ماذا يحدث عنها ، مبينا كيف بدأ هذا المنظر ، وكيف ينتهي ، وما شعور الافراد الموجودين ؟ ويقوم الاخصائي بتسجيل القصة التي يدلي بها المفحوص . والصور غامضة غموضاً كافياً يؤدي الى اختلاف الافراد في الاستجابة لها ، ويبين هذا الاختبار دوافع الشخص ، وحاجاته وعواطفه ونواحي الصراع عنده ومحتويات خياله ويقوم هذا الاختبار ، على اساس ان الفرد اذا قام بتفسير موقف اجتماعي غامض فانه يكشف في العادة عن شخصيته بالانحراف بما لايمكن الاعتراف به في ظروف اخرى ، اذ يفقد الفرد حذره اثناء اندماجه في تفسير الصور وقص قصة عنها فيتكلم عن نفسه دون ان يدري ، كما ان الفرد في تأليفه القصة يستغل عادة عناصر من خبراته الخاصة .

وهناك كثير من الدراسات التي قورن فيها المنحرفون بغير المنحرفين على هذا الاختبار غير انه لاتوجد دراسة حاولت استخدامه للتنبؤ بالانحراف .

الاتجاهات الحديثة في معاملة الاحداث :

تتجه الجهود الحالية في معاملة الاحداث المنحرفين في الاتجاهات الثلاثة الاتية ،

١ ــ الوقاية ،
٢ ــ العلاج دون الايداع في المؤسسات
٣ ــ الارتفاع بمستوى المؤسسات الموجودة ومراعاة شروط معينة في انشائها .

اولاً : الوقاية :

يرى (لوبزراي) ان برامج الوقاية يجب ان تتجه الى تعديل الاتجاهات النفسية الفردية والجماعية . واذا كان علينا ان نواصل البحث في اسباب الانحراف يجب الا تقوم البرامج الوقائية على معرفتنا للاسباب وحدها لان هذا لن يكفي لان كثيراً من الاسباب نعجز عن القيام تجاهها باي عمل . اذ ماذا يفعل الاخصائي الاجتماعي او القاضي لعلاج النقص في التربية ، او الفقر او الظروف المعيشية السيئة وما اليها . فالاولى ان توجه الجهود الى الاتجاهات النفسية الفردية والجماعية . فالاتجاهات يتم اكتسابها بالخبرة وتتكون تدريجياً خلال حياة الفرد ، وتتكون شعورياً او لاشعورياً احكاماً عن القيم الاجتماعية ، ويكون العمل عن طريق الاسرة

والمدرسة والعمل ، والتنسيق بين الاتجاهات في السياسة الاقتصادية والاجتماعية والصناعية .

قد نتفق مع لوبزراي في بعض آرائه ، ولكن لانتفق معه على ان يكون الاهتمام بالوقاية على حساب العلاج ، كما ان نظرته الى الاهتمام بتغيير الاتجاهات الفردية والجماعية تمثل النظرة القديمة التي كانت سائدة عن العلاج النفسي . اذ كان ينظر الى العلاج النفسي على انه محطة للاصلاح على جانب الطريق الوعر للحياة يلجأ اليها الفرد لاصلاح العطب الذي يحل به ليعود للطريق الوعر ثانية . ولكن الخبرة والتجربة قد بينت ان فائدة العلاج لاتتم اذا كان على الفرد ان يعود ثانية الى نفس البيئة المليئة بالمشكلات التي كانت سبباً في مشكلاته .

ومن هنا وجد ان الضرورة تحتم انه بالاضافة الى تغيير الفرد واتجاهاته بالعلاج ان يتم تغيير في البيئة التي يعود اليها بالتخفيف من حدة العوامل التي كانت سبباً في اضطرابه . ومن هنا جاء دور الاخصائي الاجتماعي .. ويتمكن الاخصائي الاجتماعي بفنه وخبرته ان يعمل الكثير ازاء النقص في التربية والفقر ، والظروف المعيشية السيئة وما اليها التي يرى لوبزراي انه لن يتمكن من عمل اي شيء ازاءها .

واذا كان للبرامج الوقائية ان تنجح فلابد ان تقوم على الجهود الجماعية للمواطنين في البيئات المحلية . لذلك يجب ان ينظم الشباب في جماعات تشبع لهم حاجاتهم . والبرامج الجماعية النابعة عن حاجات الجماعات على المستوى المحلي هي التي تهيء توفير الطمأنينة ، والمركز والترويح والتربية والصحة وغيرها من الخدمات لجميع الافراد .

ويجب ان تتجه التربية في المدارس الى تعليم الشباب النظام ، والقيم الخلقية وتحمل المسؤولية الاجتماعية ، ومن ابسط مباديء التربية ان الفرد لايتعلم الا بالممارسة . واذا نجحت التنظيمات الطلابية في المدارس في جميع مستويات التعليم ، فلن يكون ذلك الا بممارسة الشباب الفعلية للنشاطات المختلفة في هذه التنظيمات .

ومن الاتجاهات الناجحة في الوقاية القدرة على اكتشاف من لديهم الاستعداد للجنوح مبكراً فتهيأ لهم الخدمات التي قد تغير من السير في طريق الانحراف .

ثانياً ـ العلاج دون ايداع في المؤسسات :

تتنوع الطرق التي يستعاض بها عن الايداع في المؤسسات ، من ذلك الاختبار القضائي ، والايداع في الاسر البديلة ، او معسكرات التأهيل ، وما اليها .

فيقضي الاختبار القضائي بوضع المحكوم عليه اذا كان الامل في اصلاحه ماثلاً بدل سجنه ، تحت الاختبار ، لفترة يكون المحكوم عليه في اثنائها تحت نوع من الاشراف من جانب المحكمة خاضعاً لبعض القيود الواردة على حريته بغير سلبها منه كلية وبغير حرمانه من عمله ، وبغير حرمان اسرته منه .

ويمكن تلخيص الخدمات التي تقدم للاحداث الموضوعين تحت المراقبة بما يأتي :

١ ـ تشغيل العاملين منهم في مهن مناسبة وبالتالي رفع مستواهم المادي .
٢ ـ العناية الطبية بالحدث وذويه .
٣ ـ معاونة الحدث وذويه على حل مشكلاتهم المختلفة واصلاح بيئتهم وحياتهم الاجتماعية .
٤ ـ حماية الحدث من قرناء السوء ويستعان بذلك برجال الامن .
٥ ـ الاشراف على تعليم الحدث وتنظيم اوقات فراغه ، ورسم خطة له في الحياة يسير عليها وتحديد اهداف سامية يسعى اليها .
٦ ـ نقل الحدث من بيئته اذا تعذر اصلاحها ، كأن يعهد به مثلاً الى بعض الصالحين من ذوي قرباه .

ثالثاً : المؤسسات الحديثة

يمكننا ان نلخص الاتجاهات الحديثة في سياسة مؤسسات الايداع بما يأتي :
١ ـ انشاء المؤسسات الصغيرة لتحل محل المؤسسات الكبيرة على الا يزيد النزلاء في المؤسسة عن ١٥٠ حدثاً .
٢ ـ اعتبار المؤسسة عنصراً واحداً من العناصر الممهدة للعلاج . اذ يجب ان تشترك البيئة المحلية في العلاج بتسيير التسهيلات والبرامج المساعدة على العلاج . وتتبع المؤسسة سياسة الباب المفتوح حتى تتوطد العلاقة بين المؤسسة والبيئة التي تعمل فيها . وتعني سياسة الباب المفتوح فتح المؤسسة لاعضاء المجتمع ليطلعوا على

نشاطها ويسهموا في برامجها ويتكون لديهم الاهتمام بما تقوم به المؤسسة من نشاط ، كما تعني خروج الاحداث الى البيئة لمزاولة نشاطهم في العمل وتقضية وقت الفراغ والتفاعل مع المجتمع الخارجي .

٣ ـ تقديم برامج التدريب المهني مما يؤدي الى اكتساب الاحداث مهارات مهنية داخل المؤسسة وخارجها . ويلخص (كوهين) الفوائد التي تعود على الاحداث من التدريب المهني خارج المؤسسة كما يأتي :

أ ـ تجريب الحدث في اكثر من عمل وفي اكثر من مجال . فتتنوع الخبرات التي يكتسبها .

ب ـ تقوية عود الحدث بقضائه فترة خارج المؤسسة يتمكن فيها من اختبار الواقع ومعرفة مستواه المهني والادائي في العمل .

جـ ـ اتاحة الفرصة لجمع الاجر والتدريب على توفير المال والقدرة على التصرف فيه بحكمة .

د ـ اكتساب الخبرة في استغلال امكانيات البيئة كالمواصلات ، واماكن تقضية وقت الفراغ ، ومعرفة المؤسسات التي تمده بالخدمات ، والتعامل معها كما يتعامل غيره من الافراد الاسوياء .

٤ ـ تفريد العلاج : اذ يجب ان تكون هناك مادة كاملة عن حالة الحدث وتاريخ حياته ، وتوضع خطة العلاج تناسب تكوين شخصيته .

٥ ـ الدقة في اختيار الاخصائيين الذي يتعاملون مع الحدث . وقد اكد مؤتمر الوقاية من الجريمة الذي عقد في لندن سنة ١٩٦٠ ضرورة العناية بأختيار الافراد العاملين في المؤسسات على الا يقوم الاختيار على المؤهلات العلمية وحدها ، بل يجب ان يؤخذ في الاعتبار السمات الشخصية المؤهلة للعمل مع مثل هؤلاء الاحداث .

الاختيار للايداع في المؤسسات :

مَن مِن الاحداث المنحرفين يجب ايداعهم في المؤسسات ؟ للاجابة على هذا السؤال نورد بعض المعايير التي يجب الاهتداء بها :

١ ـ اهم اولئك الذي يقترفون فعلاً يعاقب عليه القانون اذا مالرتكبه شخص بالغ

٢ ـ لكي يكون للعلاج اثره عدم الاستغناء عن اي طريقة او مجموعة طرق توصل الى الهدف . ويتطلب ذلك كل الامكانيات والهيئات الموجودة في البيئة والتي تسمح للحدث بأن يكون حراً خارج المدرسة بدلاً من ايداعه فيها اما اذا كان الايداع امراً حتمياً فلتتبع المؤسسة سياسة الباب المفتوح او شبه المفتوح كلما كان ذلك ممكناً .

٣ ـ وهناك مشكلة يتناولها الاخصائيون بالمناقشة والبحث والتمحيص هي طول مدة الايداع . وهل تحدد ان تترك مفتوحة ويشير المؤتمر السالف الذكر بأن يستحسن ان تحدد فترة العلاج منذ البداية لان المنحرفين البالغين والاحداث يستجيبون ايجابياً حين يكون لديهم فكرة تقريبية عن طول المدة التي سيقضونها في ضوء هذه الاعتبارات السابقة . وفي ضوء التعريف القانوني للانحراف نرى ان كثيراً من مشكلات السلوك ، على الرغم من حاجتها للعلاج ، لاتتدخل في نطاق انحراف الاحداث . انما هي مظاهر سلوكية تدل على عدم التكيف ولا تحتاج للايداع في مؤسسات انما يجب ان يترك امرها للهيئات التي تقوم بالرعاية الموجودة في البيئة

وقد سبق أن بينا انماط المنحرفين ، وعرفنا ان من بين هذه الانماط النمط العرضي ، ولا يحتاج هذا النمط للايداع اذ انه في الواقع حدث سوى من وجهة النظر النفسية وان كان القبض عليه يتم لاقترافه عملاً يعاقب عليه القانون . ان مشكلات هذا النمط يمكن النظر اليها على انها مشكلات تحتمها مرحلة النمو التي يمر بها الحدث وغالباً مايقترف الحدث الفعل دون دراية بمدى خطورته .

اما النمط الاعتدائي غير الاجتماعي والذي ينطبق غالباً على الصبية والذي يتميز بالعدوان وعدم القدرة على تحمل الاحباط ، فيتطلب علاجاً خاصاً قد لايتوفر خارج المؤسسات ، كما ثبت ان المؤسسات العادية تفشل في علاج هذا النوع لذلك يجب ان تهيئ لهم مؤسسات خاصة ذات بيئة علاجية خاصة .

اما المرضى بأمراض عقلية او بالضعف العقلي فيحولون في العادة الى مستشفيات الامراض العقلية ، او المؤسسات الخاصة بضعاف العقول . والاتجاه الحديث في كثير من البلاد هو تسليم الحدث ذو العاشرة من العمر الى ولي الامر او الاسرة مع تطبيق نظام الاختبار القضائي .

ثانيا ـ القلق :

يمكننا في اللغة العربية ان نفرد مصطلح (القلق) للجانب النفسي بمعنى الضجر ، ونخصص مصطلح الاضطراب للجانب الفيزيائي بمعنى الضيق . ولكننا لا نجد على الرغم من هذه التفرقة تجربة خاصة من المشاركة الجسمية . كما لن نجد اضطراباً فيزيائيا يغير تجربة شعورية تتصل بالعالم الخارجي ومعنى هذا فأن التجارب الانفعالية التي تنظم داخل نطاق القلق تفترض بالضرورة استجابات جسيمة .

فاذا كان ولابد من ان نفرق بين المصطلحين فأنه يتحتم علينا ان نبحث عن ذلك من زاوية اخرى . فبوسعنا ان نطلق لفظ الاضطرابات على الاستجابات البدنية للكائن حين يغمره موقف صدمي ، ونعني بذلك الافراغات الحشوية غير التكيفية ، ولكننا نعلم ان الشخصية لاتكاد تبلغ النضج حتى تبرز ظاهرة جديدة : تستخدم الاضطرابات وتفيد منه اذ تحيله الى اشارة خطرة وذلك هو القلق ولكن من الممكن ان يكون الانسان على الرغم من ذلك في حالة لاتمكنه من درء الخطر او اقامة الوسائل الدفاعية ومن ثم يجد نفسه في موقف صدمي على الرغم من الاشارة المنذرة فيغمره الاضطراب . وبأختصار فالاضطراب استجابة فسيولوجية غير منتظمة او غير متخصصة تغمر الشخصية اما القلق فهو اشارة الخطر . (٤٨ ـ ص ١٣١ ـ ١٣٢) .

نشوء القلق :

متى يبدأ القلق في حياة الانسان ؟ وما هي اسباب وجوده بالاصل ؟ وما هي العوامل التي تساعد على اظهارها او زيادته او تغيير صورته الى حالة اخرى ؟ كلها اسئلة مازال الجواب عليها في حيز النظريات او حدود التخمين . وفيما يأتي ايجاد لبعض اوجه النظر في نشوء القلق وتطوره الى حالة من المرض النفسي .

١ ـ نظرية ترى ان القلق في الاصل متصل بالخوف ومتفرع منه عن طريق عمليات متعاقبة من الربط . وتنتهي هذه العمليات بنسيان المصدر الاول الذي اثار الخوف ، ويضل الشعور به مع غموض مصدره ، وهذا الشعور مساوي لحالة هذه النظرية اقرب ماتكون لنظرية بافلوف الشرطية . ولا يعلم بالتأكيد الزمن الذي يبدأ فيه الخوف في حياة الطفل ، على انه يوجد منذ الاسابيع الاولى في

الحياة كخوف من السقوط من علو وخوف من الصوت العالي كما تدل على ذلك ردود الاطفال في مثل هاتين الحالتين .

٢ ـ نظرية فرويد : وهي تفيد بأن طبيعة الإنسان قد هيأت له امكانية كبت التجارب النفسية المؤلمة . وعملية الكبت هذه ، في نظر فرويد ، اكثر ماتكون في سنوات الطفولة ، وقد اكد فرويد على ان المواد المكبوتة هي عادة الرغبات الجنسية الفاشلة في حياء الطفل لتعارضها مع القيود التي تمنع تحقيقها والهدف من عملية الكبت هذه ، هو تبرير القلق الناتج من بقاء الرغبة والمانع لها في الوعي ، ويرى فرويد ان القلق هو خوف داخلي ، وان احساس الفردية اشارة او انذار للنفس ، بان تجربة ما مكبوتة وغير واعية قد اصبحت مهيأة للظهور الى حيز الوعي ، مهددة بذلك التكامل النفسي للفرد . ووظيفة القلق الناشيء بسبب هذا الانذار هو عين وظيفة الخوف وهو التهيؤ للخطر بأعداد النفس لمقاومة الحالة الطارئة من التهديد والخطر .

وبالنظر لما لاقاه فرويد من معارضة بسبب تأكيده على الحياة الجنسية في الطفولة كمحور لنشوء القلق ، فلقد عدل نظريته السابقة سنة (١٨٩٤) وجاء بنظرية ثانية بعد ذلك بثلاثين سنة . وفي هذه النظرية يرى فرويد ان القلق هو اشارة او انذار لتجنب حالة تهدد النفس بالخطر مهما كان مصدر هذا الخطر . ومع هذا التعديل فقد ظل فرويد واتباعه يعلقون اهمية كبرى على الحياة الجنسية في الطفولة في التحليل النفسي والعلاج النفسي على حد سواء

٣ ـ نظرية الصراع النفسي : وتفيد بأن القلق هو النتيجة الطبيعية المنتظرة عند التعارض من قوتين عاطفيتين وهذا التعارض تجربة اساسية في الحياة الانسانية . ولابد من قيام هذا التعارض بسبب نمو الانسان والضرورة في ان يأخذ بعين الاعتبار النظم والمقاييس المرعية في مجتمعه . وهذا يؤدي الى قيام صراع بين الدوافع الاساسية والغريزية في حياته وخاصة لأرضائها .

وبين المقاييس الاجتماعية والمثل الفردي التي اعتنمتها واكتسبتها بالتجربة والثقافة والتعليم . وهذه النظرية وان كانت في بعض محتوياتها تشبه نظرية فرويد ، الا انها تعد الدوافع الجنسية محوراً اساسياً لنشوء القلق ، وتفتح الباب في الصراع النفسي ليس للرغبات اللاواعية فقط ، وانما الرغبات التي يعيها الانسان اي ففي الطفولة يتعلم الطفل بالتهديد وهذا مما يقيد سلوكه ، وبالتدريج يتمثل في نفسه القوى الرادعة التي كانت تقيده من الخارج ، ويكون هذا بمثابة الضمير له . وعندما تنضج الشخصية ، فأن عجز الفرد عن كبح جماح قوة التعدي وهي مؤذية محطمة في

طبيعتها فسيصاحبه دائماً الشعور بالقلق . والقلق في هذه الحالة يكون اشارة لوجود اضطراب في داخل الشخصية . غير ان الامر يصبح اكثر تعقيداً عندما يكون هنالك بالاضافة الى التهديد الداخلي تهديداً خارجي المصدر يشعر به الفرد بخطورته وقد يكون من الصعب ان نتمكن في كل حالة من القلق من التفريق بين المصدر الداخلي للقلق ، وبين ماهو مصدر خارجي له . فقد يتوفر المصدران في آن واحد ، وقد يثير الواحد منهما وجود الاخر ويزيد الشعور بخطره . وقد يتبين بالبحث والاستقصاء ان ماأعتبر خطراً خارجياً هو بالحقيقة صورة للخطر الداخلي الكامن في النفس ودليل رمزي على وجوده هناك .

وهناك نظريات مقاربة لنظرية فرويد فمنها نظرية الكسندر **(Alexander)** التي يقول فيها ان القلق متعلق بشكل وثيق بعملية كبت دافع التعدي في النفس وهو يجد بالدافع للتعدي ، الاساسي الذي ينشأ من كل مرض نفسي ، ولما كانت هذه الدوافع للتعدي يجب ان تقيد بالكبت فأن التهديد بفك هذا القيد يؤدي حتماً الى القلق في نظره .

وهناك نظرية اخرى ترى ان القلق يتسبب من توفر احد حالتين ، الحالة الاولى ، الخوف من الاذى ، والثانية ، الخوف من فقدان الحب ، وفي وقت لاحق بنمو الفرد تتفرع اسباب اخرى عن الحالتين السابقتين ويستطيع كل سبب من هذه الاسباب الفرعية ان يثير حالة من القلق ايضاً .

واذا اردنا ان نصف الانفعالات القلقة ضمن التحمل النفسي الذي يعني الفرد في صلته بالوسط المحيط به لقلنا ان الارتباك والتشتت يستولي عليه وخطر الاستجابات والاختلالات الحشوية بالاضافة الى الانقباض التشنجي في الحنجرة او في الاحشاء والارتجاف واوجاع الدماغ ... الخ اما من الناحية النفسية فيستولي على الشخص الشعور بالاعياء والانقباض . ويبدو الوسط المحيط بالشخص وكأنه يناصبه العداء او لايحفل به ، فيتوقع ان تنزل به كارثة ، بمعنى ان يرقبها ويتوقعها بين لحظة واخرى وتختلف هذه الحالة على ان يشعر به الشخص من خوف امام خطر محدود يتهدده . وهناك فارق بين مايشعر به الشخص في الخوف امام التهديد المحدد لمسدس اللص الواقف امامه ، وبين مايحسه في القلق من تهديد غامض لشيء مجهول غير محدد . كما ان هناك فارقاً بين التهديد الذي يتجه الى الحاجة والتهديد الذي يتجه الى الشخص . ففي حالة مسابقة ادبية ذات جائزة مالية ، يحق لنا ان نتسائل عما ان كان المتقدم يهدف الى شرف السبق ام المال .

ان دراسة القلق لم تصبح حين يدرس ضمن اطار الصلات البينية . وقد اكدت (كارين هورني) ذلك حين انتهت الى تأكيد اهمية الصلات البينية .

ومعنى هذا ان القلق الاساسي يكمن وراء كافة صلات الفرد مع الغير فيشعر الفرد بالضآلة والقصور عن مواجهة الموقف ويبدو له العالم قوياً عدائياً ويمكننا القول بأن هناك مصدرين للقلق . الاول هو الخوف من العدوان الخارجي والثاني هو الخوف من عدم القدرة على منع العدائية او السيطرة عليها .

وبالرغم من ان(هورني) قد تأثرت الى حد بعيد في افكارها بالتصور الفرويدي فأن تغلب العوامل الثقافية والبيولوجية عندها وقد قامت لنا بعض الانماط التي تتخذها المسالك البينية للمجتمع . فالطفل على الرغم من عدائيته يجد نفسه مضطراً بحكم الواقع الى ان يتكيف مع حياته الاجتماعية الامر الذي يتمخض عن تكنيكات للتكيف مع العالم الخارجي وهي :

١ـ الاقبال على الغير : ويتميز هذا السلوك بحاجة الشخص الى رفيق يبادله الحب . ويتميز الشخص المنتمي الى النمط بخضوعه للغير وبالمهادنة والميل عن الانتقام والبعد عن الطموح . وليس من شك في ان العدائية هنا مكبوته لانها لاتساير حاجة الشخص الى الحب ومن ثم تتخذ الطاقة النفسية سبيل الاخلاص والتفاني للغير .

٢ـ معارضة الغير : يشعر الشخص المنتمي الى هذا النمط بضرورة اغتنامه للواقعية التي تبدو له في ان (الانسان ذئب الانسان) ويتجه هدف مثل هذا الشخص في قمع شعوره بالتبعية وايهام نفسه بعدم ضعفه وهو لايتبين بطبيعة الحال عدائيته ولا يتعرف عليها لانه يسقطها على العالم الخارجي .

٣ـ الاعراض عن الغير : ونعني به الانسحاب من العالم . ويتميز هذا النمط بعجز الشخص امام القلق الاساسي . ومن ثم فهو ينسحب . وكثيراً مايتخذ هذا الاشخاص صورة السلوك القهري وان احتج الشخص بأرغام الظروف الخارجية له على اتخاذ هذا الحل .

ولا تتحدث (كارين هورني) في هذا الصدد بلغة الغرائز وانما بلغة الدوافع المتعلمة . فالانسحاب وهو نمط سلوكي يحقق لصاحبه ميزتين : فهو يقدم له حلاً ينأى به عن الصراع ـ بين الرغبة في الاقبال على الناس والرغبة في الوقت نفسه في معارضتهم . هذا الى مايتجه هذا الحل من صورة مرضية للشخص عن نفسه . وقد

يشعر الشخص بمسايرته او بتخلفه عن مثله الشخصي الاعلى ويرجع قيام الصورة لمثالية الى حاجة الانسان اليها . فهي من هذا الوجه وظيفة من الوظائف الدفاعية نمد الشخص بالهدف الذي يوجه نشاطه . وكثيراً مايرتبط بهذه الصورة المثاليه مايدخل ضمن ميكانيزمات الاسقاط . وما ينجم عنه من مسخ من الادراك الاجتماعي وتشويهه فيقيم الشخص للعالم الخارجي صورة تتمشى مع ما له من مثال شخص اعلى .

ثانياً : الشعور بعقدة النقص (Inferiority – Complex)

اصبح هذا الاصطلاح مشهوراً في عصرنا الحاضر وهو يصف سلوك الفرد السلبي بدلاً من الايجابي والذي ينظر الى الحياة نظرة تشاؤمية . وتشمل ايضاً جميع التصرفات الشاذة التي تشير الى عدم ثقة الشخص بنفسه الى الدرجة التي تبعده عن مواجهة واقع الحياة ١ .

ان الذي وضع هذا الاصطلاح هو (سيجموند فرويد) واستخدمه لتعريف المشاعر السلبية الناجمة عن شعور الفرد بنقص نتيجة لضعف في حيوية الجهاز التناسلي وعندما تثبط حيوية الغريزة الجنسية ينتاب الفرد قلق وكآبة . وما ينجم من ذلك من احساس يكبت في اللاشعور ثم ينشأ المرض النفسي (الشعور بعقدة النقص)

اما (ادلر) فقد برهن ان الشعور بمركب النقص ينشأ وينمو مع نمو الفرد ومنذ ولادته نتيجة لما يلاقيه من تجارب وظروف قاسية ومؤلمة ليست لها علاقة بالغريزة الجنسية . ولهذا فان كل تجربة قاسية تسبب له خوراً في عزيمته تجاه العمل المثمر البناء في الحياة تعد عاملاً مهماً نحو الشعور بمركب النقص والذي يجعل ذلك الشخص مريض النفس والاعصاب .

ان عقدة النقص استعداد لاشعوري مكبوت اي لايضطر الفرد الى وجوده وينشأ من تعرض الفرد لمواقف كثيرة متكررة تشعره بالعجز والفشل ومتى اشتدت وطأة هذا الشعور مال الفرد الى كبته اي الى انكار وجوده . بل والى عدم الاعتراف بما لديه من عيوب فعلية وان كل مايذكره بالنقص يحمله على الفور وبطريقة تلقائية على الدفاع عن نفسه ويستجيب بعنف .

ومن الافضل ان نميز هنا بين مجرد الشعور بالنقص وعقدة النقص . فالشعور النقص يخص العقل الواعي وهو لا يعد مرضاً نفسياً ولا عيباً فيه . وقد يكون دافعاً

لتحسين قدراتنا ... بينما العقدة وكما لاحظنا تكون جذورها في اللاشعور والمصاب بها لا يكون متزن السلوك لانه يندفع في سبيل الحصول على التقدير والاحترام ، او انه ينسحب انسحاباً تاماً في المجتمع .

ليس هناك عبء في الشعور بالنقص ، لان هذا الشعور سيكون حافز قوي للانسان لكي يحسن حاله وذلك بمحاولة ايجاد حلول للمشكلة التي تسبب الشعور بالنقص .

وتفسير الانسان لما يملكه من اجهزة جسمية وقابليات واستعدادات هو الذي يقرر نظرته الى الحياة واتجاهه فيها لان ضعف او نقص اي عضو من اعضاء الجسم لا يسبب سلوكاً معيناً بل يضع بعض الاحتمالات فيما قد يحصل من النتائج اما اذا فسر ذلك النقص في اعضاء جسمه بأنه عيب شائن ففي هذا يكون قد فسح المجال للصراع النفسي وربما تطور الى عقدة .

فالشعور بالتقصير بالواجب لانعدام الكفاءة ينتاب كل فرد بين الحين والاخر وقد يكون مثل هذا الشعور مشجع عند الافراد الطبيعيين للقيام باعمال مثمرة في كل ناحية من نواحي الحياة وبذلك يشعر الفرد بأنه غير متخلف عن الاخرين فالشخص الذي يشعر بالنقص قد يحاول ان يعوض عن نواحي نقصه تعويضاً مشروعاً سوياً فينجح في ذلك التعويض عن طريق بروزه في نواحي اخرى .
ولتذكر الاسباب التي تؤدي الى مستوى عقدة النقص :

١ ـ الاسباب الجسمية : تتصف بالمظهر الجسمي كالنحافة الشديدة او الضخامة الشديدة او الافراط في القصر او الافراط في الطول او اضطرابات الكلام كالتأتأة والفأفأة ... الخ . وكذلك اضطرابات البصر وعيوبه . او فقد احد الذراعين او الساقين ... الخ . من عيوب الجسم .
٢ ـ اسباب عقلية : كالتأخر الدراسي او عدم التعلم او قلة درجات الذكاء الى دون المتوسط كالبله والهوس .
٣ ـ اسباب اجتماعية : كان يكون الفرد غير مرغوب او غير بارز بين افراد جماعته او غير نافع لمن حوله او ان ليس له صديق لسوء تفاعله مع الاشخاص او سوء الحالة الاقتصادية والثقافية... الخ . من العوامل .

وقد تكون هذه الاسباب الثلاثة متداخلة في بعضها البعض فأسباب النقص الجسمي قد يسبب نقصاً عقلياً وتؤدي الى نتائج اجتماعية .. وهكذا فالطفل الذي

يختلف يمتلك نقصاً او عاهة جسمية ويشعر به واذا تظافرت العوامل البيئية لتنظيم ذلك الشعور فيصبح شخصاً انطوائياً معزولاً عن المجتمع فيكبت مشاعره المؤلمة في اللاشعور وستكون سبب اضطراباته النفسية والعصبية والعقلية مستقبلاً .

فيجب على الكبار اتباع الاساليب التربوية السليمة مع الاطفال من هذا النوع بحيث يستأصلون تلك المشاعر من نفوسهم .

هناك مايسمى (بالطفل المدلل) الذي يؤدي الى عدم الاعتماد على نفسه في مواجهة متطلبات البيئة فعندما سيدخل هذا الطفل معترك الحياة العملية مستقبلاً سيقع في صراع من جراء عدم انتباهه او اهتمام الغير به كما كان يجد ذلك من والديه في طفولته . واذا لم ينل مايبتغيه من مجتمعه سيشعر ان كل فرد يحط من قيمته وسينعكس ذلك على سلوكه فقد يكون شخصاً منحرفاً او غير منتج .

وكذلك يقال بالنسبة للطفل الغير مرغوب فيه من قبل افراد عائلته الذي تستخدم معه اساليب العقاب المختلفة وستنمو معه نظرة حقد على بيئته ومن ثم على المجتمع وسيستمر هذا الشعور لشعوره بأنه غير مقبول من قبل افراد مجتمعه وسيولد هذا الشعور لديه روح الاجرام واغتصاب اموال الاخرين اي سيعبر عن مشاعره المكبوتة بسلوك منحرف تجاه مجتمعه .

لذا فينبغي ان يوجه الاطفال التوجيه السليم للاعتماد على النفس بكل شجاعة وحلم بدلاً من اتباع طرق العقاب . والتأكيد على استخدام اساليب الثواب وخلاصة هذا كله ان عقدة النقص هي في صميمها جهاز دفاعي يعمل تجنيب الشخص الشعور الاليم بالنقص . فيتصرف في المواقف التي كان من الممكن ان تولد هذا الشعور عنده على نحو مايسنح له ان يموه على نفسه وعلى غيره وتسير الامور على مايرام مااستطاع الفرد ان يسلك السلوك الصحيح في تلك المواقف . فان شعر بمهاجمة الغير في جهازه الدفاعي فانه يتحول الى الاعتداء في حساسية مرنة .

رابعاً - الاحباط :

يظهر الاحباط عندما يلتقي الشخص بعائق خارجي يتعرض ارضاء رغبة ما سواء كان العائق ايجابياً او سلبياً او داخلياً او خارجياً . ولقد ميز (ماسلر) بين الحرمان والاحباط فغالبا ماينشأ الحرمان حين يتعرض عائق ارضاء حاجة جسمية

فاذا تحدثنا عن الحرمان في حالة حاجات تتصل بالشخصية كالحاجة الى الامن والحب وتقدير الذات ، فاننا نفعل ذلك عن طريق المجاز او التوسع في مفهوم اللفظ ويرى (ماسلر) انه من الافضل ان يقتصر اصطلاح الحرمان على الحالات التي لايتحقق فيها الارضاء للحاجات العضوية ، بينما يستخدم اصطلاح الاحباط للدلالة على التهديد الذي ينال الشخصية من اثر الحرمان .(٤٨:-ص ١٤٠)

ان الحياة الاجتماعية لها دور خطير في هذا الميدان سواء فيما يتصل بكم الاحباط ، او بطبيعته او فيما تنطوي عليه من تناقض داخلي فنجد من ناحية كم الاحباط ان بعض المجتمعات تتضمن القدر اليسير من الحرمان ، بينما تعد الحياة في مجتمع اخر سلسلة من الحرمان المتصل . او نجد الانتظام الاجتماعي ذاته الى ان ينظر الى نفسه نظرته الى محيطه . فهذه المجتمعات تولد في الفرد الرغبات والحاجات ، وتحكم عليه في الوقت نفسه بالحرمان .

ومن هذا طبيعة الاحباط ، فكل مجتمع يشتمل على ذواة تتصل على الاقل بطريقة الاحباط .

كما نجد ايضاً مظاهر الاحباط في الميدان الغذائي مما يتضح من تحديد اوقات للرضاعة والوجبات لايكاد يسمح بشيء خلالها وطريقة الفطام القاسية كلها تنشيء البذور الاولى للاحباط كما ان عدم ارضاء حاجات الطفل وحرمانه جسمياً او نفسياً واذا تظافرت العوامل الاجتماعية التي تقوى الشعور بالاحباط وخلال فترة المراهقة الى مرحلة النضج سيصاب الفرد باحباط شديد ويثار بواسطة الحياة الاجتماعية وبشتى وسائل الدعاية والاعلان ووسائل اخرى وخاصة مايتعلق بالحاجة الاقتصادية .

ان المجتمع له دور هام بشعوره بالحرمان ، وان اختلف هذا الحرمان تبعاً لشخصية الفرد ومعنى هذا ضرورة اعتبار الاسباب الفردية الى جانب الاسباب الاجتماعية في تحديد ظاهرة الاحباط . وينبغي فيما يتصل بالاسباب الفردية ان نشير اولاً الى التبعية المتبادلة فيما بينها وبين الاسباب الاجتماعية فيمكن ان يلاحظ بذلك ارتباط بين ماضي الشخص ومدى تسامحه ازاء الحرمان . فالحرمان حين يتعاقب على الطفل يتمخض عن عدم القدرة على التسامح اتجاه الحرمان . ومن هنا ينبغي مراعاة ارضاء حاجة الطفل .

وتبلغ الفروق بين الافراد مداها عندما يكون الاحباط داخلي المصدر . فبوسعنا ان نميز بين احباط خارجي المصدر واخر داخلي المصدر اذ ثمة مواقف تنطوي على الاحباط كما هو الشأن امام احباط لايمكن تجنبه فالمرض يحرم الشخص من بعض اوجه نشاطه وكلنا يتعرض لهذا الضرب من الحرمان . فالحرمان قائم دوماً بالنسبة للافراد على نحو او اخر ولكن لايوجد بالضرورة . اما الاحباط الداخلي فينشأ حين لايقدر الشخص على ارضاء حاجة وان سنحت له الفرصة . فالعائق في هذه الحالة ليس خارجاً وانما ينحصر في الصراع الداخلي . ففي الحالة التي لايقتدر فيها الشخص على ارضاء الحاجة مع اقتداره على ذلك من حيث الفرصة يكون معنى هذا انه يشعر بحاجة اخرى تتعارض مع الحاجة الاولى . وعلى ذلك فالاحباط الداخلي المصدر يستند الى الصراع بين الحاجات والصراع يستمر ماتناولت الحاجات في القوة او قل ماتحقق بينها اتزان مستقر يمكن ان تتدخل الحوافز الدفاعية . فينتهي الامر الى القلق وكثير من المظاهر يتم على نحو شعوري في حالة الاحباط الداخلي . ٤٨ – ص – ١٤١ – ١٤٣) .

لقد اقتصرنا لحد الان على مناقشة الانفعالات الالية الناتجة من التفاعل بين افراد المجتمع وذلك لما تتميز به من الظهور ، ولكن ليس معنى هذا ان الحياة لاتتمخض عن الانفعالات السارة ضمن المجموعة الواحدة فالشعور بالحب والامن والسرور كل ذلك يؤدي الى وظائف اجتماعية مجدية اضافة الى تقدير الفرد لذاته وتقديره للاخرين .

وكذلك نتيجة للصلات الاجتماعية نجد الافراد يسعون في سلوكهم الى تحقيق اهداف مشتركة وهذا مايسمى بالتعاون وهو سلوك صادق اي يرمي الى تحقيق هدف ، والهدف فيه مخطط ، اي قائم على الوعي به والتفكير فيه ، كما ان سلوك اجتماعي جماعي اي من خصائص الجماعة يعد عملية اساسية للحياة الاجتماعية حيث يقوم كل فرد بدوره لتحقيق الهدف المشترك ، اي يقتضي اسهام كل فرد بما عنده مع التنازل عن بعض حقوقه في سبيل الهدف الذي تعود وفائدته على المجتمع ، ولما كان الافراد لايسعون الى اهداف الا لاشباع دوافع ، كالدافع الى السلوك التعاوني كما ان التنافس يكون نتيجة للصلات البينية فهو شكل من اشكال الكفاح الاجتماعي يتحكم فيه قانون العرض والطلب ، اذ يظهر اذا مازاد المطلوب على المعروض ، ويقول (هاملتون) في دائرة العلوم الاجتماعية « ان الشرط الاساسي في التنافس هو وجود جماعة لاحدود لمطالبها مع وجود عالم عنيد وموارد غير كافية » .

وتظل المنافسة في العادة على مستوى لاشخصي ودون المستوى الاجتماعي مادام الانتباه يظل مركزاً على الاهداف التي يسعى اليها الافراد . فاذا ماتحول الاهتمام من الاهداف الى الافراد انفسهم ظهرت لدينا عملية تسمى بالخصومة وهي عملية تنافس بين الاشخاص اذ يرغب المتنافس فيها في الحصول على ماتبقي لحرمان الاخرين منه بهزيمتهم . اي ان الغرض هنا لايتحقق الا بهزيمة الاخرين ، وكلما اشتد التنافس كلما زادت العداوة وتكون الحصيلة مايسميه علماء النفس الاجتماعي بالتنافس العدواني او الصراع . اما لماذا ينقلب التنافس الى صراع فهذا يعود الى ان المنافسة تستمر بين المتنافسين اذا كان هناك اتفاق مع المعايير التي تتحكم في المنافسة وتفسير هذه المعايير . وقد يكون التنافس والتعاون والصراع ومشتقاتها بين الجماعات او بين الفرد والجماعة والمباديء التي تتحكم في هذه العمليات ليست واحدة في هذه المستويات الثلاث فتهديد تكامل الجماعة مثلاً يكون اكبر بالصراعات التي تقوم داخل الجماعة على عكس مما لو كان هذا الصراع بين الجماعات . اذ الثابت ان الصراع بين الجماعات يقوى التعاون الداخلي في الجماعة الواحدة . ويجدر بنا هنا الى التطرق الى ذلك الصراع النفسي .

الصراع النفسي (Mental Conflict)

فهو ذلك النزاع الذي يقوم بين رغبات الفرد ودوافعه وغرائزه الاساسية من ناحية ـ وبين مقاييسه ومثله الاجتماعية والخلقية والشخصية من ناحية اخرى . وقد يكون هذا الصراع واعياً جزئياً او كلياً وقد يكون على مستوى غير واع تماماً . والصراع النفسي الغير واعي هو الاكثر اهمية في تطوير الشخصية واعطاء معالمها وفي احداث الاضطرابات النفسية ان الطفل يولد وهو متزود بمجموعة من الدوافع الغريزية التي تسعى الى الارضاء والاشباع . وهذا الارضاء يعد امراً لازماً . ويكون استجابة طبيعية وضرورية للدوافع البيولوجية التي اختص بها الطفل بحكم تكوينه . ويلاقي الطفل الصغير عادة ممانعة في ارضاء هذه الدوافع . وعلى الاقل ، فان أي ممانعة او تقصير في الارضاء لايأتي من جانب الطفل نفسه لعدم وجود جهاز نفسي للمنع (الضمير) في مثل هذه السن المبكرة . وبأزدياد نمو الطفل يزداد وعيه لرغباته وتحسسه بدوافعه . ويصاحب هذا الازدياد ادراك متزايد بأن ارضاء بعض هذه الرغبات والدوافع بشكل واضح وتام لايتفق مع القيود والقيم والمثل والعادات المرعية والمعمول بها في المجتمع الذي يعيش فيه ، سواء كان ذلك في حدود علاقته مع والديه ، او ضمن نطاق العائلة ، او في حدود المجتمع بمعناه الواسع . فان

الفرد في ادوار نموه من الطفولة الصغيرة الى مابعدها يتعرض تدريجياً وبشكل متزايد الى الصراع بين قوتين متعاكستين ومتضاربتين في الاتجاه القوة الاولى تسعى الى التوافق مع العادات والتقاليد والقيم التي اكتسبها الفرد من العائلة والمدرسة والمجتمع ، والقوة الثانية (ومعظمها غير واع) تهدف الى ارضاء الدوافع والرغبات والحاجات في نفسه وهذه الحيرة والنزاع بين القوتين هو مايعبر عنه بالصراع النفسي .

العدوان : ـ

هناك تعريف بسيط للعدوان وهو اي عمل كان يهدف الى الاضرار بالناس او الممتلكات . ولكن هذا التعريف يصف معظم (وليس كل) حالات العدوان . ولو ان كثيراً من العدوان البشري يتم لفظياً ، الا اننا يجب ان نؤكد على العدوان البدني اذ لاتوجد ابحاث كثيرة عن العدوان اللفظي . ولكننا نعرف ان كلا النوعين من العدوان يحدثان احياناً مجتمعين .

وليس من الضروري ان يتلازم الغضب والعدوان ، فيمكن ان يؤدي الغضب الى سلوك صامت او الى الانسحاب او الى الانهيار او الى سلوك بناء . والعدوان بدوره يمكن ان يحدث نتيجة للبواعث دون ان يكون ضالة اي غضب سابق . وهنا ، فنحن نميز بين عدوان ناتج عن غضب وعدوان ناتج عن باعث ، الا ان كلا النوعين يمتزجان ويصعب التفرقة بينهما .

ويعتقد كثير من الناس ـ وهم على خطأ ان العدوان هو الوسيلة الوحيدة لتهدئة الغضب . وهذا غير صحيح فقد بينت الابحاث التي اجراها جاك هوكانسون (**Jack Hokanson**) وزملاؤه ان معتقدات الفرد تؤثر على نوعية الاسلوب الذي يتبعه ليقلل من التوتر المصاحب للغضب . وتوحي هذه الدراسات بأن اي رد فعل يرتبط بتجنب العدوان من قبل الاخرين يمكنه ان يقلل من الغضب . ومن الاشياء التي تؤدي الى الغضب ومن ثم تثير العدوان (الاحباط) الالم الجسدي والتقريع والاهانة والتهديد .

وقد يكون العدوان احياناً ناجماً عن الباعث فالضغوط الاجتماعية المشبعة تؤدي الى العدوان او بالاحرى الاعمال العدوانية . فبين محترفي الاجرام من افراد

العصابات ، يعطى اعلى تقدير لاعمال الهجوم التي يمكن ان يشاهدها اعضاء العصابة . فالقسوة تكسب عضو العصابة هيبة واحتراماً وتقديراً ذاتياً .

لقد قمنا بوصف اسباب العدوان المعروفة . ويبقى ان تعرف ان البيولوجيا والخبرة يؤثر كلاهما على المكان والزمان والكيفية التي يقوم بها الفرد بالعدوان على غيره .

التكوين البيولوجي والقدرة على العدوان :-

هل هناك غريزة وراثية ؟ كان فرويد (Freud) يؤمن ان الناس يولدون بغريزة تدفعهم الى القتل والتخريب يرد فرويد ان غرائز العدوان تتراكم بكيفية ما ثم تزداد الى حد غير معقول وتتفجر في النهاية في صورة عنف مفاجيء .

يعتقد بعض الدارسين انه على حق . وهذا هو رأي كونراد لورنز (Konrad Lorenz) عالم السلوك المقارن ايضاً ، ففي رأيه ان كل الحيوانات ومنها الانسان .. تولد بغرائز عدوانية تعينها على البقاء الى قيد الحياة . وترث الحيوانات المتوحشة ضوابط الكف ضد الحيوانات التي من نوعها بشدة الخطر .

ولكن حتى الان ، لم يظهر دليل مقنع على ان هناك حاجة للقتال تظهر تلقائياً من داخل الحيوان . ويبدو ، على العكس ان العدوان لابد له من مثير ، وكما قال احد علماء السلوك : « ان الشخص السعيد الذي يعيش في بيئة لاتثير العدوان لن يعاني من اثار فسيولوجية او عصبية لانه لايقاتل » .

هل انماط العدوان عند الحيوان غريزية ؟ ان معظمها جاء عن طريق التعلم . وحتى القتال بين الاعداء الطبيعيين « كالقط والفأر » مثلاً يتأثر بالخبرة . وقد بين ذلك عالم النفس (زنج يانج Zing Yang) فقد قام بتربية بعض صغار القطط مع امهات آكلة للفئران وربى قطط اخرى مع فئران كرفقاء وقطط اخرى ربيت وحدها وكانت النتيجة ان حوالي ٨٥ ٪ من القطط التي تربت مع امهات اكلة الفئران اصبحت شرهة للفئران . وحوالي ٤٥ ٪ من القطط التي تربت في معزل قامت بمهاجمة الفئران فيما بعد و ١٧ ٪ فقط من القطط التي تربت مع الفئران هاجمت هذه القوارض وحتى في ظروف الجوع الشديد فان نسبة ٧ ٪ اضافة من القطط غير اكلة الفئران يمكن تحريضها على قتل الفأر وبعد تدريب خاص (مشاهدة قطة بالغة تقتل فأراً) . وبعد ان عاش معاً منذ الطفولة فان ارتباطاً قوياً

قد وجد بين القطط والفئران حتى ان القطة قد تحيط بالفأر لحمايته وتصرخ مواء في وجه القطة المعتدية .

اما البشر فيتعلم باستمرار عن العدوان من خبراتهم في اسرة معينة وثقافة معينة وبما ان البشر يتعلمون باستمرار فالخبرة لها دور كبير في الارتقاء بالعدوان ومنعه . فالثقافة والاسرة دور في تحديد مستويات العدوان والتي تؤثر على انماط الدروس التي يتعلمها الاطفال . وهما يضعان الشروط التي تكف او تشجع ايذاء الاخرين .

فينشأ العدوان عند الطفل عندما يكتشف انه يستطيع ان يجعل الاخرين يسايرون رغباته بايذائهم وكلما ازداد علماً بدوافع الاخرين ، ازدادت مهارته في استخدام هذه الوسيلة من وسائل السيطرة . وتتحدد انواع الاساليب التي يتعلمها الطفل بنوع الاستجابات التي تصدر عن الوالدين وغيرهما وكما ان المدى الذي يصل اليه دافع العدوان عنده يتوقف على ما تنطوي عليه استجابات الوالدين والكبار من اثابة حين يسلك سلوكاً مؤذياً أو عدوانياً .

وينشأ العدوان في الغالب من احساسهم بنبذ ابائهم ومعلميهم لهم الا باحساس عميق بالنقص ، او قد تكون انواع السلوك التي تشجعها الاسرة سبباً من اسباب العدوان . فقد يعتقد الاباء ان ما يبديه الاطفال من سلوك عدواني ضروري لنجاحهم في الحياة ، ومن ثم فهم يشجعونهم على القيام بهذا النوع من السلوك .

ولا يقتصر العدوان على سن معينة ، ولكن يظهر في جميع الاعمار ، ويرى احد المربين ان العدوان يبدو بوضوح في السنة الاولى عند الفطام والتي تحدث فيها تغييرات اساسية في حياة الطفل ، ويظهر العدوان ايضاً عند مجيء مولود جديد للاسرة ، وعند انتقال الطفل من البيت الى المدرسة .

وقد ينتج العدوان في حالات التربية الجامدة القاسية ، التي تكبت ما لدى الطفل من حرية في التعبير والنشاط التلقائي وكذلك اذا شعر الطفل باهمال بيئته وعدم تقييمها وان الاخرين لا يعيرونه اهتماماً ، فهنا يكون عدوان الطفل وسيلة لجذب انتباههم واهتمامهم نحوه ، ولكي يثبت شخصيته التي لا يعترفون بها .

وهناك ثلاثة عوامل يتوقف عليها ميل الطفل لكي يكون عدوانياً :

١ ـ شدة رغبته في ايذاء الاخرين وايلامهم .
٢ ـ درجة احباط البيئة واثارتها للميول العدوانية .
٣ ـ كمية القلق والشعور بالاثم المرتبط بالعدوان .

وللموقف العائلي اثر في العدوان فاذا عوقب الطفل على هذا السلوك فيترتب على هذا ان يتعلم الطفل الكف عن الاستجابات العدوانية . والطفل الذي يواجه العقاب الصارم على العدوان في الاسرة قد يستجيب استجابات عدوانية في موقف متسامح كما يحدث اثناء لعبه بالعرائس . ولكن هذا الطفل قد يكف السلوك العدواني في الظروف الاجتماعية كالتي نجدها في دور الحضانة والتي هي اكثر شبهاً بالظروف الاسرية من ظروف اللعب بالعرائس . فالظاهر ان العقوبات القاسية التي يعاني منها الاطفال من امهاتهم قد تؤدي بهم الى كف الاستجابات العدوانية وان هذا الكف قد يطرأ عليه التعميم حتى يشمل دور الحضانة لكننا نجد مع ذلك ان كف الاستجابات لا يعني ان الدافع العدواني قد اشبع . وذلك لان اللعب بالعرائس الذي يقل احتمال عقاب الاستجابات العدوانية فيه ، اظهر ان اطفال الامهات شديدات العقاب يصدر عنهم قدر اكبر من العدوان نحو العرائس . فقد اظهرت دراسة (Ban-dura 1973) التجريبية لاحظ سلوك عدواني للاطفال من خلال لعبهم بدمى تمثل الاشخاص المحيطين بهم في العائلة من خلال ضربها .. وهذا يعطي فكرة عن سبب السلوك» .

ولقد بينت بعض الدراسات ان الامهات اللائي يسمحن بالعدوان في بعض المناسبات الاخرى ينشأ ابناؤهن في غاية العدوان .

وان مدى تعبير الاطفال عن العدوان في موقف من المواقف يعتمد على :

١ ـ كمية الاحباط في هذا الموقف .
٢ ـ مقدار التسامح او العقاب الذي يواجه به العدوان في هذا الموقف .
٣ ـ ما لدى الطفل من قلق من التعبير العدواني .
٤ ـ السهولة التي يؤدي بها الاحباط عامة الغضب عند الطفل .

*Brigham, Severy: Acontemporary Introduction to Social Psychology, New York, Mc Graw-Hill, Inc. 1975, p. 255.

او بعبارة اخرى مبلغ تحمل الطفل للاحباط .

ويلاحظ ان اطفال البيئة الواحدة ، يسود العدوان سلوك البعض منهم ويتراوح السلوك العدواني للاطفال من حيث الشدة ، بين مجرد التعبير الكلامي الهادىء وبين التشاجر العنيف ، كما قد يصل هذا السلوك الى محاولة ايذاء الغير او التدخل فيما يملكون او فيما يقومون به من نشاط او لعب .

ويميل كثير من الاطفال الى المعاكسة بعد دخولهم المدرسة الابتدائية والسبب في ذلك ان جو المدرسة يكون جواً مقيدا لحرية الحركة وحرية التعبير ولا يسمح به لاثبات ذاته اثباتاً كافياً .

ومع ذلك فتصبح انفعالاته اقل شدة وحدة ، فتكون مرحلة هدوء نسبياً ، فيحاول الطفل ان يسيطر على نفسه ، ويبذل جهداً لكي لاتتعارض رغباته مع المجتمع ويتوافق مع الاخرين من الكبار والصغار .

وعدوان الاطفال في هذه المرحلة ليست في الاغلب الا اتجاهات يستمد من الناس الذين يحتكون بهم ومن المقربين على وجه الخصوص .

ان العدوان يؤثر على تعليم الطفل في المرحلة الابتدائية ، اذ يعطل رغبته في التعليم وجعل تركيزه في اي عمل امراً متعذراً .

وافضل طريقة يستطيع فيها الاباء منع اطفالهم من العدوان ، هي ان يوضحوا لهم بوضوح ان العدوان غير مرغوب وان يوقفوهم عند حدهم ، ولكن مع تجنب العقاب البدني ، لانه سيؤدي الى انفجارات عدوانية اكثر فيما بعد ، وبالاضافة الى ذلك فانهم سيزودون ابنائهم بالمثل الحي على استخدام العقاب في نفس اللحظة التي يحاولون فيها تعليم الطفل الا يكون عدوانياً . فالعطف على الطفل من قبل الوالدين من اهم حاجاته الاساسية .

وعلى المدرسة ان تساهم في السيطرة على النزعات العدوانية عند الاطفال وتوجيهها فتزود المدرسة بالالعاب الرياضية والتي تعتبر كصمام امان لتصريف المشاعر العدوانية عند الاطفال .

وكذلك تزود المدرسة بالمجلات الفكاهية والافلام السينمائية الهادفة .... وهكذا .

من كل ذلك نستخلص الى ان نمو الطفل من حيث قدرته على الاتصال بالغير ، واتاحة الفرص له بهذا الاتصال ، وتعدد المواقف التي يمارس فيها التعامل مع الغير واستمتاع الطفل باللعب للنوع الحر ، كل ذلك يؤدي الى الاقلال من مظاهر السلوك العدواني غير المرغوب فيه .

ان السلوك العدواني كما علمنا ناتج عن خطأ في العلائق النفسية بين الفرد وبين عائلته ، او بينه وبين المجتمع الذي يعيش فيه . واذا لم تعالج هذه الاسباب فسيستمر هذا السلوك ويتعاظم عن مرور الزمن ويؤدي الى الانحراف لدى الاحداث ومن ثم الى الاجرام . وقد يصاب بالمرض النفسي السايكوباثي وفيه يقوم الفرد باعمال التعدي بشكل اندفاعي سريع على الغير واحياناً يتوجه الفرد الى ايذاء نفسه في بعض الحالات ولا يكترث للعواقب المترتبة على اعماله ، كما لا يغير في اصلاحه اي اجراء تأديبي او عقابي مهما كانت شدته ومهما تكرر تطبيقه ... الى غير ذلك من السلوك المنافي للمجتمع .

الفصل السادس

الاتجاهات النفسية والاجتماعية

تعريف الاتجاهات
طبيعتها
تكوينها
عوامل نموها
الاتجاهات في مرحلة الطفولة
دور المجتمع في تكوين الاتجاهات
تعديلها
انواعها
طرق قياسها
الاتجاهات والمعتقدات
الاتجاهات والمعلومات
الاتجاهات والنمطية
الاتجاهات والقيم
الاتجاهات والتعصب العنصري

- الإيماءات وصلة ما الاستعدادات والتهيؤات التي يبديها الزبون
موضوع ما. وتتكون الاستعدادات شعورية او لا شعورية.
كالمواقف الجيدة والتقليدية كالتحية
والتقاء مع البيئة الإيمائية والملابس

- الإيماء يحدد لنا السلوك واكمله.

الاتجاهات

تعريفها : تعد الاتجاهات من المواضيع الهامة في علم النفس الاجتماعي لانها القوة المنظمة للسلوك الاجتماعي . فهي تكوّن جزءاً هاماً في حياتنا . وتنمو الاتجاهات مع نمو الفرد عن طريق التنشئة الاجتماعية ، فتتكون لديه اتجاهات نحو الافراد والجماعات والمؤسسات ومختلف المواضيع الاجتماعية . لقد اجتهد العلماء في وضع تعريف لمفهوم الاتجاه ولم يكن هناك تعريف او اتفاق مشترك بينهم . ولكن اكثرها قبولاً هو تعريف « البورت **Allport** وهو انه حالة استعداد عقلي عصبي نظمت عن طريق التجارب الشخصية ، وتعمل على توجيه استجابة الفرد لكل الاشياء والمواقف التي تتعلق بهذا الاستعداد » (٤ ـ ص ـ ٢٩٢)

ويعرفه (بوجاروس) بأنه « الميل او الاستعداد الذي يوجه السلوك ويضفي عليه معايير موجبة وسالبة بالنسبة لبعض ظواهر البيئة تبعاً لانجذابه او نفوره منها . (٢٦ـ ص ـ ٩)

كما يعرفه « روكيتش » بأنه « تنظيم مكتسب له صفة الاستمرار النسبي للمعتقدات التي يعتقدها الفرد نحو موضوع او موقف ويهيئه لاستجابة باستجابة تكون لها الافضلية عنده » (٢٣ ـ ص ـ ١٥١)

طبيعة الاتجاهات : للاتجاه مكون انفعالي ومكون معرفي ، وقد يكون الجانب المعرفي ضئيلاً فيتطلب الاتجاه تعيين الشيء تعيينا كافياً يعرف ويمكن ربطه بمعيار تقويمي معين . وفضلاً عن ذلك فقد يكون لبعض الاتجاهات مكوناً معرفياً اكثر وضوحاً يشتمل على معتقدات عن الشيء وعن خصائصه وعلاقته بالاشياء الاخرى ويشتمل ايضاً على علاقته بالذات . وقد تشتمل الاتجاهات ايضاً على مكون سلوكي ويشير هذا المكون الى ميل الفرد نحو موضوع الاتجاه بالاضافة الى الافصاح عن عاطفة حوله ، فالعنصر العاطفي هو الذي يميز بين التقويم الاتجاهي والتقدير العقلي .

فقد يستخدم الاشخاص اتجاها عقلانياً ، كلياً او جزئياً لحاجتهم الى ترتيب نظامين متضادين او اكثر من المعتقدات او القيم . فالافراد يتصرفون في بعض الاوقات بشكل مناقض للجوانب الاخرى من تصرفاتهم . والسبب في ذلك ان المجال او الموقف الاجتماعي قد يختلف بدرجة يؤدي الى تفاوت مظاهر التعبير عن الاتجاه

ويعد الضغط الاجتماعي من اقوى العوامل التي تزيد الفجوة بين الاتجاه اللفظي والاتجاه العملي نحو الموضوع نفسه . فبالرغم من التناقض بين الدوافع المعلنة والتصرف المنظور فقد يكون الافراد اكثر تناسقاً مما يبدو عليهم . فغالباً ما يحتاج الناس في مواقف اجتماعية معقدة الى الاستجابة لانواع متعددة من انظمة القيم ، ان الذي يجعل مشكلتهم أسهل وتصرفهم اكثر ترابطاً هو اعادة توجيه قيمهم وجعلها متوافقة . اذن يتطلب دراسة العمليات التي تؤثر على استجابة الافراد .

ان الاتجاهات عباره عن معتقدات ووجدانيات عن موضوع او عدة موضوعات في البيئة الاجتماعية وانها مكتسبة ، وتنزع الى الثبات والاستمرار على الرغم من انها تخضع الى التأثر بالخبرة ، كما انها حالات نفسية عن الاتجاه بسلوك لغوي وهذا ما يسمى الرأي . وسلوك غير لغوي . واذا انتظمت الاتجاهات في بنيان هرمي فانما تتضمن انسقة القيم . اي ان الاتجاهات تدور حول نواة هي القيم التي يتمسك بها الفرد .

والاتجاهات تتعدل وتتغير فكلما كان بسيطاً سهل تغييره ، لان الاتجاهات ذات البنيانات البسيطة لا يوجد لها دفاعيات عميقة ، فاذا ما تغير عنصر واحد من عناصر الاعتقاد تغير الاتجاه .

ومن الصعب تغيير الاتجاه اذا كان مرتبطاً وبقوة بنسق من انسقة القيم . وخاصة القيم الدينية . وكذلك اذا كان الاتجاه مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بقيم ما فهذا يعني انه مرتبط بفكرة المرء عن نفسه وفي هذه الحالة يصبح تغيير الاتجاه معقداً .

فيؤكد كامبل (١٩٦٣) ضرورة ان نضع في الاعتبار المواقف المختلفة في شرحنا لما قد يبدو لنا وكأنه تناقض بين الاتجاه والسلوك او بين سلوك وآخر . ففي رأيه ان هناك عقبات موقفية تمثل مستويات صعبة لكي يعطي الفرد الاستجابة المناسبة . هذا بالاضافة الى ان المواقف تختلف في درجة الضغوط التي تفرضها . (٢٣ ـ ص ـ ١٦٥ ـ ١٦٧)

كيف تتكون الاتجاهات :

تكتسب وتتكون الاتجاهات اما بالتعرض لموضوع الاتجاه او بالتفاعل مع الاخرين يتمسكون بهذا الاتجاه ، او بوجود استعدادات في الشخصية تتضمن المعايير عن طريق التنشئة في الاسرة . فقد تتكون اتجاهات سلبية نتيجة للتعرض الى خبرات مؤلمة في مرحلة من مراحل النمو وخاصة مرحلة الطفولة .

فهناك طرق كثيرة يكتسب الفرد اتجاهاته، وكل اتجاه يكتسبه تحدده امور ثلاثة :

١ ـ تقبل المعايير الاجتماعية ويكون ذلك عن طريق الايحاء .
٢ ـ تعميم الخبرات الشخصية .
٣ ـ الخبرات الانفعالية الشديدة .

فتقبل المعايير وبدون نقد عن طريق الايحاء هو من اكثر تلك العوامل انتشارا لان قد يقبل الفرد اتجاه مادون ان يكون له اتصال مباشر بالاشياء او الموضوعات المتصلة بهذا الاتجاه . فمثلاً التعصب العنصري نحو الزنوج في الولايات المتحدة فيكتسب نتيجة الاختلاط او عدم الاختلاط بالزنوج كما تحدده المعايير الاجتماعية العامة التي يمتصها الاطفال عن آبائهم دون نقد او تفكير .

للايحاء دور كبير في تكوين الاتجاهات فهو احدى الوسائل التي تكتسب بها المعايير السائدة في المجتمع . ولا شك ان وجود تلك المعايير على اختلاف مستوياتها يجعلنا امام احكام ثابتة نقبلها على علاتها دون معارضة او نقد . فتلك المعايير تشبه الى حد كبير الاطار المرجعي الذي نرجع اليه من وقت الى آخر .

اما الطريقة الثانية التي يكتسب الفرد عن طريقها اتجاهاته فهي تعميم الخبرات فالاتجاهات هي نتاج للمواقف التي واجهت الفرد والخبرات التي مرت به واستجاباته نحوها . فالطفل مثلاً يتعلم الاتجاهات التي ينقلها له الاباء فيستجيب نحوها ويلقى تعزيزاً متصلاً لتقبله وجهة نظر بيئته .. فالطفل ينفذ فكرة ابيه او امه او معلمه دون ان تكون لديه فكرة عن اسباب ذلك ، وعندما يصل الى درجة من النضج يستطيع ان يميز بين الافعال وحينما يدرك ذلك سيعممها في حياته سواء الخاصة او العامة . (٣٨ ، ص ١٧٥ ـ ١٧٦) .

واما الطريقة الثالثة فهي اكتساب الاتجاهات عن طريق التجارب الشخصية والصادمة احياناً . فالطفل الذي يقاسي من سوء معاملة ابيه او معلمه قد يكون اتجاهات سلبية نحوهما ولكن لاتجوز المبالغة في الدور الذي تقوم به هذه التجارب التي لاتصبح صادمة الا تحت تأثير ظروف شخصية معينة واستعدادات سابقة وهناك من ناحية اخرى تجارب يمكن ان تولد اتجاهات مناصرة .

عوامل نمو الاتجاهات :

يحدد علماء النفس الاجتماعي عدة عوامل تؤثر في نمو الاتجاهات وهي :

١ ـ العوامل الثقافية

٢ ـ العوامل الوظيفية .

٣ ـ ودور الحقائق في تحديد نموها .

١ ـ العوامل الثقافية :

للعوامل الثقافية دور مهم في تحديد الاتجاهات والمعتقدات والقيم في نمو اتجاهات الفرد . ومن هذه المؤثرات الثقافية يكتسب الفرد الاتجاهات السائدة في البيئة التي يعيش فيها .

وقد اجريت عدة دراسات في هذا المجال . ففي دراسة كارلسون (١٩٣٤) وجد ان الحصيلة الدينية لطلبة الجامعة كانت عاملاً محدداً لاتجاهاتهم ومعتقداتهم حول عدد من المسائل الاجتماعية .

ووجد مورجان وريمرز (١٩٣٥) ان هناك ارتباطات في المعتقدات والاتجاهات بين المدرسين والطلاب .

فالاتجاهات هي دالة للمجتمع والنمط الثقافي العام السائد فيه وكذلك الثقافات الفرعية الموجودة به .

وتعد الاسرة جانباً مهماً من المؤثرات الثقافية في المجتمع . فالاسرة هي المصدر الاساسي لنمو الاتجاهات اذ يتعلمها الطفل عن طريق والديه واخوته ومن في الاسرة . ثم يأتي دور المدرسة والمؤسسات المختلفة التي لها دور فعال في معتقدات كل عضو فيها واتجاهاته .

لقد اثبتت الدراسات ان اتجاهات التلاميذ تتغير نتيجة لتأثرهم بمعلميهم . حقيقة ان معتقدات التلاميذ على وجه العموم تتفق مع معتقدات الاباء ولكن هذا الاتفاق ليس كاملاً فنلاحظ كثيراً ان التلاميذ يغيرون اتجاهاتهم على نحو يجعلهم يختلفون عن آبائهم ولكن المعلم يرغب دائماً ان يخلص تلاميذه من بعض الاتجاهات التي تعلموها في بيوتهم والتي تكون غير مرغوب فيها اجتماعياً كتعزيز الملكية الخاصة غير المحدودة . كما ان المعلم يقوى تأثير البيت وتنمية الاتجاهات التي جاء بها معه

الى المدرسة . فعن طريق الدين والادب والتأريخ مثلا تزود التلاميذ بأمثلة بالنجاح في الحياة ، فالمعرفة التاريخية تعلم الوطنية . وهكذا يكتسب الطفل عن طريق اسرته ومدرسته ومؤسسات المجتمع الاخرى اتجاهاته ... ويكتسبها بطرق مختلفة تبعاً لاهميتها ومعناها بالنسبة له .

٢ ـ العوامل الوظيفية :

نعني بالعوامل الوظيفية الحاجات . والمطالب ، والانفعالات ، وسمات الشخصية والنمط العام لها ، من حيث انها توجه الفرد الى اكتساب اتجاهات ومعتقدات معينة . فقد وجدت دكستر (١٩٣٩) في دراستها عن خصائص الانطواء ـ الانبساط لدى جماعة من الطالبات (الراديكالات) انهن اكثر انطواء او شعوراً بالنقص . ولذلك فانهن اكثر استعداداً لتبني المعتقدات والاتجاهات الراديكالية . كذلك وجد (فتر) ان طلابه الراديكاليين كانوا اكثر خضوعاً (مستخدماً اختبار البورت ، السيطرة ـ الخضوع) من بقية الطلاب الذين اختبرهم ، وفي الوقت نفسه اكثر انطواء من الطلاب الرجعيين . (٣٨ ـ ص ١٨١)

٣ ـ الحقائق ونمو الاتجاهات :

نظراً لتعقد الحياة فانه من الصعب ان يعتمد الفرد على نفسه في تحقيق حاجاته وفي الوصول الى الحقائق الموضوعية المرتبطة بجوانب الحياة المختلفة . فلابد ان يعتمد على الاباء اولاً لتزويده بالحقائق التي تقوم عليها الاتجاهات التي يكتسبها منهم ثم تؤكد وتتبلور خارج الاسرة . (٣٨ ـ ص ١٨٢) . فقد دلت الدراسات على ان تدريس الحقائق التي تتصل بمسألة مالا يؤدي بالضرورة الى تغيير الاتجاهات نحوها . وان الحقائق تغير الاتجاهات حين تتصل بموقف غامض يوجد فيه الشخص ولا يكون لديه تفسير واضح عنه ويزيد احتمال انتقال الاثر من تعلم الحقائق الى تغير في الاتجاه حين تستخدم الحقائق كنقطة بداية للتفكير في المشكلة .

الاتجاهات في مرحلة الطفولة :

الطفل وحدة بيولوجية تكون جزء متكاملاً مع وحدة اكبر هي وحدة البيئة . والبيئة الاجتماعية اهم جوانب البيئة في تشكيل شخصية الفرد . وذلك لان الطفل الوليد عاجز ويستمر هذا العجز لفترة طويلة من مرحلة الطفولة فهو معتمد كلياً على الكبار في تربيته وتعليمه وتدريجياً سيكتسب ثقافة المجتمع ويتكيف لها وهذا مايسمى بعملية التطبيع الاجتماعي . ومن خلال هذه العملية سيكتسب الاتجاهات منذ الولادة فمثلاً يكتسب اتجاهات الحب والكراهية ازاء الوالدين ويحدد عاملا الثواب والعقاب الوزن الاكبر في عملية التعلم في هذا المجال فعن طريق التدعيم الايجابي والسلبي لسلوك الطفل تجاه بعض الموضوعات تتحدد اتجاهاته ازاءها .

ويتعرض الطفل في حياته لعدد كبير من انماط التعلم . فقد يتعلم في مجال ما الانانية بينما يتعلم في موقف مشابه الايثار ، وقد يتعلم في موقف ما احترام ذاته وفي موقف آخر ازدراءها ، ومعنى هذا ان الفرد يتعلم اتجاهات متضاربة ومتصارعة ازاء المواقف او الموضوعات المتشابهة نتيجة لما يكتنف محيطه الاجتماعي من تناقضات .

الطفل يولد مزوداً بقدرة على التعلم ، ولكنه لايولد مزوداً بانواع معينة من السلوك ، فهذه يتعلمها من الحياة الاجتماعية . فالتعلم يشكل شخصيته بطريقة تجعله صالحاً لحياة منظمة يرضى عنها المجتمع .

وهناك طرق عديدة لاكتساب الطفل الاتجاهات ومن خلال عملية التنشئة الاجتماعية واهم هذه الطرق عملية الامر والكف . الاوامر والنواهي هي الطريقة المباشرة التي يكتسب بها الطفل صفات المجتمع ومثله العليا .

وهناك طريقة اخرى غير مباشرة وهي الايحاء الذي يتلقاه الطفل من الوسط الذي يعيش فيه ، حيث ان الطفل يسمع من الاهل حب الوطن والاخلاص له وهذا مايترك في شخصيته اثراً عميقاً ويحدد اتجاهاته في المستقبل نحو وطنه .

ان موقف الوالدين واتجاهاتهما نحو الطفل له اثر فعال في تطبيعه الاجتماعي . فالطفل يمتثل لرغبة الوالدين عندما يكافأنه على عمل قام به . ويغدقان عليه المحبة والحنان ومن هذا سيدرك الطفل الفائدة التي تعود عليه من ملاءمة سلوكه مع سلوك الاخرين ومن التعاون معهم في شتى انواع النشاط ... ومن هنا سيتكون لديه اتجاه المحبة والتعاون مع الاخرين . فللوالدين والاسرة دور كبير في تكوين اتجاهات

الطفل . فيتعلم الطفل الدور الذي يناسب سنه وجنسه . فالولد يتعلم عادات الرجولة والبنت تتعلم من امها الصفات الانثوية المطلوبة في المجتمع . فالعادات التي يثبت نجاحها في مراحل النمو الاولى تصبح اتجاهات ثابتة فيما بعد وكلما كانت خبرة الفرد الاولى ناجحة كلما ثبت الاتجاه ومن ثم يصعب تغييره وقد يكون هذا التغيير جزئياً .

دور المجتمع في تكوين الاتجاهات :

بعد سنوات الطفولة يصبح على الطفل ان يتصل اتصالاً مباشراً بالمجتمع خارج نطاق الاسرة . فتبدأ عملية اكتساب المباديء والقيم الاجتماعية بطريق مباشر . والمجتمع كما نعلم مكون من عدد كبير ومتباين من الجماعات فهناك الجماعات الاولية كالاسرة والجماعات الثانوية كجماعة الدين وجماعة العمل . فالفرد يتعلم انماط السلوك من تلك الجماعات كما يتعلم ماتقبله الجماعة وما ترفضه .

وكل فرد ينتمي الى عدد من الجماعات ودوره في كل جماعة يختلف عن دوره في الجماعة الاخرى . فقد يكون حازماً في عمله بينما يقوم بدور الفكاهي في وسط جماعة الاصدقاء .. وهكذا .

بعض هذه الجماعات تكون ذات اهمية خاصة للفرد يرجع اليها في الامور الهامة ويسير حسب تقاليدها وتعرف هذه الجماعة باسم الجماعة المرجعية للفرد فقد تكون جماعة الحي الذي يسكن به وقد تكون الجماعة الدينية . فهذه الجماعات تساعد في تكوين كثير من الاتجاهات .

فالفرد يقع تحت ضغوط اجتماعية من جماعته الاولية والثانوية او الرسمية وغير الرسمية . فالضغوط تزداد كلما اقتربت الجماعة من حياة الفرد كالضغط الذي تمارسه الاسرة مثلاً . وكلما يأتي الضغط من بعد كلما كان تأثيره اقل .

ان كثيراً من الاتجاهات تتوقف على الموقف الذي يوجد فيه الفرد وعلى الدور الذي يتوقع منه القيام به ودراسات « هارتشورن وماي » توصلت الى ان الطفل قد يكون غشاشاً في المدرسة بينما يكون امينا في المنزل . فكثير من سمات الفرد ليست ثابتة ولكنها جزء من دور الفرد في المواقف الاجتماعية المختلفة . فالخبرات التي يمر بها الفرد من الوسائل التي تتكوّن فيها الاتجاهات اذا كان الاستعداد النفسي والفكري العميق عند الفرد يسمح بتكوين اتجاه ما . ان الخبرة الجزئية لاتؤدي الى

تكوين الاتجاه في حالة تعارض هذه الخبرة مع الاتجاهات الراسخة القديمة في شخصية الفرد . فالاستعداد والرغبة وقبول اراء اقوى من التجارب ذاتها . كذلك فان الانفعالات اقوى في كثير من الناس من العقل والمنطق . اما حالات التحول الفجائي في اتجاهات الافراد ماهي الا حالات قديمة وجدت سبباً لهذا التحول .

ولا بد من ان نميز بين الاتجاه والرأي opinion . فالرأي دائماً يعتنقه الفرد لمدة محددة . وغالباً مايعبر الرأي عن الشعور القومي السائد لدى جميع افراد المجتمع . والاراء قابلة للتغيير . وتتأثر بأساليب الدعاية . اما الاتجاهات فالغالب ان تبقى مدداً طويلة في حياة الفرد وليس من الضروري ان تعكس الرأي العام السائد في المجتمع . وان كان هذا لايمنع من ان الاتجاه يعكس مشاعر الجماعة التي ينتمي اليها الفرد . وبالرغم من ان الاتجاهات خاضعة للتغيير ولكن بدرجة اقل عمقاً من الاراء (١٧ ـ ص ١٥٧ ـ ١٦٣) .

تغيير الاتجاهات او تعديلها :

تبدو عملية تغيير الاتجاهات وتعديلها لاول مرحلة عملية سهلة ولكن في الواقع ان الاتجاهات اذا ماتكونت فانها تميل الى الثبوت . وهذا لايعني استحالة تغييرها فمن الممكن تغيير الاتجاهات :

١ ـ الاتجاهات المنغرسة في البناء الاساسي للشخصية لايستطاع تغييرها بالوسائل العادية

٢ ـ ان تغيير اتجاهات اعضاء الجماعة قليل الجدوى لابد من التعامل كجشطلت، وذلك لان الاتجاهات تتبع الجماعة وتتصل بموقفها .

٣ ـ ان مزاولة تغيير الاتجاهات بالقاء المحاضرات او بالجدل المنطقي عديم الجدوى . فلم يستطع بعض من اعتمدوا على هذه الطريقة احداث اي تغيير بينما حصل آخرون على درجات مختلفة من التغيير في الاتجاه المرغوب فيه ، ولكنها تغيرات عرضية سريعة الزوال .

٤ ـ يرجع عدم تقبل الاعضاء لاتجاهات جماعتهم لسبب او اكثر من الاسباب الاتية : اسباب عدم تقبل تغيير الاتجاهات

آ ـ ان ذكاءهم فوق المتوسط ولديهم معلومات وحقائق تتعارض مع اتجاهات الجماعة .

ب ـ انهم عصابيون ولا يستطيعون ان يربطوا انفسهم بالاخرين ربطاً صحيحاً .
جـ ـ ان جماعتهم المرجعية غير جماعتهم التي ينتمون اليها كأعضاء .

ولا بد ان نذكر ان من يختلف مع جماعته ليس بالضرورة عصابيا كما ان الجدل المنطقي ليس عديم الجدوى فالافراد يقنعون في معظم الحالات بالبيانات المعقولة ولكن هذا لا يكفي وحده لتغيير الاتجاهات . ان لوسائل الاعلام دور في تغيير الاتجاهات او تعديلها بتقديمها الحقائق والمعلومات حول موضوع ما فقد تتغير اتجاهات الافراد اما ايجابياً او سلبياً ، كما ان التغيير التكنولوجي يؤدي الى تغير في العلاقات بين الافراد والجماعات مما يؤدي الى عدم تمسك الافراد باتجاهات الجماعة التي ينتمون اليها .

اهم طرق تغيير الاتجاهات النفسية

١ ـ تزويد الافراد بالمعلومات عن موضوع الاتجاه :

يمكن تغيير الاتجاهات النفسية للافراد عن طريق تزويدهم بالمعلومات المختلفة التي تتعلق بموضوع الاتجاه ذلك ان الفرد لديه دافع اساسي لان يفهم وعلى هذا فأنه يعيد ترتيب خبراته التي كانت غير منسقة كلما اضاف الى معارفه جديداً . وهو يغير من تلك الخبرات ليحقق هذا الاتساق وهذه اهم الوظائف المعرفية للاتجاهات . فالفلاحين مثلاً الذين لديهم اتجاهات سالبة نحو ادخال الالات الحديثة ، يمكن تغيير اتجاهاتهم عن طريق تزويدهم بمعلومات كافية عن هذه الالات وما ستؤديه لهم من خدمات ... وهكذا عن طريق تزويدهم بالمعلومات التي تزيد من شعورهم بالامن وتزيل مخاوفهم . .

٢ ـ وسائل الاعلام والاتصال الجمعية :

من المعروف ان المجتمع الحديث يتميز بتعقيده وتشابك العلاقات بين الافراد والجماعات بدرجة قوية. ولذلك نجد من الصعب ان يعتمد الفرد على نفسه في تحقيق حاجاته ، وفي الوصول الى الحقائق الموضوعية المرتبطة بجوانب الحياة المختلفة فلا بد ان يعتمد بالضرورة على ماتقدمه وسائل الاعلام الجمعية من اذاعة وتلفزيون وسينما ومسرح وصحافة وكتب ومجلات ... الخ ففي دراسة اجراها

ويلكي (Wilke) قارن فيها بين تأثير ثلاث وسائل للدعاية نحو بعض القضايا وهذه الوسائل هي :

١ ـ الراديو
٢ ـ النشرة المطبوعة
٣ ـ المحاضرة (بحضور المحاضر نفسه)

وكانت النتائج ان انحج الوسائل تأثيراً اسلوب المحاضرة الشخصية واقلها تأثيراً النشرة المطبوعة . وقد اكدت دراسات نوور (Knower) ان الخطاب الشفوي المباشر يعتبر انجح الوسائل تأثيراً في تغيير الاتجاه من النشرة المطبوعة ... وهذا يؤيد نتائج ويلكي .

اما فيما يتعلق بتكتيك الاتصال فقد اوضح (تاننبوم) ان كمية تغيير الاتجاهات الموجبة ترجع الى جاذبية الشخص القائم بالاتصال .

٣ ـ التغيير القسري في السلوك

لقد اوضح (Summer) انه لايمكن تغيير الاتجاهات او السلوك بالقوة ،وبعد محاولات بعض علماء النفس للوقوف على محتوى قضية اضطرار الزوجات البيض الى السكن في مشروعات اسكانية عامة بجوار زوجات الزنوج ادى الى تغيير اتجاهات الزوجات البيض نحو الزنوج بحيث اصبح اتجاههن اكثر مودة واقل عداوة من ذي قبل ، وبهذا زعزع اولئك العلماء ماتوصل اليه (سمنر) .

٤ ـ تغيير الاطار المرجعي :

يرتبط الاطار المرجعي بالاتجاه ارتباطاً وثيقاً ذلك ان اتجاه الفرد نحو اي موضوع يتوقف على اطاره المرجعي الذي يشتمل على معاييره وقيمة ومدركاته ... وعلى سبيل المثال : الشخص الرأسمالي ينظر الى القرارات الاشتراكية نظرة تختلف عن الشخص الاشتراكي ، وهذا يرجع الى الاطار المرجعي لكل منهم ، ولاحداث تغيير في اتجاه الفرد يتطلب ذلك تغييراً في اطاره المرجعي .

وعلى هذا فالاتجاه يعتمد على الاطار المرجعي الذي يكونه الفرد ، فاذا ماتغير هذا الاطار المرجعي ، تغير الاتجاه .

ويتحدث (نيوكمب) **(Newcomb)** عن الاطر المرجعية فيقول « ان هذه الاطر تضم اتجاهات الفرد معاً . وان هذه الاطر المرجعية تعد خرائط هادية تستخدم لتقويم الخبرة والسلوك » .

٥ ـ تغيير الجماعة المرجعية :

يذكر (مظفر شريف وكانتريل) « ان الجماعة المرجعية هي الجماعة التي يرتبط الشخص بقيمها واهدافها ومعاييرها اي يتمثلها دون ان يكون عضواً فيها بشكل مباشر . بل قد لا يكون على صلة بها » .

ولقد قام (نيوكمب) بدراسة في كلية **(Bennington)** تهدف الى الوقوف على مدى تأثير عضوية الفرد في الجماعة وتأثير الجماعة في تغيير الاتجاهات وقد وجد ان اتجاهات بعض الطالبات اللاتي التحقن بهذه الكلية وهي كلية غير رجعية واندمجن في جوها الاجتماعي قد تغيرت اتجاهاتهن نحو التحرر بينما لم يحدث اي تغيير في اتجاهات الطالبات اللاتي لم يتوافقن مع جو الكلية .

وهذا يؤكد ان الفرد اذا غير جماعته المرجعية التي ينتمي اليها . وانتمى الى جماعة جديدة ذات اتجاهات جديدة فان على مضي الوقت يسعى الى تعديل اتجاهاته القديمة وتغييرها بتكيف مع واقع جماعته المرجعية الجديدة ومعاييرها ومثلها .

٦ ـ التعليم المدرسي :

ان التعليم داخل المؤسسات التربوية قد يؤدي الى تعديل اتجاهات الفرد نحو اشياء وموضوعات وذلك عن طريق توضيح الاتجاهات القائمة ومحاولة القاء الضوء على بعض جوانبها . ولقد اوضحت دراسات عديدة ان الاتجاهات ترتكز على كثير من المناشط التربوية . بل ان الاتجاهات محصلة او نتاج للتربية . ولكي يحدث المدرس التغيير المنشود في اتجاهات طلابه ينبغي عليه ان يهتم اهتماماً كبيراً بأساليب العمل الجماعي والمناقشات الجماعية ومحاولة تحسين العلاقات الانسانية داخل الصفوف وان يمد طلابه بالخبرات الاساسية حول القضايا التي تشكل اتجاهاتهم وان يؤثر في النواحي الوجدانية والعاطفية لتلاميذه من خلال عرضة للمواقف الدراسية والقصص والاساطير . وان يجعل المدرسة قطعة حقيقية من المجتمع المحلي الذي تتماشى فيه المدرسة وان تكون ملتحمة التحاماً عضوياً به .

٧ ـ قرار الجماعة :

وفي دراسة اجراها ليفين (Lewin) ومعاونوه للوقوف على مدى تأثير قرار الجماعة على اتجاهات الافراد وكانت الدراسة تهدف الى تعليم ربات البيوت استخدام بعض الاطعمة الخاصة والحد من الاستهلاك فيما يتعلق ببعض انواع من الاطعمة . وكانت العينة عبارة عن مجموعتين من ربات البيوت . وقد استخدم في ذلك منهجين ، المنهج الاول : المجموعة الاولى كانت تحصل على محاضرات نظرية .

المنهج الثاني ، والمجموعة الثانية كانت تحصل على المعلومات نفسها ولكن من خلال المناقشات الجماعية والحوار .
وكانت النتائج ما يأتي ، اتضح بان ٣ ٪ من ربات البيوت اللائي حصلن على محاضرات نظرية قد تغيرت اتجاهاتهن . بينما ٣٢ ٪ من ربات البيوت اللائي حصلن على المعلومات من خلال المناقشة الجماعية والحوار قد تغيرت اتجاهاتهن .

من ذلك يتضح ان قرار الجماعة والمناقشات الجماعية اكثر فعالية من اسلوب المحاضرات النظرية .

٨ ـ السلطات (القادة والمسؤولون مصدراً من مصادر التغيير : لقد اوضح كرتشي وكرتشفيلد وبالاتشي في كتابهم « الفرد في المجتمع » ان حركات المعلومات (Information) لها سلسلة من الخطوات الرأسية والأفقية حتى تصل الى افراد المجتمع . فالمعلومات تنتقل من قادة الرأي العام القومي بطريقة رأسية الى وسائل الاعلام اذاعة تلفزيون ، جرائد ، مجلات ثم بطريقة رأسية اخرى الى القادة المحليين ثم تنتقل بطريقة افقية الى افراد المجتمع عن طريق اساليب الاتصال الفردية التي ترتكز على الكلمة المنطوقة .

انواع الاتجاهات :

١ ـ الاتجاهات الجماعية والفردية :

الاتجاهات المشتركة بين عدد كبير من الافراد تسمى الاتجاهات الجماعية والاتجاهات التي تميز فرداً على آخر تسمى اتجاهات فردية . فاعجاب الناس بالبطولة اتجاه جماعي واعجاب الفرد بزميل اتجاه فردي .

٢ ـ الاتجاه العلني والاتجاه الخفي :

فالاتجاه العلني يظهره الفرد دون حرج او تحفظ ومثل هذا الاتجاه يكون احياناً متفقاً مع معايير الجماعة ومثلها وقيمها . اما الاتجاه السري او الخفي فهو الاتجاه الذي لا يتفق ومواصفات المجتمع ومعاييره ومن ثم يخشى الفرد الافصاح عن هذا الاتجاه .

٣ ـ الاتجاه السالب والاتجاه الموجب :

نحن نطلق على الاتجاه لفظ « اتجاه ايجابي » اذا كان ينمو بالفرد تجاه الموضوع ويقربه منه واما اذا كان يتأى بالفرد عن الموضوع ويبعده عنه فاننا نسميه اتجاهاً سلبياً .

٤ ـ الاتجاهات العامة والاتجاهات الخاصة :

ان بعض علماء النفس اكدو وجود الاتجاهات العامة التي تنصب على الكليات واقروا وجود الاتجاهات الخاصة التي تنصب على النواحي الذاتية . لكن الابحاث التجريبية تدل دلالة صريحة على وجود الاتجاهات الكلية بجوار الاتجاهات الخاصة وهذا مااكده كانتريل **(Cantril)** في عدد كبير من تجاربه عن الاتجاهات .

٥ ـ الاتجاه القوي والاتجاه الضعيف :

ان القوة والضعف تميز شدة الاتجاه الذي ينعكس على نزوع الفرد ومدى تفاعله مع الاخرين . فرد الفعل الحاد في موقف اجتماعي معين انما يدل على اتجاه قوي والعكس صحيح بطبيعة الحال .

هذا ويذهب كانتريل **(Cantril)** في بحثه بعنوان « شدة الاتجاه » الى ان الجماعة الصغيرة التي يسيطر عليها الاتجاه الشديد الحاد . ذا فاعلية في دينامية المجتمع عن الجماعة الكبيرة التي لا يسيطر عليها مثل هذا الاتجاه .

وظائف الاتجاهات النفسية :

لقد ارجع كثير من علماء النفس بعض الظواهر مثل الادراك واصدار الاحكام والذاكرة والتعلم الى عملية الاتجاهات . وفي الواقع انه بدون الاتجاهات يصبح الفرد مرتبكاً مصاباً بالدوار .

ان الاتجاهات توضح لنا الطريق وتنظم عناصر البيئة المضطربة وهي وسائلنا لشق طريقنا في عالم مليء بالغموض ، ولها دور هام في مجال المتغيرات وخاصة حينما يكون المثير لا يتصل بصورة وثيقة باستجابة تلقائية ، وهنا تلعب الاتجاهات دورها الحاسم في تحديد المعنى والسلوك . والاتجاهات دائماً تحقق الرضا العاطفي للفرد وتخدم كافة دوافعه الاجتماعية ، وتسهم في فهم سلوك الافراد .

وتعمل الاتجاهات كأغراض تربوية تعليمية . ونحن حينما نتحدث عن الاتجاهات على اساس انها اغراض تربوية فانما نهدف من ذلك الى تكوين العادات السلوكية التي تحقق هذه الاهداف التي نصبوا اليها .

والاتجاهات لها وظيفة هامة في انها تعمل كمجموعة من المعاني العامة ذلك ان الاتجاه عبارة عن معنى يربطه الفرد بموضوع او بفكرة ويؤثر هذا المعنى بدوره في قبول الفرد لهذا الموضوع او لهذه الفكرة او رفضه لها . فالاتجاهات كموجهات عامة لسلوك الافراد ، وتعمل الاتجاهات ايضاً على تنظيم العمليات الدافعية والانفعالية والادراكية والمعرفية حول بعض النواحي الموجودة في المجال الذي يعيش فيه الفرد ، وان التعبير عن الاتجاهات سواء اكان هذا التعبير لفظياً او عملياً يمدنا بمفاتيح عن الشخصية .

قياس الاتجاهات :

لا يمكن ملاحظة الاتجاه مباشرة بل يجب استنباطه من السلوك اما من استجابة الفرد للاشياء والاشخاص والاحداث الاخيرة او من تصريحاته التقويمية وتعبيراته الكلامية الاخرى . علما بانه من الصعب ملاحظة ذلك بطريقة منظمة ومباشرة الا عن طريق المقاييس العلمية . فتهتم تلك المقاييس والتي سنعرج عليها لاحقاً ـ بالاتجاه الذي يتم تقويمه . هل هو مع او ضد الشيء او الشخص او الحدث الذي هو هدف الاتجاه ؟ ان شدة او قوة الاتجاه مهمة ايضاً . هل يشعر المستجيب بشعور قوي تجاه هدف الاتجاه او ان مشاعره ضعيفة او ازدواجية ؟ ويمكن قياس شدة الشعور بطرق مختلفة بتحديد موقع الشخص على جدول متدرج من القيم او باختيار تصريح واحد من مجموعة تتباين شدتها بين قوى الى « ضعيف » او بفحص عدد اقل او اكبر من الخيارات الموجهة باتجاه معين .

يهتم مقوموا الاتجاهات احياناً بمركزية الاتجاه . هل هو قريب الى مركز نظام الاتجاهات والقيم المهمة جداً لاهداف الفرد ؟ هل يشغل موقعاً اساسيا ؟ ام انه اتجاه هامشي . اذ من المحتمل ان تكون الاتجاهات التي يتمسك بها الفرد مركزية ومن المحتمل ايضاً ان تساندها مجموعة من المعتقدات . فلنأخذ مثالا على المركزية وهو الاتجاه الذي يشير الى « الذات » اذ ان بعض الاشخاص يميلون الى الشعور بقوة تجاه انفسهم اكثر من شعورهم تجاه اي شيء آخر . فهم يتمسكون باعتقاداتهم حول انفسهم وعلاقاتهم بالبيئة المحيطة بهم الى الدرجة التي يكونون فيها مستعدين لاتخاذ موقف دفاعي اذا ماهوجمت او نوقشت اتجاهاتهم او اعتقاداتهم . كذلك تعمل الاتجاهات الذاتية كخطوط رئيسية للاطفال بكل انواعها ويعد دوافع مهمة للسلوك .

يمكن قياس الاتجاه ايضاً على اساس تماسكه ـ اي المدى الذي تتماسك فيه الاتجاهات المختلفة وانظمتها وترابطها ـ لقد توصل (ثرفون جوتر) (١٩٧٠) في بحث اجراه على اتجاه الطلبة الجامعيين عبر فترة دامت ٣٧ سنة . ان الاتجاه الايجابي تجاه الدين والكنيسة يرتبط مع الايمان بالاخلاق الشخصية (الافراد الجيدين يخلقون مجتمعاً جيداً) اكثر من الايمان بالاخلاق الاجتماعية (المجتمعات الجيدة تخلق افراداً جيدين) .

هناك عدة طرق علمية لقياس الاتجاهات وكالاتي :

١ ـ طريقة بوجاردس (قياس البعد الاجتماعي) :

ظهرت هذه الطريقة عام (١٩٢٥) لقياس البعد الاجتماعي بين الجماعات القومية المختلفة . ويحتوي المقياس على عبارات تمثل بعض الحياة الحقيقية للتعبير عن مدى البعد الاجتماعي او المسافة الاجتماعية لقياس تسامح الفرد او تعصبه . وتقبله او تصوره . قربه او بعده بالنسبة لجماعة عنصرية او جنس او شعب معين . وفيما يأتي نموذج لمقياس البعد الاجتماعي :

احب ان :

١ ـ اتزوج منهم
٢ ـ اصادقهم
٣ ـ اجاورهم في المسكن
٤ ـ ازاملهم في العمل

٥ ـ اقبلهم مواطنين في بلدي
٦ ـ اقبلهم زائرين لوطني
٧ ـ استبعدهم من وطني

وتوضع علامة على هذا المقياس تعبر عن الاتجاه نحو الجماعات (الزنوج ، الانجليز ، العمال ... الخ)

ان الاستجابة الاولى تمثل اقصى درجات القرب اما الاستجابة السابعة فتمثل اقصى درجات البعد .

وقد طبق بوجاردس في سنة ١٩٢٦ المقياس على عينة تقرب من الالفين من الامريكين لقياس اتجاهاتهم نحو ٣٩ جماعة قومية وعنصرية . وفي سنة ١٩٣٦ اعاد المقياس وقارن بين النتائج في المرتين ليدرس التغيير الذي حصل على الاتجاهات . (٢٨ ـ ص ١٥١)

٢ ـ مقياس ثرستون :

وضع ثرستون طريقة لقياس الاتجاهات نحو عدد من الموضوعات . ويتكون المقياس من عدد من الوحدات او العبارات لكل منها كلمة معبرة عن وضعها بالنسبة للمقياس ككل . وتتم طريقة اعداد المقياس بجمع عدد كبير من العبارات قد يزيد على المئة . وهذه العبارات تعبر عن الاتجاه المراد قياسه ثم تعرض العبارات على نخبة من الاختصاصيين كمحكمين لبيان صلاحية تلك العبارات وتوضع اوزان بحيث يدل الوزن العالي على الاتجاه السلبي والوزن المنخفض على الاتجاه الموجب .

ومن الملاحظات على هذا المقياس أن الاستعانة بحكام متحيزين او متعصبين يؤثر في تكوين المقياس وبنائه ومن الممكن ان تكون العبارات المتساوية في نظر المحكمين الخبراء في الميدان غير متساوية بالنسبة للمبحوثين او ليست متساوية في الواقع . كما ان هذه الطريقة تتطلب عناءاً او جهداً كبيرين حتى يصبح المقياس صالحاً للاستعمال وقد يقترب متوسط التقدير للفرد من متوسط التقدير لفرد آخر مع اختلاف دلالة كل من المتوسطين .

وقد استخدمت طريقة ثرستون في قياس الاتجاهات نحو الحرب والكنيسة وتنظيم الاسرة والزنوج والصينيين .

٣ ـ مقياس ليكرت :

ابتكر (Likert) طريقة لقياس الاتجاهات النفسية وانتشرت هذه الطريقة وهي تصلح لقياس شتى الموضوعات .

وهي طريقة بسيطة تنحصر في اختبار عدد من العبارات تتناول الاتجاه النفسي الذي يراد قياسه . وعلى المفحوصين ايضاح ما اذا كانوا يوافقون بشدة او يوافقون او مترددين او لا يوافقون بشدة على كل عبارة من العبارات .

وكان الهدف الرئيس من استخدام هذه الطريقة هو التغلب على صعوبة المحكمين الخبراء في الميدان في طريقة ثرستون . ويحصل المفحوصون على الدرجات الاتية في الحالات الاتية ، الى مزيد من الرفض

موافق بشدة ـ موافق ـ متردد ـ لا اوافق ـ لا اوافق بشدة

٥ ٤ ٣ ٢ ١

الى مزيد من القبول

وعلى هذا فالدرجة المرتفعة تدل على الاتجاه الموجب والدرجة المنخفضة تدل على الاتجاه السالب ويمكن جمع الدرجات التي يحصل عليها الفرد على كل عبارات المقياس لتوضيح الدرجة الكلية العامة التي تبين اتجاهه العام وهذه الدرجة الكلية يمكن تفسيرها فقط في ضوء توزيع درجات الاشخاص الاخرين (كما يحدث في الاختبارات النفسية الاخرى . واختبارات التحصيل)

ومن الملاحظات على هذا المقياس بأنه سهل نظراً لانه لايحتاج الى محكمين خبراء في الميدان ولا الى اتفاقهم كما في طريقة ثرستون . كما انه يزيد من درجة ثبات المقياس لوجود عدة درجات امام كل عبارة تتراوح بين الموافقة التامة والمعارضة التامة وهناك مايدل على ان زيادة العدد في شدة الاستجابات المعطاة ـ وفي حدود معينة ـ تؤدي الى زيادة ثبات المقياس .

وكذلك فان الفرد في هذا المقياس مطالب بأن يعبر عن اتجاهه في كل عبارة من عبارات المقياس ولهذا فان كل عبارة تمدنا بمعلومات عن البحوث .

٤ ـ طريقة جتمان :

حاول جتمان في عام (١٩٤٧ ـ ١٩٥٠) بناء مقياس تجمعي متدرج يحقق فيه شرطاً هاما .. وهكذا لايشترك فردان في درجة واحدة على هذا المقياس الا اذا كان

قد اختار العبارة نفسها . اما عن طريقة اختيار العبارات نفسها فتشبه طريقة ليكرت . وكذلك المقياس المتدرج فيكون عادة خماسيا تحدد عليه درجة الاستجابة لكل عبارة . وفيما يأتي نموذج جتمان لقياس اتجاه الافراد نحو القسط الذي ينبغي ان يحصل عليه الفرد من الثقافة :

١ ـ نهاية المستوى الجامعي لا يعد كافياً لتثقيف الفرد
٢ ـ نهاية المستوى الثانوي لا يعد كافياً لتثقيف الفرد
٣ ـ نهاية المستوى الاعدادي لا يعد كافياً لتثقيف الفرد
٤ ـ نهاية المستوى الابتدائي لا يعد كافياً لتثقيف الفرد
٥ ـ ينبغي ان تزيد ثقافة الفرد عن مجرد القراءة والكتابة . /

ويلاحظ ان هذه المقياس يصلح فقط لقياس الاتجاهات التي يمكن وضع عبارات يمكن تدرجها بحيث يتحقق الشرط الاساسي الذي وضعه جتمان ... وهذا الشرط جعل استخدام طريقة جتمان في قياس الاتجاهات محدودة (٢٨ ـ ص ١٥٥ـ ١٥٦)

٥ ـ اختبار تمايز معاني المفاهيم او يسمى احياناً (فارق المعاني) :

هو عبارة عن اداة موضوعية لقياس دلالة معاني المفاهيم ومضمونها . وقد بدأ (اوسجود) وزملاؤه (١٩٥٢ ، ١٩٥٤ ، ١٩٥٧ ، ١٩٦٢) هذه الطريقة اساساً عن الادراك والاتجاهات . الا ان الطريقة اصبحت الان اداة عامة تستخدم في دراسات الشخصية وغيرها من الدراسات الاجتماعية والسياسية وذلك حسب غرض الباحث وليس هناك اختبار معروف ومنسق يسمى اختبار تمايز معاني المفاهيم وانما هناك الطريقة التي وضعها (اوسجود وزملاؤه) ويستطيع كل باحث ان يبنى اختبارا حسب هذه الطريقة . ويشمل الاختبار على مكونين اساسيين هما :

١ ـ المفاهيم التي تبحث عن معناها ومضمونها ودلالتها بالنسبة لافراد عينة البحث .

٢ ـ المقاييس التي يتحدد على اساسها دلالة كل من المفاهيم ومعناها ومضمونها . ويعتمد كل من هذين المكونين على هدف البحث كالحصول على بعض المفاهيم الاجتماعية كالوالدين والابناء والمربين والعمال .. الخ

يجب مراعاة مايأتي في اختيار المفاهيم :

١ ـ ان يكون لها معنى واهمية بالنسبة لافراد العينة

٢ ـ ان يكون موضوعاً لتباين الاتجاهات الشخصية .

٣ ـ ان تتوضح الفروق الفردية في الاستجابات .

ثم ترتب الفقرات وطريقة تحصل بها على اقصى عدد من المفاهيم المختلفة والمقاييس المختلفة بين تكرار كل مفهوم وقياس آخر وقد استخدم معظم الباحثين الشكل الاتي لهذا الاختبار حيث يظهر كل مفهوم على السطر نفسه مع المقياس لكي يتم الحصول على اقصى عدد من المفاهيم المختلفة .

المفهوم الاول من ـــــ ردئ

المفهوم الثاني من ـــــ ردىء

المفهوم الاول ضعيف ـــــ ردىء

المفهوم الثاني ضعيف ـــــ قوي

المفهوم الاول ضعيف ـــــ قوي

المفهوم الثاني حسن ـــــ ردئ

المفهوم الاول حسن ـــــ ردىء

المفهوم الثاني حسن ـــــ ردىء

المفهوم الاول نشط ـــــ خامل

المفهوم الثاني نشط ـــــ خامل

وفي هذه الطريقة يتغير مواضع الصفات الموجبة والسالبة بين اليمين وبين اليسار للمقياس ولكي نحقق نجاح المقياس يجب توضيحه للافراد من حيث طبيعته وطريقة استخدامه . علما بأن هذا الاختبار يطبق بصورة فردية وجماعية . وطبق هذا الاختبار على العمال والفلاحين والنساء .

الاختبارات الاسقاطية :

وفيها يعرض على المفحوص منبهات كأن تكون صوراً او جمل او قصص ناقصة وغير ذلك لغرض قياس اتجاهه . وهذه الاختبارات تكشف عن بعض جوانب الشخصية المرتبطة بالاتجاه ومن اهمها مايلي :

أ ـ تكملة الجمل : وتقدم للمفحوص بعض الجمل التافهة ويطلب تكملتها بأول ما يرد الى ذهنه فقد تكون تلك الجمل نحو جماعة او شعب او مهنة معينة ... الخ .

ب ـ تكملة القصص : وتقدم للمفحوص قصة ناقصة تدور مثلاً حول موضوع اجتماعي معين ثم يطلب منه تكملة القصة .

جـ ـ اساليب اللعب : وهذا الاسلوب يستخدم مع الاطفال للتوصل الى اتجاهاتهم نحو الوالدين والاخوة والمعلمين والاقران . وتستخدم الدمى التي تمثل تلك الاشخاص وعن طريق لعبهم مع تلك الدمى وفي مواقف اجتماعية معينة يتم التوصل الى اتجاههم .

د ـ تداعي الكلمات : وتقدم بعض الكلمات المرتبطة بموضوع الاتجاه المراد دراسته ضمن مجموعة اخرى من الكلمات ويطلب منه ذكر اول فكرة او كلمة تخطر له عند سماعها .

هـ ـ الاختبارات المصورة : وتعرض صور تمثل بجماعة من العمال مثلاً او الفلاحين ... الخ ويطلب منه ان يعبر عن كل صورة من وجهة نظره فسيسقط المفحوص خبراته واتجاهاته على الصورة .

و ـ السوسيودراما والسيكودراما : يعدان من المصطلحات الاساسية في مجال « القياس الاجتماعي » يعد الطبيب (مورينو **Moreno**) رائد هذا اللون من الدراسات التي تتعلق بالقياس الاجتماعي . والتمثيليات الاجتماعية هي اسلوب من الاساليب التي تبحث في العلاقات بين الجماعات المختلفة وفي الاراء والفلسفات والاتجاهات والتيارات التي تسودها . وقد استخدم مورينو طريقة السوسيودراما لقياس اتجاهات العمال نحو الاضراب .

ويعد اسلوب السيكودراما من الاساليب الهامة في مجال الطب النفسي **(Psychiatry)** حيث تعد التمثيليات النفسية والتمثيليات الاجتماعية وسيلة لعلاج المشكلات والاضطرابات النفسية الاجتماعية بجانب انها وسيلة من وسائل قياس « الاتجاهات النفسية » واسلوب من اهم اساليب دراسة ومعرفة وقائع السلوك الاجتماعي . (٢٨ ـ ص ١٥٦ ـ ١٦٥) .

الاتجاهات والمعتقدات :

ان الاتجاهات والمعتقدات تكون جزءا هاماً من حياته كما ان لها دور كبير في توجيه السلوك الاجتماعي للفرد في كثير من مواقف الحياة الاجتماعية ، وتمدنا في الوقت نفسه بتنبؤات صادقة عن سلوكه في تلك المواقف بصورها المختلفة .

وسنطرح تعريفين للاتجاهات ثم المعتقدات لتوضيح الفرق بينهما ، فيعرف (يورنج ولانجفلد) الاتجاهات بأنها الحالة العقلية التي توجه استجابات الفرد . بينما يعرفها (كرتش وكرتشفيلد) بانها تنظيم مستمر للعمليات الإنفعالية والادراكية والمعرفية حول بعض النواحي الموجودة في المجال الذي يعيش فيه الفرد . ويعرف المعتقدات بانها ذلك التنظيم المستمر للمدركات والمعارف حول هذه النواحي (٣٨ ـ ص ١٧٤) .

وفي ضوء هذا التعريف للاتجاهات والمعتقدات نستطيع ان نلمس الفرق الواضح بينهما ، فالاتجاهات تتضمن شحنة انفعالية ، وتتخذ صفة الثبات والديناميكية والتحريك والدفع . بينما لاتتصف المعتقدات بتلك الصفة الانفعالية . فهي تتضمن فكرة او رأي « محايد » او حقيقة نحو موضوع ما . ونوضح ذلك بالمثال الاتي ، الاتجاه ضد الزنوج في الولايات المتحدة الامريكية يتخذ صفة انفعالية ، بينما لايتضمن أي حقائق او افكار « محايدة » عن طبيعة هذه المشكلة العنصرية . اما في حالة المعتقدات . فنلاحظ ان الناحية المعرفية هي السائدة ، بينما لايتضح فيها الجانب الانفعالي المميز للاتجاهات ، مثل اعتقاد الشخص عن طبيعة كروية الارض ، فهو لايتعلق بالانفعال نحوها بقدر مايرتبط بايمانه بحقائق ثابتة (٣٨ ـ ص ١٧٤)

كما ان المعتقدات والاتجاهات تميل غالباً الى التثقيف وتبدي مقاومة للتغير . وبذلك نستطيع ان نقرر انها تتضمن ميكانزما يعمل نحو المحافظة على الذات . فالافراد يتذكرون تلك الجوانب المتفقة من معتقداتهم واتجاهاتهم اكثر من تلك المخالفة لها . وهو الميل نحو محافظة المعتقدات والاتجاهات على ذاتها وقد ينتج عند تحديد خبرات الافراد ، وبذلك يتناقص احتمال اكتساب خبرات جديدة ناتجة من التغيرات في المعتقدات والاتجاهات .

وعلى الرغم من الميل الطبيعي للمعتقدات والاتجاهات نحو المحافظة على ذاتها فأنها من الممكن ان تتغير وتتعدل . ويعطينا كل ماكتب من الناحية التجريبية في علم النفس الاجتماعي

عدداً من الاسئلة الناجمة لذلك التغير . ويلخص (ليفين) مشكلة تغيير المعتقدات والاتجاهات في العبارة الاتية ، « اننا من الممكن ان نفعل الكثير في عملية تغيير او تعديل الاتجاهات عن طريق عملية افادة التربية وأثرها الفعال في تغيير المجال السيكولوجي للفرد او تعديله . (٣٨ ـ ص ١٨٣) .

مما سبق يتضح لنا من الاتجاهات والمعتقدات تجعل الفرد يتخذ اساليب سلوكية معينة نحو موضوع تلك الاتجاهات والمعتقدات . وهذه الاساليب تدفع الفرد الى ان يتخذ مواقف معينة ذات شحنات ايجابية او سلبية . يعبر عنها اما باللفظ ـ وذلك في اجابته عن سؤال او تعبيره عنه بصورة تلقائية ـ او قد يعبر عن رأيه بصورة عملية عن طريق ممارسة السلوك الذين يكشف عن وجود اتجاهات او معتقدات معينة . وبذلك يمكن قياس الاتجاهات والمعتقدات طالما انها تعبر في حالة متميزة محددة في السلوك .

الاتجاهات النفسية والمعلومات :

لقد اوضحت دراسات عدة ان هناك علاقة بين الاتجاهات والمعلومات التي يحصل عليها الفرد في اي مجال من المجالات ، طالما ان هذه المعلومات التي يحصل عليها الافراد تتسق وآراءهم . ولقد اوضح كرتشي وكرتشفيلد وبا لاتشي في كتابهم « الفرد في المجتمع » ان اتجاهات الفرد تتشكل طبقاً للمعلومات التي يحصل عليها او يتعرض لها .

وهناك كثير من الدراسات التجريبية في مجال علم النفس توضح ان الاتجاهات النفسية تتشكل وتتلون طبقاً للمعلومات التي يحصل عليها الفرد . ولقد اوضحت كثير من الدراسات في المجال التربوي خاصة الدراسات السيكولوجية التي تتعلق بتغيير الاتجاهات ان هناك تغييراً في اتجاهات الطلاب وقد حدثت خلال البرامج التربوية التي يحصلون عليها في مجال كلياتهم ، ويرجع هذا التغير الى تأثير الكلية وقد قام بهذا النمط من الدراسات العلماء (لينتز **Lentz**) و (جونز **Jones**) و (نيوكمب **Newcomb**).

وفي مجال الابحاث التي تتعلق بدراسة الاتجاهات وعلاقتها بالمعلومات في المجال السيكولوجي . فقد قاما **Conttrell & Ebethart** بدراسة تهدف الى محاولة التعرف على مصادر الناس في الحصول على المعلومات نحو القنبلة الذرية وكانت اهم النتائج :

١ ـ ان مصادر المعرفة ترتبط ارتباطاً وثيقاً بمستوى التعليم والدخل .
٢ ـ ان الافراد ذوي المستوى الثقافي والمادي المرتفع يعدون المجالات مصدراً لمعلوماتهم الصحيحة .
٣ ـ ان الافراد ذوي المستوى المنخفض في معلوماتهم يثقون في الاذاعة عن الجرائد اليومية بينما الافراد ذو المستوى المرتفع في المعلومات يثقون في الاذاعة والجرائد اليومية متعادلة او متساوية .
٤ ـ ان الثقة الكاملة في جهاز الاذاعة ناتجة عن انها تزودنا بالاخبار بطريقة سريعة . وتوضح لنا الاخبار بطريقة تفصيلية .

الاتجاهات والنمطية :

تعرف الاتجاهات عادة على انها مفاهيم متعلمة وتقويمية ترتبط بأفكارنا ومشاعرنا وسلوكنا . ولنأخذ في الاعتبار لفظة افكارنا اي العنصر (المعرفي او الفكري) ان افكار الاشخاص عن الموضوعات المتعلقة بالاتجاه تبنى على كل من الخبرة والمعرفة وعلى ذلك فالاشخاص يقومون بعمل بعض الملاحظات القليلة ويكونون افكاراً عامة . وكما يقول عالم النفس (البورت) اذا حصل الاشخاص على مجموعة من الحقائق ولو ضئيلة فانهم سيندفعون الى تكوين تعميمات كبيرة . فلان اباك وعمك مثلاً يحبون اصلاح سياراتهم بأنفسهم فانك قد تسارع الى التقييم بأن الرجال جميعاً لديهم ميل ميكانيكي . وحينما تكون التقييمات بسيطة وجامدة وتخص الاشخاص او الجماعات الاجتماعية فاننا نطلق عليها السلوك النمطي . وعلى الرغم من ان هذه الكلمة لها ارتباطات سلبية الا ان هذه التعميمات ليست دائماً ضارة . فهي تساعد احياناً على تنظيم المعلومات المعقدة وتكييفها بحيث تمكن الناس من التعرف الذكي السريع .

والاشكال النمطية فيها خطورة حينما تنس انها اشياء قائمة على عينات بسيطة صغيرة من السكان وانما كثيراً ماتكون غير عادلة عندما تطبق اوتوماتيكياً على افراد آخرين داخل البلد الواحد . واحياناً يقوم المكون الفكري للاتجاه في ضوء تعقيده وحينما سئل احد الافراد عن اتجاهه ناحية حماية موارد البيئة قال : هذا امر ضروري تماماً . وقال شخص آخر « انه امر يتوقف على المورد ذاته وعلى اهميته وعلى الوظائف التي تخلق او تدمر بواسطة المجهود البيئي » . فمن الواضح ان الفكر في اتجاه الشخص الثاني اكثر تعقيداً عن الفكر في اتجاه الشخص الاول ويهتم علماء

النفس على وجه خاص بالعلاقة بين الفكر والعناصر السلوكية للاتجاهات . ويرى البحث ان الروابط بينهما ليست بالضرورة ثابتة .

فغالباً مايوجه الناس أنفسهم بطرق تكون متعارضة مع افكارهم ويرى عالم النفس (اريل) ان الناس يلاحظون سلوكهم الشخصي اذا كان اساسه داخلياً (اي انفعالياً ومعرفياً) ضعيفاً وغير واضح ومن المفروض انهم قادرون على تكوين استنتاجات متعلقةبمشاعرهم وافكارهم مثلما يستطيعون مراقبة سلوك الاخرين .

كما وتزودنا نظرية التنافر المعرفي باطار آخر يساعد على فهم سبب تأثير السلوك في الجوانب الانفعالية والفكرية للاتجاهات . فاذا كان هناك صراع بين افكارنا واعمالنا فاننا نكون عرضة للشعور بعدم الارتياح وقد نعيد تقويم افكارنا بقصد تقليل هذا التنافر وبين الحين والاخر . يقوم علما النفس بتقويم عمليات ثبات واستمرار عناصر الاتجاه واحياناً يجدون ان كل عناصر الاتجاه في حالة من التناسق فقد تكون ممن يكرهون التدخين فتتجنبه انت فعلاً وتعده عادة غير صحية . كما قد تكون عناصر الاتجاه غير متناسقة فقد تكون مدخناً وتحب التدخين ولكنك تعد هذا النشاط ضاراً .

الاتجاهات والقيم :

ينمو المرء ويتعرض للخبرات المختلفة عن طريق التنشئة الاجتماعية سواء منها الخبرات المقصودة ام العرضية غير المقصودة فيتعلم ويكتسب موجهات لسلوكه ويوظفها في حياته اليومية وفي تعامله وتفاعله مع الناس ونسميها القيم **(Values)** فالقيم بهذا المعنى تدلنا على ماينبغي ان نفعل وما ينبغي الا نفعل .

عرف مفهوم القيم منذعهد بعيد . ولكن القدامى عبّروا عنه باسماء مختلفة مثل الخير والخير الاسمى والكمال او المثل الاعلى والغاية والمعيار والمنفعة .

ومفهوم القيم من المفاهيم التي يتواتر استخدامها عندما يتناول حديث الناس الهام والخطير من الامور . فهو من المفاهيم التي تستخدم . مثلاً عند الحديث عن انقسام العالم الى معسكرين . ثم هو من المفاهيم التي تستخدم للمقارنة بين النظم الاقتصادية والسياسية والعلاقات الانسانية في المجتمعات البشرية .

ولا يقتصر حديث القيم على المشكلات العامة ذات الطابع القومي أو الدولي فحسب . بل نجده يتناول كذلك سلوك الافراد . والقيم في هذا المجال من الوسائل الهامة في التمييز بين انماط الافراد والجماعات . وقصارى القول ان القيم تتغلغل في حياة الناس افراداً وجماعات . وترتبط عندهم بمعنى الحياة ذاتها . لانها ترتبط ارتباطاً وثيقاً بدوافع السلوك وبالامال والاهداف وكذلك تختلف الاراء في معنى القيم ... كيف ؟

- يتحدث الناس في بعض الاحيان عن القيمة بمعنى الفائدة او المنفعة .
- ويتحدثون عن قيمة الهواء والماء والغذاء والفيتامينات بالنسبة للصحة والنمو . ويقصدون من ذلك الفائدة المادية الجسمية .
- ويتحدثون عن قيمة الصلاة والصوم في ترويض النفس والسمو بها واكتساب ثواب الله . ويؤكدون في ذلك الفائدة الدينية والروحية .
- ويتحدثون عن قيمة الزهور والصور . مثلاً . في تزيين المكان وتجميله ويرومون من وراء ذلك على الفائدة الجمالية .

- ويذكرون قيمة حسن معاملة الاخرين والعطف عليهم وهدفهم الفائدة الاجتماعية .
- ويبرزون قيمة العلم والدراسة ويقصدون الفائدة الثقافية .
- ويؤكدون قيمة المال وهمهم منحصر في الفائدة الاقتصادية .
- ويتحدثون عن قيمة النجاح في العمل ابتغاء فائدة شخصية .

٢ ـ ان السمة المشتركة لكل المعاني الانفة الذكر للقيمة هي نسبة القيمة للشيء موضوع الحديث . وليس اطلاق كلمة قيمة على الشيء نفسه .

ونلاحظ ان استعمال الناس عامة للقيمة فيه مرونة كبيرة . فهل يستخدم مصطلح قيمة في المجال العلمي بمرونة ايضاً ؟

نعم فليس هناك اتفاق على معنى القيمة في الدراسات الفلسفية والاقتصاد والفن وعلم الاجتماع وعلم النفس والانثروبولوجياً وغيرها .

في ضوء كل مامر ماهو تعريف القيمة ؟

يعرّف ببر **(Pepper)** القيمة بأنها : اي شيء خيراً كان او شراً .

يعرّف برى **(Perry)** القيمة بأنها الإهتمام . اي الاهتمام باي شيء . فاذا كان اي شيء موضوع اهتمام . فانه حتماً يكتسب قيمة .

اما ثورندايك (Thorndike) فيرى ان القيم هي تفضيلات ، وان القيم الايجابية منها والسلبية ، تكمن في اللذة او الالم الذي يشعر به الانسان .

وهناك من يتكلم عن القيم بمعنى الاتجاهات ، ويرى كثير من علماء النفس ان مايفرق بين القيم والاتجاهات هو ان الاولى عامة والثانية خاصة . ويقول بوجاردس (Bogardus) ، ان كل اتجاه مصحوب بقيمة ، وان الاتجاه والقيمة جزءان لعملية واحدة ، ولا معنى لاحدها دون الاخر .

ويرى (بارسونز) ان القيم عنصر مشترك في تكوين كل من نظام الشخصية والبناء الاجتماعي وقد اتخذ موقفاً توفيقياً بين علم النفس وعلم الاجتماع ، والتفاعل بين البناء الاجتماعي والشخصية . وقد صاغ تعريفاً للقيمة بأنها :

« عنصر في نظام (نسق) رمزي مقبول من المجتمع ، ويؤدي وظيفته اعتباره معياراً او قاعدة للاختيار بين متقابلات التوجيه المنظمة والمتيسرة للمرء في الموقف » .

ولقد اعطى (بارسونز) تعريفاً آخر فوصف القيمة بأنها احكام الاتجاهات نحو ادراك الاهداف الجماعية . فالقيم تحدد وتضفي الشرعية على اهداف النظام ، وترشد الاشخاص الفاعلين في اثناء ادائهم لادوارهم وتفاعلهم في الموقف ، وتحدد ولاء الشخص للدور ازاء الادوار الاخرى وتساعد شرعية هذه القيم الموجودة في المجتمع على اعطاء النظام صفة البقاء والاستمرار .

وقد قبل بارسونز تعريف كلايد كلاكهون (Clyde Kluckhoon) للقيم بأنها تصورات للتفضيل وهي جزء من الثقافة ، فالقيم تصورات عن الموضوع المرغوب فيه سواء أكان نظاماً اجتماعياً ام نظاماً للشخصية ام للعالم الطبيعي ، وتتسم هذه التصورات بالعمومية ، وتحكم كل نظم الفعل ، وهي تصورات تقبلها مجموعة من الناس هم اعضاء في ثقافة واحدة . وهذه التصورات ليس مجردة ، بل تصاغ في كلمات ويستدل عليها دائماً من اشكال السلوك والاتجاهات الخاصة والشائعة .

ويؤكد (بارسونز) ضرورة تماسك القيم الاجتماعية والا يفكك البناء الاجتماعي وتصاب الشخصية بالاضطرابات النفسية . والقيمة عنده لن تكتسب واقعيتها الا اذا توحدت بها الشخصية لتصير دافعاً لها على اداء السلوك المرغوب فيه . واذا توحدت بها الشخصيات صارت عناصر منظمة للعلاقات داخل البناء الاجتماعي .

يعد تعريف (بارسونز) في كتابه « الشخصية والبناء » اكمل التعريفات للقيمة ونورده فيما يأتي نظراً لاهميته .

« القيم تصورات توضيحية لتوجيه السلوك في الموقف ، تحدد احكام القبول او الرفض وتنبع من التجربة الاجتماعية وتتوحد بها الشخصية ، وهي عنصر مشترك في تكوين البناء (الاجتماعي) والشخصية (الفردية) . فهي من مكونات الموقف الاجتماعي ، لانها تتضمن نظام الجزاءات المرتبط بنظام الادراك في البناء الاجتماعي ، كما انها تكون جزءاً من لب الشخصية الاجتماعية ، لانها حصيلة او نتاج عملية التنشئة الاجتماعية والقيم قد تكون واضحة تحدد السلوك تحديداً قاطعاً او غامضة متشابهة تجعل الموقف ملتبساً مختلطاً » .

ويعرّف باكمان (Backman) القيم بأنها افكار حول ماهو مرغوب فيه او غير مرغوب فيه بالنسبة للامور او يشترك فيه اعضاء جماعة او ثقافة معينة .

مما تقدم نرى ان للقيمة تعريفات كثيرة تختلف وتتباين تبعاً للمفكرين او لمجالاتها التي تناولها بالبحث علماء النفس وعلماء الاجتماع والفلاسفة والاقتصاديون والسياسيون ... الخ .

ان للفرد عدداً من انساق القيم وليس نسقاً واحداً ، وهذا العدد من الانساق يتناسب مع عدد المواقف وانواعها الكثيرة والمختلفة التي تدعوه لاختيار المفاضلة ، فمثلاً يصح ان يكون لـ للشخص عدة انساق للقيم للتفضيل بعضها على بعض ، في المطعم والمنزل والفندق والعمل .

ولا تتخذ القيم في نسق القيم مرتبة ثابتة جامدة بل ترتفع وتنخفض وتعلو وتهبط وتتبادل المراتب تبعاً لظروف الفرد واحواله ورغباته واهتماماته من جهة ، وتبعاً لنموه وتطوره ونضجه من جهة أخرى .

مكونات القيم وانواعها :

تبين لنا ان القيم نتاج اجتماعي وان الفرد يتعلم القيم ويكتسبها ويتشربها ويصنفها الى اطره المرجعية للسلوك وان ذلك يتم من خلال عملية التنشئة الاجتماعية . وعن طريق التفاعل الاجتماعي يتعلم الفرد ان بعض الدوافع والاهداف يفضلها عن غيرها اي يعطيها قيمة اكثر من غيرها .

كما تبين لنا ايضاً ان القيم لاتنبع من الغرائز تلقائياً . بل تنبع من عالم الفكر والوجدان . وان الحياة في المجتمع تتطلب قواعد تنظم حاجات افراده . وهذه القواعد هي القيم . وان اختلاف القيم والمحك الذي يرينا تباين الجماعات واختلاف انماط السلوك .

اذن مم تتكون القيم ؟ وما عناصرها ؟

ليست القيم تصورات صماء بل تتكون من عناصر تأتي اليها من المجتمع تتآلف فيما بينها لتكوّن القيم التي تكون بدورها نظام القيم من اجل استمرار البناء الاجتماعي واستقراره وتماسكه .

ويرى (بارسونز) وغيره من علماء الاجتماع والانثروبولوجياً ان القيمة تتكون من عناصر ثلاثة هي :

أ ـ المكون العقلي ـ المعرفي
ب ـ المكون الوجداني ـ النفسي
جـ ـ المكون السلوكي ـ الارشاد الخلقي

وتسهم هذه العناصر الثلاثة في تحديد القيمة وتحديد وظيفتها ومعناها . ويتضمن العنصر الثالث العمليات التي تساعد الشخص الفاعل على تخصيص طاقاته وشحنها وتوجيهها بين مظاهر الفعل المختلفة . وهو الاساس في تكوين نظام القيم (Value - System) .

تؤكد المدرسة الاجتماعية المعاصرة ان هذه العناصر الثلاثة متداخلة ومتفاعلة فيما بينها بتأثير المجتمع والتفاعل الاجتماعي . وتعكس ثقافته وتعبر عن طبيعة العلاقات الاجتماعية السائدة فيه .

لننتقل الان الى تصنيف القيم وانواعها :

يتفق دارسو القيم على صعوبة تصنيفها . وعلى انه لايوجد تصنيف شامل لها . والواقع انه مهما يكن في تصنيف القيم من قصور عن الاحاطة بانواعها جيداً . فان التصنيف من الزم اللزوميات لدراستها . واي تصنيف افضل من عدم التصنيف .

اننا هنا سنعمد الى تصنيف القيم على اساس ابعادها ولنبدأ بالبعد الاول وهو بعد المحتوى Dimention of Content

قدّم سبرينجر (Spranger) انماطاً ستة من القيم . هي :

أ ـ القيم النظرية (Theoritical)

تعبر هذه القيم عن اهتمام الفرد الزائد وميله لاكتشاف الحقائق والمعارف من اجل تحقيق هذه القيم . ويتميز سلوك المؤمنين لهذه القيم بالاتجاه الفكري والعقلي والنقدي والتجريبي ، ويفضل هؤلاء دائماً ان يكونوا محبين للفلسفة وعالمين في مختلف العلوم .

ب ـ القيم الاقتصادية (Economical)

تعبر هذه القيم عن الاهتمامات العملية ذات الفائدة والنفع ، وتتوافق مع زيادة الاهتمام بالاشياء العملية في الصناعة والانتاج والثروة . ويهتم اصحابهم بكل مايهم رجال المال والاعمال . اي الانتاج والتسويق والاستهلاك واستثمار الاموال . ويرى هؤلاء ان القيم النظرية مضيعة للوقت ويحدد دون علاقات الناس على اساس المال والثروة .

جـ ـ القيم الجمالية (Aesthetic)

تعني هذه القيم بالشكل والتجانس وتعبر عن اهتمام الفرد وميله الى ماهو جميل من حيث الشكل وكمال التنسيق والانسجام ويتميز الاشخاص الذين تسود عندهم هذه القيم بالفردية والاكتفاء الذاتي ، ويعارضون المؤمنين بالقيم الاقتصادية المادية ، ويرون في عمليات التصنيع والتجارة والاعلان عمليات وأد للقيم الجمالية . وقد يكون بعضهم فنانين خلاقين وآخرون ذواقين مستمتعين بالجمال ومحبين له .

د ـ القيم السياسية (Political)

تهتم القيم السياسية بالعمل السياسي وحل مشكلات الجماهير ، ويتميز اصحاب هذه القيم بالعلاقات الاجتماعية وبالقيادة والقدرة على توجيه الاخرين .

هـ ـ القيم الاجتماعية (Social)

يعبر عن هذه القيم اهتمام الفرد بحب الناس والتضحية من اجلهم ، وبذل الخدمات العامة . ويتميز اصحابها بأنهم ليسو أنانيين او انفعاليين عاطفيين ، بل يرون في العمل على اسعاد الاخرين غاية في حد ذاتها .

و ـ القيم الدينية (Religions)

تؤكد هذه القيم وحدة كل الخبرات ، وادراك الفرد للكون . ويعبر عنها اهتمام الفرد وميله الى معرفة ماوراء الطبيعة ، فهو يرغب في معرفة ماوراء الطبيعة . ويؤمن ان هناك قوة تسيطر على العالم الذي يعيش فيه ، ويحاول ان يربط نفسه بهذه القوة . ويتميز معظم هؤلاء بالتمسك بالتعاليم الدينية .

وتنقسم القيم من ناحية مقصدها الى :

١ ـ قيم وسائلية :

وهي تلك القيم التي ينظر اليها الافراد والجماعات على انها وسائل لغايات أبعد .

٢ ـ قيم غائية او نهائية :

وهي الاهداف والفضائل التي تضعها الجماعات والافراد لانفسها .

ان التمييز بين القيم الغائية والقيم الوسائلية ليس امراً سهلاً كما يبدو ولاول وهلة . فأجراء عملية جراحية لمريض ، قيمة وسائلية والقيمة الغائبة هنا هي حفظ صحة المريض ، ولكل هل حفظ الصحة هي غاية ؟ ام ان هناك غايات أبعد من ذلك ؟

ان القيمة قد تكون قيمة غائية ، وتكون في الوقت نفسه قيمة وسائلية لقيمة اخرى وهكذا . فالعلم قيمة غائية وفي نفس الوقت قيمة وسائلية (حفظ السلام العالمي مثلاً) .

وسندرس الان تصنيف القيم على اساس البعد الثالث المسمى ببعد الشدة (Dimension of Intensivity) تتفاوت القيم من ناحية شدتها تفاوتاً كبيراً ، وتقدر شدة القيم بدرجة الالزام التي تفرضها . ويمكن ان نميز ثلاثة مستويات لشدة القيم والزامها وهي :

أ ـ ماينبغي ان يكون ، اي القيم الملزمة او الامرة الناهية وهي القيم التي تسمى كيان المصلحة العامة التي تتصل اتصالاً وثيقاً بالمباديء التي تساعد على تحقيق الانماط المرغوب فيها التي تصطلح عليها الجماعة في تنظيم سلوك افرادها من الناحية الاجتماعية والخلقية . والعقائدية . فالقيم الملزمة هي القيم ذات القدسية التي تلزم الثقافة افرادها بها ويرعى القيمة تنفيذها بقوة وحزم سواء

أكان ذلك عن طريق العرف وقوة الرأي العام ، ام عن طريق القانون والعرف معاً .

ب ـ مايفضّل ان يكون : اي القيم التفضيلية وهي التي يشجع المجتمع افراده على التمسك بها ولكنه لايلزم مراعاتها الزاماً يتطلب مزقها العقاب .

جـ ـ مايرجى ان يكون : اي القيم المثالية او الطوبائية : وهي القيم التي يشعر الناس بصعوبة تحقيقها بصورة كاملة ومن امثلتها الدعوة الى مقابلة الاساءة بالاحسان .

اما البعد الرابع والمسمى العمومية فينقسم الى قسمين :

أ ـ القيم العامة : وهي القيمة التي يعم انتشارها في المجتمع كله ويتوقف انتشار القيمة العامة في مجتمع ما على التجانس في احواله وبقدر مايكون في المجتمع من قيم عامة يكون تماسكه وتكون وحدته .

ب ـ القيم الخاصة : وهي القيم المتعلقة بمواقف او مناسبات اجتماعية معينة ، او بمناطق محدودة او بطبقة او جماعة خاصة .

القيم الصالحة للشباب

لابد من رعاية الشباب سواء أكانت من الناحية الانشائية ام الوقائية ام العلاجية ، فهي عملية تربوية يقصد بها العمل مع الشباب في المدارس والمصانع ومراكز رعاية الشباب وفي المعسكرات سواء أكانت عملية او ترويحية بقصد خلق جيل صالح يغرس فيه القيم القومية والوطنية والاجتماعية والالتزام الخلقي وذلك بالاستفادة من طاقاته الجسمية والحيوية بطريقة ترضيه وترضي الجماعة سواء اكانت الاسرة ام المجتمع ام زملائه في المدرسة او المصنع .. ولا يتم ذلك الا من خلال البرامج والاساليب في اي وحدة اجتماعية لغرض اكسابه الصفات الطيبة للمواطنة الصالحة وتساعده على تكوين علاقات اجتماعية جيدة وتمكنه من تفهم شخصيته لانه مواطن له ذاتيته وهو عضو في المجتمع عليه واجبات اجتماعية نحو غيره ، وتكفل له اشباع احتياجاته ومطالبه الاجتماعية وتنمي شخصيته وتزوده بفرص النمو النفسي السليم . فلذلك يجب ان تنمي وتغرس القيم الوثيقة الارتباط بالقوة الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية في القطر لتهيئة المواطن الصالح المساهم في تقدم مجتمعه الاشتراكي وتطوره .

العلاقة بين الاتجاهات والقيم :

ان كلاً من علماء النفس والاجتماع يعدون الاتجاهات غير منفصلة عن القيم فالاتجاهات لاتوجد منفردة في الشخص ، ولكنها تتجمع حول بعضها البعض في شكل تكتلات او بنيانات متناسقة تسمى بأنسقة القيم . كما ان الاتجاهات والقيم تعد من الدوافع الاجتماعية المهيئة للسلوك . تنتظم الاتجاهات اذن في تكوينات اكبر هي القيم بمعنى ان كل مجموعة من الاتجاهات تنتظم في نسق واحد يتفق والاطار العام للشخصية . ولما كانت الاتجاهات تتجمع في شكل تكتلات فأن القيم هي النواة التي تتجمع حولها هذه الاتجاهات لتوجه السلوك على مدى طويل للبلوغ الى هدف له جاذبيته ويلاحظ انه بالرغم من ان الاتجاهات تتجمع وتنتظم في نسق او نظام واحد هو القيم الا انها تحتفظ بذاتها وفرديتها ولذلك فأن اتجاهات الافراد تفوق في عددها القيم الموجودة عندهم ويقول في ذلك « روكيش Rockeach (١٩٦٨) أن الشخص البالغ قد تكون لديه عشرات الالاف من المعتقدات والاف من الاتجاهات بيد انه لن يكون لديه سوى عشرات من القيم . ان القيم تجعل لحياة الناس معنى كما تمنحهم الشعور بالاتجاه »

ولما كانت الاتجاهات والقيم متعلمة مكتسبة فانها عرضة للتغير نتيجة التوصل لمعلومات جديدة . الا انه يبدو ان الاتجاهات اكثر عرضة للتغير بينما القيم الاساسية اكثر ثباتاً واستقراراً واستمراراً .

قد يقود هذا الى اكتشاف هياكل قيم مستترة واتجاهات تمكننا من توقع التصرف في انواع اكبر من المواقف . ان الافتراض الاساسي تواجد خيط من التوافق بين الاتجاهات والقيم وبين التصرف الاجتماعي الذي يسيطر عليها . في الواقع ان تصرف الناس بشكل متوافق عموماً يشكل كثيراً من الاتجاهات المتعلقة بقياس الاتجاهات والذي سنعرض له تبعاً في هذا الفصل .

■

د . عبد الله عبد الحي موسى : المدخل الى علم النفس ، ط ٢ ، القاهرة ، مكتبة الخانجي ، ١٩٨١ ، ص ٢٢٤ .

الاتجاهات والتعصب العنصري :

يعكس الاتجاه المسمى بالتعصب حكماً سلبياً مسبقاً ينسحب على فرد او مجموعة من الافراد ويقوم على سلوك نمطي يبالغ في سمات المجموعة وتهمل نواحي القوة والضعف الفردية . وهدف التعصب هو في الغالب عضو من جماعية أقلية بحيث يصبح هذا العضو ضعيف المكانة ثانوي القوة (جماعة الاقلية ليست بالضرورة صغيرة في عددها فعلى الرغم من وجود نساء اكثر من الرجال في العالم على سبيل المثال يعتبر النساء عادة اقلية) . ويرتبط التعصب باحكام او مشاعر قوية سلبية (واحياناً ايجابية وغالباً يرتبط بالتميز ويعرف التميز على انه سلوك متميز ضد او في صالح فرد او مجموعة من الناس ويقوم على اساس من عضوية الجماعة وليس على الامتيازات او العيوب الفردية . وسنركز في حديثنا على التعصب العنصري السلبي وكذلك على ممارسات التفرقة العنصرية ضد السود في الولايات المتحدة . فقد قام كل من (جويل كوفيل Joelkovel ، و (اروين كاتز Irwin Katz) بوصف انماط عديدة للعنصرية البيضاء . ويعبر العنصريون المسيطرون من نوع من الحقد والكراهية العنيفة ضد السود ويقومون باستخدام هذا التعصب استخداماً فعلياً حتى لو تطلب استخدام القوة وخرق القوانين .

ويتمسك العنصريون ذوو المشاعر المتضادة بمشاعر مختلطة تجاه السود مثل التعاطف مع العدوان فقد يعدون ان السود ضحايا الظلم الحاد ولكنهم يقاومون اي تغير من شأنه تحسين مصيرهم .

والعنصريون المتطرفون تبدو عليهم علامات غريبة للتعصب فهم يعدون انفسهم تحرريون ويعملون بقصد تحسين احوال السود على الرغم من انهم قد لايدركون تطرفهم فأنهم قد يتجنبون التفاعل مع السود كلما كان ذلك ممكناً . واذا حدث هذا الاتصال فان المتعصبون المتطرفون يتصرفون بصداقة وبأسلوب مهذب (لاحظ للمتطرف العنصري اتجاهات معقدة غير متناسقة) .

واخيراً هناك اللاعنصريون الذين يعدون العنصرية امر غير ذي علاقة ويتصرفون تبعاً لذلك . ويرى البحث ان السلوك النمطي المتعلق بانتقاص قدر السود امر اخذ في الزوال (٤٢ ـ ص ٧٧٦ ـ ٧٧٧) من الممكن ان يعرف التعصب في ضوء علم النفس الاجتماعي بأنه « تلك المعتقدات والاتجاهات المتعلقة ببعض المساوىء التي تراها جماعة ضد اقلية عنصرية او قومية » (٣٨ ـ ص ٢٣٤)

اكتساب التعصب العنصري :

يبدأ الاطفال الامريكيون في سن الثالثة في تكوين اتجاهات ثابتة تجاه الناس من الاجناس المختلفة ، وعلى الرغم من ان عدداً قليلاً من الكبار يبدأون في غرس التعصب في الصغار عمداً الا ان هذه الاتجاهات تثبت بسهولة نتيجة للخبرات اليومية . وربما يكون التعلم بالملاحظة من المؤثرات الهامة حيث يسمع الاطفال آبائهم يتحدثون عن « السود الجهلاء » ويرون بهذا الشكل انواعاً من التفرقة وربما لايوجد هناك سود يعيشون في مقاطعتهم ولكن حتى فترة قريبة كانت برامج التلفزيون والمجلات والجرائد تميل الى تصوير اعضاء جماعات الاقليات السوداء بطريقة سيئة فكان تصورهم دائماً على انهم يشغلون الوظائف الثانوية ويعيشون في فقر مدقع ، ويتصرفون بطريقة حمقاء وكانت تقدم صوراً تؤكد مكانتهم الثانوية . ومن المحتمل ان التعصب يمكن تشريطه اجرائيا ايضاً فيستطيع المعلمون والاباء وجماعات الاقران من خلال الموافقة وعدم الموافقة تعزيز الاتجاهات التي تتفق واتجاهاتهم الشخصية ويعاقبون تلك التي تنحرف عن اتجاهاتهم وقد يتعلم الاطفال التعصب من خلال التعليمات المباشرة ايضاً وتعد دروس الكتاب المدرسي في بعض الحالات دعاية مقنعة تقدم وسط الموسيقى والتمثيل . ويرى عالم النفس (مليتون روكيش) ان الاباء البيض قد يمررون الى اطفالهم بطريقة غير مقصودة جزءاً من تعصبهم تجاه السود وبأعتقادهم ان السود يحتقرون الطبقة المتوسطة كالنظافة وعدم تعدد الزوجات والاناقة والاقتصاد . وقد وجد العالم (دافيد شتاين David Stein وزملاؤه وباحثون آخرون تأييداً مباشراً لهذا الغرض حيث قاما بسؤال طلاب بيض من المدرسة الثانوية لتحديد الدرجة او المدى الذي يوافقون عليه بالنسبة لعبارات مكتوبة متصلة بالقيم منها على سبيل المثال « ينبغي معاملة الناس جميعاً على انهم متساوون » وقاما بعد ذلك بشهرين بسؤال نفس الافراد لقراءة مقياس استجابة القيم بالنسبة لاربعة من الغرباء المراهقين المختلفين ، وكان اثنان من هؤلاء المراهقين (واحد ابيض والاخر اسود) بدا انهما يعبران عن قيم متشابهة . وكان الاثنان الاخران (كل منهم عنصر مختلف ـ ابيض ، اسود) يعبران عن آراء مختلفة اختلافاً شديداً واوضح الافراد مدى صداقتهم وحبهم الذي شعروا به تجاه كل غريب منهم في مواقف متنوعة . وبالنسبة للتفاعلات السببية بدا أن المشتركين في البحث يميلون الى تفضيل الناس ذوي القيم المشابهة لتيمهم وبغض النظر عن العنصر . ولكن كان من الواضح ان العنصر كان يؤثر على العلاقات الحميمة الوثيقة كالزواج حيث قال الافراد البيض انهم يفضلون التفرقة العنصرية في ظل الظروف حتى ولو كان للافراد

قيم متشابهة وقد ثبت صدق هذه الاستنتاجات في دراسات حديثة كبيرة . وثبت ايضاً انه حين لايعرف الافراد شيئاً عن الفرد الا عنصره فان كثيرين يعرفون تلقائياً ان الفرد من العنصر المخالف يعتنق اتجاهات وقيم واعتقادات غير متشابهة معهم . اما الفرد من عنصرهم فيعتنق اتجاهات وقيم واعتقادات متشابهة لاتجاهاتهم . وكما اوضح روكيش ان الاباء ينقلون تلك الافكار لابنائهم .

لقد ثبت في اوائل الستينات في احد مراكز الدراسة عن استطلاع الرأي القومي ان الفقراء من الامريكيين البيض هم اكثر ميلاً من غيرهم لاظهار تعصبات شديدة ضد السود . وبالمثل فالسود من الفقراء وغير المتعلمين هم الذين يتمسكون بمشاعر الشك وعدم الثقة والعدوان ضد البيض من غيرهم . ويبدو ان الفقر يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالتعصب ، وعلى الرغم من ان هناك عدداً من الاسباب وراء تلك العلاقة الارتباطية الا أن كثير من العلماء السلوكيين يعتقدون ان المنافسة والاحباط التي كثيراً ماتصاحب الفقر تعد اموراً متعلقة بذلك .

وحينما يقوم آباء خشنون غير منسقين بتربية الاطفال فان الاطفال يميلون الى تكوين قيم وميكانزيمات دفاعية تجعل التعصب رد فعل محتمل تجاه مشكلاتهم كالكبار . وقد وجد (تيودور) **(Theoder** وزملاءه تأييداً لهذا الغرض حينما كانوا يدرسون الافراد ذوي الشخصيات التسلطية . لايتسم الافراد التسلطيون بانهم جامدون تقليديون غير متماسكين تجاه الضعف سواء في الاخرين او في انفسهم . ويؤيدون العقاب وينشغلون بالقوة والخشونة وهم يتهكمون تجاه الطبيعة الانسانية ويخشون الافراد ذوي النفوذ والسلطة وينتفعون باهمية الطاعة . وغالباً ما يعتنق الافراد المتسلطون تعصباً حاداً وغالباً ما يقولون بان اباءهم كانوا قادرين وغير قادرين على التنبؤ ويميلون الى العقاب بشدة . وقد بين تيودور وزملاؤه ان الافراد المتسلطين كانوا في طفولتهم خائفين من والديهم وغاضبون منهم وعلى ذلك يفترض انهم يظلون غير آمنين ويتمسكون بالعدوان كالكبار . ويقومون بمعاقبة هذه المشكلات عن طريق ميكانزمات الدفاع وهم يقومون بعملية اسقاط لعدم كفاءتهم على افراد جماعة الاقلية عديمة القوة . ويزيحون غضبهم من آبائهم على هؤلاء الضحايا . وقد يكون تحليل (تيودور) صحيحاً فهناك دليل على ان الاتجاه التسلطي يرتبط بالتعصب (٤٢ ـ ص ٧٧٨ ـ ٧٨٢) .

الشخصية المتعصبة :

لقد اوضحت الدراسات والبحوث ان التعصب يعد من سمات الشخصية فقد وجد
(١) - ان الشخص المتعصب يفضل استخدام العقاب الجسمي ويميل الى صلابة الرأي
(٢) والمحافظة والتسلطية . ويتصف بجمود الفكر وجمود الاتجاهات وعدم المرونة . ويهتم
(٣) بالمكانة الاجتماعية والقوة . ويتأثر بسهولة بأصحاب مراكز التسلط ويميل الى
(٤) العدوان والقلق الا انه قد يكبته ويظهر مؤدباً هادئاً ويسقط عدوانه وقلقه على
الجماعات التي يتعصب ضدها (٢٨ ـ ص ١٧٩)

ويرى « كرتش وكرتشفيلد » ان على الرغم من ان هناك قليلاً من يعد
الاتجاهات المتعلقة بالتعصب دلالة للمرض النفسي . الا ان التعصب العنصري
(٧) لايوجد في الغالب الا بين الشخصيات التي تعاني من السادية ومشاعر العدوان
والبارانويا . ولكن هذا لايعني ان ينمو التعصب لدى تلك الشخصيات . كما انه
ليس كل المتعصبين عنصرياً يعانون من تلك الامراض ومع ذلك . فان الشخصية
المتعصبة تتكون لديها في معظم الحالات معتقدات واتجاهات نحو التعصب العنصري
تؤيد سلوكها غير السوي وتبرره . فالشخص المتعصب يكون متوتراً ينتقل على شكل
عدوان ضد جماعة عنصرية معينة . وبذلك يكون التعصب العنصري وظيفة تتمثل
في التنفس الانفعالي عن مشاعر التوتر والعدوان المكبوت . اما من ناحية ارتباط
التعصب بالبارانويا . فان الشخص المصاب يكون غير قادر على فهم الاخرين . فهو
يعيش في عالم مليء بالشكوك . ويوجه هذه الشكوك نحو اعضاء جماعة عنصرية
معينة . يجد فيها متنفساً لاظهار هذه الجوانب من الشخصية .

(٩) وهناك من علماء النفس من يربط بين التعصب وعاطفة اعتبار الذات . فكثير
من معتقداتنا واتجاهاتنا ومعارفنا تنتظم بالدرجة التي تؤدي الى احترام الذات او
تزيل اي تهديد لتلك المشاعر .

تفسير التعصب : هناك من يفسر التعصب العنصري في ضوء التحليل ا لنفسي .
فالتعصب يؤدي الى وظيفة نفسية خاصة تتلخص في التنفيس عما يعتلج في النفس
من كراهية وعدوان مكبوت . وذلك عن طريق عمليتي النقل والابدال دفاعاً عن
الذات وعن من تحبه .

ويؤكد الدكتور (مصطفى زيور) ١٩٥٢ ان اهم العوامل في تبرير التعصب هو ما
يسميه بالعامل النرجسي لأنه الصق من غيره من العوامل بغريزة حفظ البقاء .

ويخلص زيور من تحليله الى ان المتعصب يجني في موقفه كسباً . غير ان هذا الكسب لا يختلف عما يجنيه العصابي من سلوكه الشاذ اي انه كسب وهمي ناقص يفوت على صاحبه فرصة حل اشكاله حلاً واقعياً مجدياً . (٣٨ ـ ص ٢٣٦ ـ ٢٤٨)

قياس التعصب : يُردامل

يتضح التعصب على مقياس البعد الاجتماعي لبوجاردس وقد ذكر عند التحدث عن مقاييس الاتجاهات . فان المسافة الاجتماعية تزداد كلما كانت الاتجاهات سالبة وكلما كانت مشحونة انفعالياً . وغير صديقة وعدوانية .

وتعد الاتجاهات الجامدة دليلاً على المسافة الاجتماعية ووجود التعصب .

وقد استخدم الدكتور حامد زهران. ١٩٦٦)اختباراً لقياس التعصب عند المراهقين اعده في الاصل « بتس Pitts » ويشتمل الاختبار على ٣٠ فقرة عن الامريكان والالمان والسياسيين والمدرسين والبنين والبنات والاجانب والزنوج . وقد وجد معامل ارتباط موجب ودال بين هذا المقياس ومقاييس الاتجاهات الجامدة والتعصب السلالي والتفكير الانفعالي والعناد والتسلطية (٣٨ ـ ص ١٨٢) .

عيوب التعصب : يمكن تلخيص اهم عيوب التعصب بما يأتي :

١ ـ يباعد التعصب بين الناس ويؤدي الى التشاحن والصراع .

٢ ـ ينظر الى ضحاياه على انهم اقل في المكانة وحتى القدرات العقلية وان لهم من الصفات غير المستحبة والمنفردة الكثير . وينظر اليهم نظرة عداء اينما وحيثما كانوا .

٣ ـ يدفع المتعصبين الى القيام بسلوك لااخلاقي او مضاد للمجتمع اتجاه ضحايا تعصبهم .

٤ ـ قد يشعر المتعصب ان تعصبه يتعارض مع مبادئه العامة مثل اعتقاده المساواة بين البشر وايمانه بالعدالة والحرية ... الخ وهذا يؤدي الى صراع يشقي صاحبه (٣٨ ـ ص ١٨٢)

خفض التعصب العنصري ومقاومته :

لقد اقترح البحث القائم على اسباب التعصب عدداً من الاساليب التي يمكن استخدامها بقصد خفض التعصب وسنقوم في هذا الصدد بوصف ثلاث استراتيجيات عامة متداخلة الى حد ما . وتعتمد هذه الطرق الثلاثة على خليط من مباديء التعليم ، تشكيل الاتجاهات غير المنحازة ، تشريط الاستجابة الايجابية للافراد من العناصر المختلفة واقامة ظروف من شأنها تعزيز التناسق والتعاون وتوصيل معلومات طيبة عن افراد مجموعة الاقلية ووسائل غير طيبة عن التعصب .

طرق خفض التعصب

المعايير الاجتماعية :

من المعلوم ان الناس يميلون الى الاستمرار مع المعايير ذات المستويات المتعلقة بجماعتهم . والمعايير الاجتماعية التي هي في صالح التآلف العنصري من شأنها تخفيض التعصب وتفكيكه . وتزودنا التجارب التي تحدث بطريقة طبيعية بدليل على ذلك ففي الجامعات على سبيل المثال لا يعتبر التعصب امراً مألوفاً فقد وجد الباحثون ان تعصبات الطلاب تقل بدرجة ذات دلالة بتزايد الوقت الذي يقضون في الكليات او الجامعات .

وقد وجد عالما النفس (موتون دويتش وماري كولنز) دليلاً على ان المعايير الاجتماعية للاسكان المتكامل قد يقلل من العدوان بين السود والبيض ايضاً . وقد بدأت مشروعات الاسكان العنصري المزدوج في الظهور في كثير من المدن الامريكية بعد الحرب العالمية الثانية .

ان المعايير الاجتماعية التي تجيز التآلف العنصري من المحتمل انها تكون اكثر فعالية حينما تتخلل البيت والمدرسة والاماكن الاجتماعية وتبدأ في المراحل الاولى من عمر الطفل .

التربية :

ان عدداً من الممارسات التربوية تستطيع ان تقلل من عملية العدوان العنصري فالمناهج المتعددة الاجناس (اي التي تركز على التعلم المتعلق بالمجموعات المختلفة) . وكذلك القراءات العنصرية المتعددة (اي تلك التي تصور الناس ذوي الخلفيات العنصرية المختلفة) امور تقلل من التعصب عند الاطفال . كما ان المشروعات التربوية التي تعالج الاتجاهات العنصرية امور من شأنها ان تقلل من العدوان بين

الصغار من السود والبيض . فبعض المعلمين على سبيل المثال قد يخلقون مواقف تفرقة في الصف ولفترات قصيرة في الوقت ليزودوا الطلبة بادراك شخصي واضح للاثار المؤلمة للتعصب واستخدمت الوسائل المثيرة للفكر بشيء من النجاح في تطوير التآلف العنصري بين طلبة الجامعة . وفي احدى التجارب طلب (مليتون روكيس) من اكثر من ٣٠٠ طالب بجامعة ولاية ميشجان (حوالي ٩٧ ٪ منهم من البيض) ان يقوموا بترتيب اهمية قيم كالحكمة والسعادة والحرية والمساواة والحياة المرفهة والحب الناضج ، وعزز نصف الافراد (وهم المجموعة الضابطة) بينما الباقون من المشتركين في البحث (وهم المجموعة التجريبية) كانوا يستمعون الى بعض المعلومات الموزعة ذات القيمة المدمرة . وتعلم الافراد التجريبيون ان الطلبة السابقين كانوا مهتمين اساساً بحريتهم وكانوا اقل اهتماماً بحرية الاخرين . وكان الطلبة الذي يقيمون جهود الحقوق المدنية يميلون الى ترتيب المساواة في مرتبة عالية ـ كما قال العلماء السلوكيون ـ وبعد سماع تلك الرسالة . تم تشجيع الافراد التجريبيين على اعادة تقيم ترتيبهم القيمي وكذلك موقفهم من الحقوق المدنية ومن المفترض ان مواجهة الذات والتساؤل اثار نوعاً من التنافر المعرفي والذي قلله بعض الطلاب بتفسير افكارهم وسلوكهم . وبعد ذلك بعدة شهور قامت المؤسسة لتطوير الافراد الملونين بدعوة المشتركين في البحث للالتحاق بها وكانت نسبة من قبلوا من افراد المجموعة التجريبية حوالي ٢٨ ٪ تقريباً في مقابل ١٠ ٪ من افراد المجموعة الضابطة . (٤٢ ـ ص ٧٨٣ ـ ٧٨٥)

يتضح مما تقدم ان مشكلة التعصب العنصري لها جوانبها الثقافية والنفسية . وكل محاولة لتغيير هذا الاتجاه لا بد من دراسة جميع الجوانب التي شكلت هذه المشكلة .

الفصل السابع

الدعاية والاعلام

مفهوم الدعاية
اهدافها
قوانينها
انواعها
اساليبها
سيكولوجيتها
تأثير الدعاية في سلوك الفرد والجماعة
كيف نتعرف على الدعاية
حماية انفسنا من الدعاية

مفهوم الاعلام
اهمية الاعلام في المجتمع الحديث
الفلسفات التي بني عليها الاعلام
الاعلام واثره في سلوك الفرد والجماعة
الفرق بين الدعاية والاعلام
الدعاية والاشاعة
الرأي العام
مفهومه
اهدافه
انواعه
الرأي العام والاتجاهات
خصائصه
قوانينه
اثر الرأي العام في سلوك الفرد والجماعة
تكوينه
قياسه

(الدعاية والاعلام)

تعد الدعاية وسيلة من وسائل الضبط الاجتماعي والعمليات النفسية التي تشتمل عليها وتساعد على التأثر بها لاتختلف عن تلك التي تدخل في عمليتي الادراك والتعلم . وبعد اختراع الطباعة ووسائل الاعلام التي تصل الى جميع الجماهير اصبحت الدعاية ممكنة على اوسع نطاق .

١) مفهوم الدعاية :

الدعاية لغة من الفعل (دعا) والمعاينه الاستغاثة والانتحال والمناداة وقد اشتقت من لفظة لاتينية الاصل **(Propagafe)** وهي تعني مزاولة البستاني لغرس الاغصان الطرية للشجرة كي تنتج نباتات جديدة تأخذ حياتها المستقلة .

هناك تعريفات عدة للدعاية منها نشر معلومات وحقائق قد تكون صادقة وقد تكون غير صادقة لخلق انواع من التفكير والنشاط مرغوب فيه . او هي « نشر معلومات بين الناس الهدف منها التأثير في الرأي العام وفق اتجاه معين دون الكشف عنه » وكذلك تعرف على انها « الجهد المدروس من قبل افراد جماعات يشمل التعبير من آراء او افعال وبشكل مقصود للتأثير على آراء او افعال جماعات اخرى وفق غايات محددة مسبقاً .

ويعترف والتر وليبمان **(W. Lippmann)** الدعاية بأنها (محاولة التأثير في نفوس الجماهير والتحكم في سلوكهم لاغراض تعد غير علمية او ذات قيمة مشكوك فيها في مجتمع ما وفي زمان معين) .

ويقول (دوب) انها تعني محاولة السيطرة على اراء جماعة معينة واتجاهاتها والسيطرة على سلوك واعمال تلك الجماعة وتوجيهها بشكل منتظم وذلك لاجل الايعاز

ولابد ان نميز بين الدعاية وبين صور اخرى من الاعلام كنشر المعلومات والتعليم والتسلية . فالناشر او الصحفي يجمع وينشر الاخبار وهدفه الاول هو اعلام الناس واحاطتهم بالحقائق لابقصد تحويل الناس الى نظرية خاصة . والنشر والاعلان صوراً من الدعاية . ولقد تطور فن الاعلان فبعد ان كان هدفه الاعلام او الانباء انتقل الى مرحلة اكثر تأثيراً اذ يحاول ان يجذب اكثر مما يقنع . يوحي اكثر مما يقدم من تفسير ... وهكذا يصبح بالامكان عن طريق الدعاية تبديل

افكار الفرد او الايحاء اليه بأفكار وآراء جديدة بحيث يعدها آراءه وافكاره .. فالدعاية قد تكون لخدمة فرد او جماعة بينما التعليم يكون لخدمة الفرد والجماعة . وعملية الدعاية قد تكون مؤقته بينما التعليم يهدف الى تكوين الشخصية المتكاملة يعد التعليم بحد ذاته مصدراً واقياً ضد الدعاية.

اهداف الدعاية :

١) للدعاية اهداف قصيرة المدى توجه عادة الى مجتمع كبير ومتنوع وعلى اساس الاهتمامات والرغبات الحالية . ومثل ذلك دعاية اصحاب الاعلانات ومجموعات المصالح حيث ان الهدف ليس التأثير العميق على الفرد بقدر كسب دعمه لمسألة ما وكلما كانت الاهداف قصيرة كلما سهلت اساليب الدعاية .

٢) واهداف بعيدة المدى تحاول التأثير على الاتجاهات الاساسية وعلى الآراء الحالية للجمهور وهي عادة صعبة التحقيق . فقد يتدخل المستعمر مثلاً في وضع المناهج الدراسية في المدارس ووضع موضوعات تحقق اهدافه او تمهد لتحقيق اهداف مرسومة كما يفعل الصهاينة في مدارس المناطق المحتلة .

قوانين الدعاية :

استخلصت بعض القوانين للدعاية وهي بمثابة قواعد عملية دون ان تتسم مع ذلك بطابع الضرورة ومن هذه القوانين :

١) **التبسيط :**
تسعى الدعاية ان تتسم دائماً بالبساطة سواء ظهرت في صورة او برنامج او كلمة . وتشتمل عادة على عدد معين من القضايا في عبارات مختصرة واضحة وفي صورة توكيدية .

٢) **المبالغة :**
ان يكون التعبير مفهوماً عند اكبر عدد ممكن من الناس على ان تتجنب التفصيلات والدقائق وأن تقدم القضية كلها في البداية وبأكثر الوسائل جلباً للانتشار وأن تكون في صورة مؤكدة .

التكرار :

التكرار هو القاعدة الاساسية لكسب الرأي العام . ولكن التكرار الساذج قد يؤدي الى الملل . لذلك ينبغي ان يقتصر التكرار على عدد من الافكار القليلة الواضحة مع تغير الصورة دون ان يتغير صميم الافكار التي يريد الداعية نشرها وان تقدم هذه الافكار في سياقات مختلفة .

ولكي تنجح الدعاية لابد ان تتفق مع حاجات نفسية عند الجمهور وان ، يعاد تقديمها في الاوقات والظروف المناسبة وفي اشكال مختلفة و بطرق اصيلة مبتكرة .

الاجماع والعدوى :

قد يكون للجماعة ضغط وتأثير على رأي الفرد . فقد بينت دراسات الرأي العام ان الفرد كثيراً مايدلي برأيين مختلفين عن الموضوع الواحد وذلك لانه يدلي بأحدهما بأعتباره عضواً في جماعة والاخر بأعتباره عضواً في جماعة اخرى ومهمة الدعاية تعزيز هذا الاجماع بل وخلقه اذا لم يتوفر .

انواع الدعاية :

والدعاية في ذاتها انواع منها :

١ ـ الدعاية البيضاء .
٢ ـ الدعاية السوداء .
٣ ـ الدعاية المضادة .

فالدعاية البيضاء : هي الدعاية المكشوفة وهي عبارة عن النشاط العلني من اجل هدف معين . كما يكون ذلك في الصحف والاذاعة ووسائل الاتصال بالجماهير .

والدعاية السوداء : ويكون هذا النوع خافياً لاغراض وتقوم على رفع الشعارات البراقة والكلمات الرنانة وتستعمل المترادفات السلبية بدلاً من تسمية الاشياء . ويعمد الداعية الى تغيير الارقام والحقائق وتذكر الحقائق التي تخدم غرضه دون ذكر الحقائق الاخرى ويعمد كذلك الى التكرار حتى يؤمن الناس بالفكرة حتى وان كانت كذباً .

الدعاية المضادة : وتقوم على اساس كشف اخطاء الدعاية الخاطئة وتمييزها ومهاجمتها بطريقة مباشرة وتعمل على تجنب وقوع الافراد تحت تأثيرها ومن اساليبها دراسة الدعاية وتحليلها والقيام بالدعاية المضادة .

اما اساليب الدعاية :

فتخضع الى القوانين العامة التي تحكم عملية الادراك والدافعية Motivation والمعرفة Cognition . فلكي تكون الدعاية ناجحة ينبغي ان تعتمد على الاساليب الاتية :

١ ـ اسلوب التكرار :

وهو من اهم اساليب الدعاية والاعلان كذلك . ومن اجل هذا لاتكتفي سلعة من السلع في الاعلان عن نفسها بمرة واحدة في الصحف او الاذاعة او التلفزيون ولكنها تأخذ في تكرار الاعلان عن نفسها بكل الوسائل المتقدمة حتى تطمئن الى ان هذا الاعلان قد استقر في اذهان الناس بصورة عميقة وطويلة الامد .

٢ ـ اثارة القلق :

حيث يمكن تخفيف القدرة الانتقادية للجمهور عن طريق اساليب تؤدي الى اثارة القلق والخوف . كما هو الحال في الاعلانات الصحية التي تجعل الناس قلقين على صحتهم .

اسلوب النكتة :

للنكتة تأثير كبير على الرأي العام وخاصة الشعوب التي تميل بطبيعتها الى ذلك . وقد يحدث احياناً ان يكون لبعض النكات تأثيراً في الرأي العام اكبر واعمق من تأثير وسائل الاعلان .

٤ ـ اسلوب الكذب :

وللدعاية في الواقع اساليب غير مشروعة منها اسلوب التحريف والتزييف واسلوب الحذف او البتر واسلوب الكذب والاختلاق .

٥ ـ جذب الانتباه :

تعتمد فعاليتها على طبيعة الوسائل المستخدمة وعلى ميل الجمهور . وقد وجد ان التأكيد على الاتجاهات السلبية كما هي في حالة الدعاية المضادة غالباً ماتكون ناجحة في جذب الانتباه والدعم

وهناك اساليب كثيرة وفي كل يوم يخترع جديد من الطرق والاساليب .
وكذلك يمكن تمييز نوعين من الدعاية ، دعاية فردية ودعاية جماعية . فمن وسائل الدعاية الفردية :

١ ـ المحادثات العادية .
٢ ـ توزيع الجرائد .
٣ ـ طرق الابواب والتحدث مع الاسر .

اما اساليب الدعاية الجماعية :

١ ـ الكلمة المطبوعة مثل الكتب والنشرات والمنشورات والصحف .
٢ ـ الكلمة المنطوقة مثل الخطب .
جـ ـ الصور كالصور الفوتوغرافية والرسوم الكاريكاتيرية .
د ـ المشاهد ومن امثلتها الاستعراض والسينما والمسرح .

سايكولوجية الدعاية :

ان الشائعات السلبية تنتشر عادة في البيئات الاجتماعية التي تمتاز بالغموض والشك والتردد والتفكك الاجتماعي لذا فأن الدعاية التي تعمل على اشباع حاجات الناس النفسية والمادية تكون اكثر قبولاً وانتشاراً . ومن الحاجات النفسية الشائعة احترام الذات وتأكيد الذات والانتماء الاجتماعي والحاجة الى التقدير الاجتماعي ومن مباديء الدعاية الناجحة تكرار سماع الدعاية من مصادر مختلفة وبصورة مختلفة وتناول الموضوع من مختلف الجوانب . فالاساليب المستخدمة يجب ان تتنوع فتشمل ندوات ونشرات وافلام بمختلف الوسائل السمعية والبصرية التي تؤثر على حواس الانسان .

ومن اهم مشكلات الدعاية هي مشكلة المعارضة ، فعند تقبل الاغلبية لفكرة الدعاية الجيدة فأن المعارضة تصبح ممثلة بأقلية صغيرة . فأنه امر تلقائي ان الاغلبية تميل الى ادانة الاقلية وكذلك يمكن استمالة الاقلية بوسائل من قبل الاقناع واشراك بعض افرادها من المشروعات الجديدة مثلاً . (٥ ـ ص ٧٦) .

تأثير الدعاية في سلوك الفرد والجماعة :

للدعاية تأثير في سلوك الفرد والجماعة وذلك لمحاولتها تغيير آراء اي فرد واي جماعة واتجاهاتهم ولكي تحقق الدعاية هذه الاهداف فعليها ان تعتمد على المصدر والجذب وقوة الشخص ومستواه التعليمي والخبرة العامة او الخاصة والجنس والموضوعية . وعوامل الجذب تشمل مألوفية المصدر والمصدر قد يكون فرداً يتحدث او يكتب او صحيفة او محطة تلفزيونية او راديو او سينما .

وهناك عوامل عديدة تجعل الافراد يستجيبون للمصدر دون الاخر ومنها ادراكهم لخصائص الاتجاه الذي يراد التأكيد عليه وطبيعته وكذلك طبيعة الافراد انفسهم فمثلاً ان الطريقة المستخدمة للاقناع في الاعلانات تتضمن عرض الانتاج بأسم شخص ذي شهرة . وهذا يستند على افتراض ان مصدر الاتصال له دور كبير في تغيير الاتجاهات .

كما اوجدت الدراسات ان التلفزيون من افضل وسائل الدعاية التي تشد الفرد لها لانه مصدر يتسم بالجاذبية وعند التكرار سيستقبلها وتدخل في طور التذكر وسينقلها الى حيز التطبيق الفعلي .

اشار كلابر **(Klapper)** الى ان التأثيرات المباشرة التي يمكن احداثها من قبل وسائل الاتصال بالافراد هي :

١ ـ خلق الاراء .
٢ ـ تعزيز الآراء .
٣ ـ احداث تغيرات طفيفة .
٤ ـ احداث العكس .
٥ ـ لاتأثير .

وتشير الابحاث كذلك الى حدوث تغير بسيط في الاتجاهات اكثر من احتمال حدوث التحول في الرأي . ويرجع السبب في ان وسائل الاتصال تعمل أداة للتدعيم اكثر منها أداة للتغيير الى الطريقة التي يتم بمقتضاها تحقيق وسائل الاعلام للتأثير .

ان تأثير وسائل الدعاية تتجاوز تدعيم الاتجاهات السابقة او تعديلها تعديلاً طفيفاً الى احداث تغيرات اساسية في اتجاهات الفرد السابقة . فعندما يواجه الفرد

ضغوطاً متعارضة سواء أكان ذلك في مجال حاجاته الشخصية ام بتأثير الاخرين او عندما يكون في وضع نفسي يهيئه للتغير فأنه يعمل طواعية على اعداد نفسه لتقبل ماتنقله وسائل الدعاية . وقد يحصل التغيير الكبير في اتجاهاته عندما تضعف الرابطة بينه وبين الجماعة التي ينتمي اليها .

وتهتم وسائل الدعاية في تكوين اتجاهات عن موضوعات جديدة ليست لديهم فكرة سابقة عنها . حيث انه في حالة انعدام الارتباط بين الفكرة التي تعرضها الوسيلة والاتجاهات الموجودة لدى الفرد مثلاً فان ذلك يمكنه من قبول الفكرة . لان معوقات التحول الوسيطية ليس لها وجود اصلاً .

كيف تتعرف على الدعاية :

تشير كثير من المقترحات الى اهمية المصدر والدافع وطبيعة المحتوى والطرق المستخدمة والآثار الاجتماعية . ولقد تضمنت معظم التحليلات للدعاية وصفها بأنها خطرة حيث كان الهدف منها حماية النفس ضد الدعاية السيئة ونجد فعلاً انه من المستحيل ان نضع خطاً فاصلاً بين الدعاية الجيدة والدعاية غير الجيدة لان هذا يتضمن حكماً ذاتياً من جانب الشخص الذي يقوم بهذا التمييز وتعد الدعاية جهداً مبذولاً يؤثر في اتجاهات الناس النفسية بحيث تسير في الاتجاه الذي يرغب فيه الداعية . ويمكن تمييز الدعاية بتحليل محتواها . ويمكن القول انه كلما خاطبت الرسالة الانفعالات لا العقل وراقت لها كلما ازداد احتمال كونها دعاية لاسيما اذا كانت الانفعال نحو وجهة خاصة ويختار من يقوم بالدعاية عادة كلمات تترك اثراً انفعالياً مرغوب فيه .

ومن اهم انواع الدعاية واوسعها انتشاراً هي الدعاية غير المباشرة او الدعاية المقنعة حيث يختفي الهدف الرئيسي ولا يظهر الا بعد مرور فترة زمنية . ولا يمكن ان تؤدي الدعاية مهمتها على اتم وجه ما لم تتهيأ الظروف الملائمة لها . كما يجب ان يتوفر عامل الرضا لدى الجماهير اي قبولهم لهذه الدعاية او تلك .

حماية انفسنا من الدعاية :

اظهرت بعض الدراسات ان مقاومة الدعاية لايمكن تحقيقه بالتدريب فلقد وجد (أوزيورن) بعد ان اجرى تجربة على عينة من تلاميذ المدرسة الثانوية في السابعة عشرة من اعمارهم . ان عمليات التدريب على تحليل الدعاية ليس لها اثر او

اثرها قليل في مقاومة الدعاية وعدم التأثر بها . واكتشف ان هناك معامل ارتباط منخفض بين الذكاء او المعلومات وبين القدرة على مقاومة الدعاية . وبينما يسلم (كرش وكرتشفيلد) بأن معرفة اساليب القائمين بالدعاية لها قيمة محدودة الا ان الوقاية من الدعاية تلقى صعاباً عظيمة . اذن ماهي العوامل التي تجعل الدعاية فعالة . يحتمل ان يكون الخطأ الاساسي في معظم دراسات الدعاية هو فصلها وبترها من سياقها الاجتماعي . اي التحدث في مقالة او فلم الذي يحتوي على الدعاية له صفات معينة تنبع من ذاته ومنفصلة عن الاشخاص القائمين بالدعاية والمواقف الاجتماعية المتصلة بها .

من مقتضيات الدعاية الناجحة ما يأتي :

١ ـ ان تدرك الاقتراحات التي يقوم بها القائم بالدعاية بأعتبارها مرضية ومشبعة لحاجات ورغبات اساسية او مخففة للاحباطات والوان القلق الكامنة في نفوس الافراد .

٢ ـ الدعاية الفعالة تتفق مع القيم والاتجاهات والاراء الموجودة .

٣ ـ تكون الدعاية بسيطة ومفهومة ومباشرة بحيث تقنع دون ان تثير مناقشة وجدلاً ونقداً والدعاية التي تخاطب الانفعال والعاطفة اقوى وابعد تأثيراً من تلك التي تخاطب العقل . واذا اشرف على الدعاية او قام بها وعرضها عرضاً جذاباً شخص له شهرة وسمعة طيبة . فانها تزداد قيمة وتبعد اثراً . وانجح دعاية هي التي لاتبدو على انها دعاية مطلقاً . ولكن تبدو على انها حقائق واخبار للاعلام والتسلية .

مفهوم الاعلام :

هو تزويد الناس بالاخبار الصحيحة والمعلومات السليمة والحقائق الثابتة التي تساعدهم على تكوين رأي صائب في واقعة من الوقائع او مشكلة من المشكلات بحيث يعبر هذا الرأي تعبيراً موضوعياً عن عقلية الجماهير واتجاهاتهم وميولهم بوسائل الاعلام المختلفة كالصحافة والاذاعة والسينما والمحاضرات والندوات والمعارض والحفلات وغيرها .

وللاعلام طرفان . المرسل والمستقبل فالمرسل عادة هو الشخص او المجلة او الصحيفة او محطة التلفزيون او الاذاعة التي توصل الحقائق والمعلومات للمستقبل الذي هو الانسان او الجماعة او الجماهير .

هناك تعريفات متعددة للاعلام تكاد ان تتفق جميعاً على تحقيق الهدف الاساسي للاعلام وان اختلفت في صياغاتها ومن هذه التعاريف ما يأتي : ـ

١ ـ يرى بعضهم ان الاعلام هو تزويد الناس بالاخبار الصحيحة والمعلومات السليمة والحقائق الثابتة التي تساعدهم على تكوين رأي صائب في واقعة من الوقائع او مشكلة من المشكلات بحيث يعبر هذا الرأي تعبيراً موضوعياً عن عقلية الجماهير واتجاهاتهم وميولهم .

٢ ـ يرى « اوتوجروت » ان الاعلام هو التعبير الموضوعي لعقلية الجماهير ولروحها وميولها واتجاهاتها في الوقت نفسه .

٣ ـ كما يعرف الدكتور حامد زهران الاعلام بأنه عملية نشر معلومات صحيحة ، وحقائق واضحة ، واخبار صادقة ، وموضوعات دقيقة ، ووقائع محددة وافكار منطقية وآراء ناجحة وتقديمها للجماهير مع ذكر مصادرها خدمة للصالح العام .

٤ ـ ويعرف بعضهم الاعلام بأنه اعداد وسائل واقعية موحدة لتصل الى اعداد كبيرة من الناس يختلفون فيما بينهم من النواحي الاقتصادية والثقافية والسياسية وينتشرون في مناطق متفرقة .

معنى هذا ان الاعلام هو تزويد الجماهير بأكبر قدر ممكن من المعلومات الصحيحة او الحقائق الواضحة التي يمكن التثبت من صحتها او دقتها بالنسبة للمصدر الذي تنبع منه او تنسب اليه . فالاعلام هو نشر الاخبار والمعلومات والآراء على الجماهير ، وهو بذلك اداة او وسيلة لتحقيق اهداف العلاقات العامة . ومن الخطأ القول بأن الاعلام هو العلاقات العامة لان لا يعدو ان يكون اداة من ادواتها ، ولا يشغل الاعلام الجانب الاكبر من نشاط العلاقات العامة كما فطن اولئك الذين يسرفون في اصدار النشرات والكتب والمجلات والافلام وغيرها من وسائل الاعلام . حيث ان عمليات العلاقات العامة تتصل بتحديد الاهداف واجراء البحوث ، ودراسة الرأي العام وتخطيط البرامج على اسس واقعية علمية ، واخيراً يأتي الاعلام المدروس على الاسس السابقة .

وينبغي ان نفرق بين التعليم والاعلام من حيث ان الاول يعني بتوصيل الحقائق الثابتة والمهارات والخبرات المختلفة . اما الاعلام فيقوم على توصيل المعلومات الجديدة والاحداث الجارية التي تتبلور بعد ولكن ليست في صيغة قواعد ثابتة او نظريات كما هو الحال في التعليم . كما ان الاعلام يتعارض احياناً عن ابراز العيوب وذلك بعكس التربية فانها تشترط عرض جميع جوانب الموضوع . وكثيراً ما يشار الى

الاعلام باعتباره اجراءاً تربوياً ولكنه في الواقع يخدم فكرة او قضية بمناقشة مزايا هذه الفكرة والقضية دون التعرض التفصيلي للعيوب لان الاعلام يناصر الحق من وجهة نظر الجهة التي تستخدمه ، بينما التربية تسعى الى ابراز الحق وتقييمه .

اهمية الاعلام في المجتمع الحديث :

(أ) ان المدنية المتغيرة والتقدم العلمي والتنكولوجي السريع في المجتمع الحديث يبرز اهمية اعلام وضرورة احاطة افراد المجتمع علماً بما يجرى فيه من احداث وتطورات .

(ب) ومع ازدياد الجماهير اصبح من غير الميسور الاتصال المباشر بمصادر المعلومات والاخبار والحقائق ومن ثم اصبح لا بد لوسائل الاعلام ان تقوم بدورها وواجبها .

(ج) كذلك فان زيادة المعلومات ومصادرها وتعقد الحياة بكافة جوانبها وعدم توافر الوقت الكافي للاطلاع والاحاطة بالمعلومات في المجتمع الحديث جعل مهمة فهم المشكلات ومعرفة الحقائق والاخبار والمعلومات امراً صعباً وعسيراً . ومن هنا تتعاظم اهمية الاعلام الذي يساعد في التغلب على هذه الصعاب ويساعد الافراد على فهم الامور ومعرفة البيئة المحيطة بهم والتجارب معهم .

(د) ان الفرد العادي في المجتمع الحديث لايمكن ان يحاط علماً بالنظريات الحديثة والاكتشافات العلمية والتقدم التكنولوجي من المصادر الاصلية . لذلك فان الاعلام يقوم بهذه المهمة باسلوب مفهوم وبالفاظ عادية غير فنية وبعيد عن المصطلحات العلمية المعقدة مع الاحتفاظ بالمعاني الاصلية .

(هـ) للاعلام دور كبير في عملية التنشئة الاجتماعية (Socialization) والنمو الاجتماعي للفرد بصفة عامة . وتهتم وسائل الاعلام في الوحدة الثقافية والاجتماعية وايضاً في عملية النقل الثقافي بين الاجيال .

(و) وفي خضم الحياة الحديثة قد نجد بعض بواقي التفكير الخرافي والانماط والنماذج والتعميمات الجامدة لا بد ان يتصدى لها الاعلام الحديث ويحاربها ويزود الناس بالمعلومات الامنية الصادقة . (٢٨ ـ ص ٢٩٧ ـ ٢٩٨)

الاعلامي هو الذي يقوم بوظيفة التبسيط والشرح والعرض والتقديم بشرط ان يكون ذلك كله في اسلوب سهل واضح ، وكما ازداد المجتمع تعقيداً بفضل التقدم العلمي ، اصبح الاعلام اكثر اهمية واشد ضرورة .

الفلسفات التي بني عليها الاعلام :

ان السبب الرئيسي في اختلاف الاعلام من مكان لآخر هو اختلاف النظم الاجتماعية واختلاف الثقافات والمشاعر وذلك بأن الاعلام لا بد له ان يعكس جميع هذه الجوانب الثقافية والاجتماعية والسياسية ولذلك اتفق العلماء على ان الفلسفات التي نجم عنها الاختلاف في نظريات الاعلام توشك ان تنحصر بما يأتي :

١ ـ الفلسفة الخاصة بطبيعة الانسان اي انه ميال الى الاتصال في غيره .
٢ ـ الفلسفة الخاصة بطبيعة المجتمع وطبيعة الدولة التي تهيمن على المجتمع .
٣ ـ الفلسفة الخاصة بعلاقة الانسان بالمجتمع الذي يعيش فيه .
٤ ـ الفلسفة الخاصة بطبيعة المعرفة في ذاتها .

ومن هنا فان وسائل الاعلام في الوقت الحاضر مطالبة بأن تساهم في تحقيق : ـ
١ ـ الوعي القائم على الاشباع العلمي النابع من الفكر المستنير والناتج من المناقشة الحرة .
٢ ـ الحركة السريعة الطليقة التي تستجيب للظروف المتغيرة التي يجابهها النضال العربي ضد مخططات الامبريالية والصهيونية .
٣ ـ الوضوح في رؤية الاهداف ومتابعتها بأستمرار وتجنب الانسياق الانفعالي .

الاعلام واثره في سلوك الفرد والجماعة : ـ

تكمن وظيفة الاعلام الرئيسة في احاطة الافراد والجماعات علماً بالاخبار الصحيحة الدقيقة والمعلومات الصادقة الواضحة والحقائق الثابتة الموضوعية التي تساعد على تكوين رأي عام صائب في واقعة او حادثة او مشكلة او موضوع هام وهكذا يؤثر الاعلان تأثيراً واضحاً في سلوك الفرد والجماعة . ومن ثم يجب على الاعلامي توخي الصدق والامانة والصراحة الموضوعية والبعد عن الذاتية تماماً في تقديم الاخبار والمعلومات او الحقائق التي يزود بها الناس . ولا بد من ذكر مصادرها كوكالات الانباء والمتحدثين الرسميين والباحثين ... الخ .

ويهم الاعلام بمجال الصحة النفسية للفرد والجماعة . ولقد اكد هذا المؤتمر العربي الاول للصحة النفسية الذي عقد في القاهرة عام ١٩٧٠ واوصى بأشتراك رجال الاعلام ومختلف وسائله في كل مايتعلق في الصحة النفسية .

هذا ويشق الاعلام طريقه الى المحافظة والتغيير ، فالاعلام ووسائله واجهزته تعمل في اطار بين المحافظة على التراث الثقافي القائم في المجتمع وتعمل على تطويرها وتغيير بعض شوائبه .

لقد اجريت بحوث عديدة حول مضمون الرسالة الاعلامية ومحتوى الاتصال ويمكن تلخيص نتائج هذه البحوث بما يأتي : -

١ ـ في حالة عرض قضية على جمهور مثقف ثقافة عالية ، يجب تقديم وجهتي النظر المختلفتين . اما في حالة الجمهور الامي اي قليل الثقافة والذي يميل الى القضية اصلاً فيكفي عرض وجهة النظر المستهدفة فقط .

٢ ـ يجب ان يلتزم الاعلامي بالموضوعية وان يبتعد عن الحياد الظاهري والانحياز المستمر لوجهة نظر واحدة لانهما يؤديان الى خداع الجمهور وانصرافه عن الرسالة الاعلامية وشكه في مضمونها .

٣ ـ يعد عرض وجهتي النظر معاً (اي وجهة النظر المؤدية والمعارضة) بمثابة تحصين للجمهور ضد التحول الى وجهة النظر حين تعرض عليه .

٤ ـ تزداد قوة تأثير المضمون الاعلامي في تحول الرأي عند الشرح والتصريح بالاستنتاجات اكثر منها عند العرض والتلميح فقط .

٥ ـ وكلما كان طريق تحقيق الاهداف واضحاً محدداً امام الجمهور كان تحول الرأي الى سلوك اسهل وايسر .

٦ ـ وكلما ازداد استخدام التهديد والتخويف كاداة للتأثير في الرأي وتحويله يحدث اثراً قليلاً . وكلما قل استخدامه فان ذلك يحدث تأثره كبيراً لذلك وجد ان التهديد يعوق عملية التعلم ويقلل التأثير بالمعلومات نظراً للاستغراق في عناصر التهديد الشديد .

٧ ـ يؤثر التكرار تأثيراً قوياً في اقناع الجمهور بالرسالة الاعلامية بشرط ان يكون متغيراً متنوعاً والا يصل الى حد الالحاح والمضايقة حتى لا يحدث اثراً عكسياً .

٨ ـ يؤدي الاعلام عن الاستجابات الناجحة للرسالة الاعلامية الى مزيد من الاستجابات الناجحة الجديدة .

٩ ـ الاستناد الى الحاجات النفسية واشباعها والدوافع النفسية للسلوك البشري ومقابلتها يسهل العملية الاعلامية . اما خلق حاجات نفسية جديدة والحث على اكتسابها وتعلمها فانه يكون اصعب بكثير .

١٠ ـ استغلال الاتجاهات النفسية السائدة وانماط السلوك الحالية يساعد في التحول الى اهداف جديدة .

والاعلام لكي ينجح والرسالة الاعلامية التي تحظى بالتقبل والاهتمام لا بد وان تهدف الى اشباع الحاجات النفسية للجماهير وتلبية رغباتهم وتحقيق فائدة ملموسة لديهم في حياتهم اليومية . ومن اهم حاجات الجماهير التي يشبعها الاعلام مايأتي : ـ

١ ـ الحاجة الى المعلومات والتسلية والترفيه .
٢ ـ الحاجة الى الاخبار حول مشكلات الساعة .
٣ ـ الحاجة الى رفع مستوى المعارف والثقافة العامة .
٤ ـ الحاجة الى دعم الاتجاهات النفسية وتعزيز المعايير والقيم والمعتقدات او تعديلها والتوافق مع المواقف الجديدة .

الفرق بين الدعاية والاعلام :

يخلط البعض بين الدعاية والاعلام . ويرجع هذا الخلط الى اتحاد هدفهما وهو الاتصال بالرأي العام ومحاولة بلورته وتعديله والتأثير فيه .

لكن بينما تعمل الدعاية على تكوين الاخبار واخفاء مصادرها وعدم ذكر اصحاب المصلحة فيها وهي تسعى للتهويل والمبالغة وتحريف الحقائق نجد ان الاعلام يقوم على الوضوح والصراحة ودقة الاخبار مع ذكر مصادرها فهو يقوم على الصدق والامانة وخدمة الصالح العام .

ويقول (والترليميان) ان الدعاية هي محاولة التأثير في نفوس الجماهير والتحكم في سلوكها لاغراض مشكوك فيها وذلك بالنسبة لجمهور معين في زمن معين .

فالدعاية نوع من الاستهواء وليست نوعاً من الاقناع ، لذلك نجد ان الاعلام يقدم عادة معلومات او مواد معينة يمكن ان تقدم للناس فالاعلام يدور حول موضوعات او وقائع ، اما الدعاية فليست في حاجة الى ذلك لانها تهتم بخلق جو من الاغراء والاستهواء بصرف النظر عن المضمون الذي تقدمه للجمهور .

فالداعية لا يرمي الى الاقناع بقدر مايرمي الى الاستحواذ على النفس والسيطرة على السلوك والظفر بتأييد الجماهير بأي ثمن واي وسيلة .

والدعاية لها اهداف محددة تحاول بكافة الوسائل ان تثير ميول الجماهير وعواطفهم بدلاً من ايقاظ تفكيرهم وانتباههم وليس معنى ذلك ان كل دعاية تحمل

في طياتها معاني الغش والخداع والكذب . فاذا كانت كذلك فلا ينجم عنها على المدى الطويل الا التدهور والانحلال .

ويمكننا الان ان نقول ان الاعلام هو نشر البيانات والمعلومات من السلع والخدمات في وسائل النشر المختلفة بقصد تنوير الرأي العام وتبصيره بمجريات الامور حتى يمكن للجمهور تكوين رأيه على اساس من الواقع والحقائق ، كما يتسم النشاط الاعلامي بالبعد عن التزويق والتملق .

وعلى ذلك يمكن ان نحدد هذه التفرقة بين الدعاية والاعلام في نقاط محددة هي :

١ ـ الهدف او الغاية :

يهدف الاعلام الى تنوير الجماهير وتبصيرها بمجريات الامور حتى يمكن ان يكون رأيه على اساس من الواقع والحقائق لذلك فانه يخاطب العواطف والعواطف السامية وعرض وجهات النظر المختلفة حتى يتحقق بذلك التفاهم والاقتناع بين المؤسسة وجماهيرها المختلفة . لذلك فان الاعلام يرمي الى تحقيق مصلحة مزدوجة في ان واحد هما مصلحة المؤسسة ومصلحة الجماهير التي تتصل وتتعامل معها . لانه يدرك ان مصلحة المؤسسة او الهيئة والجماهير في الحقيقة وعلى المدى الطويل لاتتعارض مطلقاً مع بعضها البعض .

اما الدعاية فانها ترمي الى تحقيق هدف محدود يخدم مصلحة المرسل وليس المستقبل . ولذلك فانها تستخدم الاساليب لتثير ميول الجماهير وعواطفهم بغرض تحقيق هذا الهدف .

٢ ـ فلسفة الاعلام والدعاية :

تقوم فلسفة الاعلام والدعاية على الصدق والامانة ومراعاة الاخلاقيات في نشر الحقائق والافكار والآراء حتى يمكن بذلك من تحقيق الاهداف التي يرمي اليها . بينما تقوم فلسفة الدعاية على ان الغاية تبرر الوسيلة حيث ان الدعاية تضع امامها هدفاً معيناً ثم تسلك اي السبل للتحقيق سواءاً كانت هذه الوسائل او السبل متفقة مع الاخلاقيات ام لاتتفق معها . لذلك نجدها في بعض الاحيان تستخدم الاكاذيب والغش وجميعها لايتفق مع النواحي الاخلاقية بغرض تحقيق اهدافها التي ترمي اليها .

٣ ـ اسلوب الاعلام والدعاية :

حتى يتمكن القائم بالاعلام من الوصول الى عقول الجماهير فانه يهتم لجمع الحقائق وتحليلها سواء تلك التي سيعمل على نقلها الى الجماهير او عن الجماهير نفسها التي ستنقل اليها هذه الحقائق حتى تصبح الرسالة الاعلامية ذات اثر فعال ، لذلك فانه يقدم هذه الحقائق الى الجماهير بصورة واضحة ومحددة .

اما القائم بالدعاية فانه يختلف في اسلوبه الذي يستعمله عند اتصاله بالجماهير حيث انه يعتمد على الاثارة ويغلف الحقائق او قد يخفي جزءاً من الحقائق عن الموضوع الذي يريد نقله الى الجماهير . وقد يستخدم الخداع والتضليل ويقدم الوعود البراقة ولا يلتزم بوعوده بعد تحقيق اهدافه . كما ان الدعاية قد تعتمد على الايحاء والاستهواء كما تعتمد على المحاكاة والتقليد واستغلال المواقف التي يشترك في الشعور فيها اكبر عدد من الناس وحتى تتمكن من تضييق منطقة التردد في الافراد والجماعات كانها تعتمد على الكلمات المألوفة والصيغ المحفوظة والمعلومات الشائعة بين الجمهور .

٤ ـ موقف الاعلام والدعاية من الرأي العام :

ان كلا من الاعلام والدعاية يعملان على تكوين الاتجاهات والرأي العام وكل منهما مفهوماً اهدافه واسلوبه الخاص غير ان الرأي العام الذي يتكون نتيجة للاعلام يكون اكثر ثباتاً واشد استقراراً من ذلك الذي يقوم على الدعاية نظراً لان الاول يعتمد على الحقائق ومخاطبة عقول الجماهير وعواطفهم السامية على حين ان الثانية تعتمد على مخاطبة الغرائز واتباع اسلوب ينطوي على الخداع والتضليل فان تكشفت الحقيقة زال هذا الرأي تاركاً وراءه اثراً سيئاً .

الدعاية والاشاعة

الاشاعة في اللغة مصدر للفعل اشاع اي اذاع ونشر وقولهم هذا خبر شائع وقد شاع في الناس معناه قد اتصل بكل واحد في مستوى علم الناس ولم يكن علمه عند بعضهم . فالأشاعة هي الاخبار المنتشرة وهنالك عدة تعاريف للاشاعة من بينها هذه التعريفات :

فيعرف « جمال السيد » الاشاعة بأنها « كل خبر يحتمل الصدق مجهول المصدر يتحرك بالكلمة المنطوقة بين الافراد ولا يحمل معه دليلاً على صحته ويفتقر الى المسؤولية وتتغير بعض تفاصيله من شخص الى آخر » .

وعرفها « البورت » بأنها « استطلاع على رأي موضوعي معين مطروح كي يؤمن به من يسمعه وهي تنتقل عادة من شخص الى آخر عن طريق الكلمة الشفهية دون ان يتطلب ذلك مستوى من البرهان او الدليل » .

كما عرفت بأنها « عامل من عوامل الضغوط الاجتماعية التي تؤثر على اتجاه الرأي العام » . وتعرف ايضاً انها « قصة او خبر تتداوله الالسن دون ان يعرف مصدره او هي نشر الاخبار والقصص غير المؤكدة التي تتناقلها الالسن بطريقة فطرية » .

وقد عرفت ايضاً بأنها « ترويج لا اساس له من الواقع والتعمد في المبالغة والتشويه وهذا الخبر فيه جانب ضئيل من الحقيقة ثم اضافة معلومات كاذبة او مشوهة بهدف التأثير النفسي في الرأي العام تحقيقاً لاهداف سياسية واقتصادية او عسكرية على نطاق دولة واحدة او عدة دول » ومن الخصائص الاساسية للاشاعة يجب ان تكون مشحونة بشحنة انفعالية وجدانية قوية . فأما ان تكون ذات طابع تشاؤمي او تفاؤلي والاول ينتشر بسرعة تفوق سرعة الثاني . وقد تكون اشاعات فردية او جماعية او على صعيد المجتمع او محلية او قومية وعالمية وتنتشر بصورة اوسع اذا كانت تدور حول موضوع هام . وتنتشر كذلك في مواقف الاضطراب والفوضى .

تصنيف الاشاعات

لقد قامت عدة محاولات من الباحثين لتصنيف الاشاعات واختلفوا حول الاساس الذي يبنى عليه التقسيم وذلك لان المجتمعات مختلفة من حيث علاقاتها ودوافعها الذاتية . لذلك فمن الصعب الاعتماد على تصنيف عام يطبق على جميع المجتمعات . يمكن تصنيف الاشاعات وفقاً لما يأتي : -

١ - المعيار الزمني : لقد حاول العالم الروسي بيساو **(Bysow)** ان يصنف الاشاعة على اساس الزمن وكالآتي : -

أ ـ الاشاعات الزاحفة ، وهي التي تروج ببطء ويتسع انتشارها في جو من السرية الى ان يعرفها الجميع .

ب ـ الاشاعات الاندفاعية ، وهي تنتشر بسرعة كبيرة اي تجتاح المجتمع في وقت قصير كالاشاعات التي تنتشر في زمن الكوارث والانتصارات والهزائم في زمن الحرب .

جـ ـ الاشاعات الغاطسة ، وهي تنتشر لفترة ثم تغطس ثم تعود فتظهر في وقت لاحق عندما تتهيأ لها الظروف ويكثر هذا النوع في القصص المماثلة التي تعاود الظهور في كل ظرف مناسب .

٥ ـ المعيار المكاني ، وتصنف الاشاعات ايضاً من حيث اطارها المكاني وكالآتي : ـ

أ ـ الاشاعات المحلية ، وهي التي تنتشر وتختفي في حدود الاطار المحلي الذي ظهرت فيه . وقد يكون هذا راجعاً الى طبيعة الاشاعة او توقفها لوعي الجمهور ، او بسبب اكتشاف جوانبها المضللة بفضل الاعلام السريع .

ب ـ الاشاعات القومية ، وهي التي تنتشر في جميع ارجاء الوطن لانها تخص المجتمع في اطاره القومي فتتهيأ له من اسباب الانتشار مايدفع بها خارج الحدود المحلية .

جـ ـ الاشاعات العالمية ، ان توسع الاطار المكاني يرجع الى تناقلها عن طريق وكالات الانباء العالمية اما عمداً او لوقوعها تحت تأثير التضليل فتتناقلها عدد من الدول فتصبح اشاعات عالمية .

٦ ـ المعيار النفسي ، وتصنف الى :

أ ـ اشاعات الخوف ، وهي التي تحمل الخطر وتخلق بانتشارها حالة من الذعر والشكوك وهذا ممالة اثر على المعنويات . وقد استخدمت النازية هذا النوع فكانت تنشر الاشاعات عن طريق المذياع وتوجهها الى المواطنين المدنيين والعسكريين مستهدفة اثارة مواقف الخوف والقلق عندهم .

ب ـ الاشاعات الوردية ، وهي الاشاعات التي تسود بين الناس في فترة مايصور لهم تفاؤلاً ساذجاً وامالاً خادعة .*

---

* مختار التهامي . الرأي العام والحرب النفسية . ط ١ . القاهرة . دار المعارف بمصر ١٩٦٧ ص ـ ٢٠ .

قوانين الاشاعات :

هناك ثلاثة قوانين تتحكم في انتشار الاشاعة وهي :-

أولاً ـ قانون التغيير والتشويه :

ويقصد بذلك ان الاشاعة في اولى مراحل انتقالها تفقد جزء من مضمونها اثناء انتقالها . ولقد اثبتت الدراسات ان الاشاعة كلما زاد ترددها قل عدد الكلمات المستعملة فيها وقلت تفاصيلها بحيث يبلغ الباقي من روايتها الاصلية زهاء ٧٠ ٪ من الرواية الثالثة ثم يهبط الى ٣٠ ٪ من الرواية الخامسة ولكنها تبقى محتفظة بجوهرها .. وبمعنى آخر ان الاشاعة لاتعدو ان تكون رواية عن واقعة ومن ثم فهذه الواقعة تحتل مركز الثقل في الاشاعة حيث تصبح الخصائص الاصلية المعبرة عن حالة الكبت المحور الذي تدور حوله جميع العناصر الفرعية الاخرى .

ثانيا ا : قانون التنسيق :

الاشاعة تتضمن جانباً من الحقيقة وجانباً من الكذب . فأذا كانت الحقيقة ليست بحاجة الى اضافات او الى منطق خاص لان منطقها الذاتي يعلن عن وجودها . فأن الكذب يحتاج الى منطق يؤكد ... فكل ذلك يحتاج الى التناسق بين الحقيقة والكذب وهو امر ضروري لانه يتجه الى خلق نوع معين من التناسق بين مختلف عناصر الاشاعة .

ثالثا ـ قانون التضخيم :

من خلال انتشار الاشاعة تفقد جزءا من مضمونها الفرعي فتكتسب عناصر جديدة مختلفة وكاذبة تتضمن تضخيماً او مبالغة لتلك الواقعة . في الوقت ذاته سيكتب جوهر الاشاعة عناصر جديدة مايزيد من تأكيد ذلك الجوهر الذي يسعى اليه . وبعبارة اخرى تصبح العملية هي التعبير عن حالة الكبت النفسية للمستقبل والمرسل في آن واحد .

وسائل نشر الاشاعة :

ان الحياة الجديدة وما فيها من وسائل تقنية مكثفة ساعد على تسرب معلومات قد تكون فيها جانب من الكذب . وقد كشفت الدراسات خلال السنوات الاخيرة عما يمكن تسميته بالحاجة الى الاتصال . ولم يعد هناك فرد او مجتمع يستطيع العيش في عزلة لان كمية المعلومات المطلوبة تزداد يوماً بعد آخر مما يفرض عمليات اتصال واسعة ومكثفة . والاتصال هو العملية التي يتفاعل بها المرسلون والمستقبلون في سياقات اجتماعية معينة سواء كان الاتصال شخصياً ام جماهيريا . علما ان ذلك الاحتمال يمكن ان يكون اداة لاشاعة المخاوف ونشر الاكاذيب والقلق النفسي . وهناك اسلوبين يمكن من خلالهما نشر الاشاعات وهما ا :ـ

١ ـ الاتصال الشخصي

ان العلاقات الشخصية والاتصالات المباشرة وكثافة التجمع في مدى تقبل الاشخاص للاشاعة ويساعد على سرعة انتشارها . فقد تتكون الاشاعة من خبر او رواية تسمع من احد الاشخاص حول موضوع له اهمية في حياتنا اليومية ومن الممكن حدوثه ـ ولكنه غير صحيح ـ وقد تسمع في اي مكان او مجال من مجالات المجتمع كالبيت او الدائرة او المدرسة او المقهى او الجامعة . وللعلاقات الاجتماعية دور كبير في نقل الاشاعة وبسرعة كبيرة . ان الاشخاص الذين يتداولون الاشاعة يكونون على انواع مختلفة منهم اصحاب المصلحة في نقل الاشاعة لتحقيق اغراضهم التي تؤدي الى خلق اضطرابات في المجتمع وهؤلاء هم الاعداء والحاقدون ومنهم المواطن البسيط فينقلها عن حسن نية . ومنهم المواطن الثرثار . وهكذا نجد ان انتشار الاشاعة يبدأ من الجانب الشخصي ثم تتلقاها الاوساط الجماهيرية وتنقلها الى الرأي العام .

٢ ـ الاتصال الجماهيري

ان وسائل الاتصال لها القدرة على توجيه انظار الجمهور الى ماتنشره من معلومات . فالجمهور عادة ينظر الى هذه المعلومات على انها مهمة ومن ثم تؤثر على قناعته وتعمل وسائل الاعلام على خلق الاجواء المناسبة لولادة الاشاعات باستغلال عواطف الانسان الكامنة وانفعالاتها على نطاق واسع . واذا كان الجمهور غير قادر على نقد مضمونها فأن هذه المعلومات ستصبح جزءاً من تصوره وقناعته . لذا فأن

وسائل الاعلام قد تسهم في نشر الاشاعات وتحريف الاخبار وترديدها بصورة بعيدة عن حقيقتها الاصلية .

فالخبر الصحفي قد يتعرض للتحريف عند نقله من وكالات الانباء ومعالجته في شتى الصحف ومحطات الاذاعة وخاصة اذا كان الخبر من النوع العالمي الذي يهتم به مواطنو اكثر من بلد واحد . وتكمن اهمية استخدام الاخبار في الحرب النفسية في عملية انتقاء الاخبار واسلوب كتابتها وطريقة عرضها واظهار بعض جوانبها واغفال البعض الآخر حتى يصعب التمييز بين العناصر الاساسية للخبر .
ولكي تقاوم الاشاعات من خلال وسائل الاتصال ينبغي تحديد نوع الاشاعة وتحليلها . وهل ان الموضوع الذي تدور حوله الاشاعة له وجود فعلي ام حدث مختلق وعن قصد . وهل ان الموضوع موجه الى جمهور عام ام خاص .

ان الاشاعة سلاح خطير تستغله اجهزة اعلام الاعداء لتحقيق اغراضهم وهي اثارة الفتن او نشر الرعب او اضعاف المواقف الوطنية وكذلك بهدف ايقاف او تشويه نضال الجماهير وتمزيق الوحدة الوطنية . وتكون هذه الاشاعات سياسية او اقتصادية ، او اجتماعية . فمتى كان الايمان والثقة بالبلاغات الرسمية سيسيطر على الاشاعات واذا كان العكس فستأخذ الشائعات في الانتشار .

وكذلك ولغرض السيطرة على الاشاعات ينبغي ان تستغل الصحافة والاذاعة والتلفزيون تقديم اكثر مايمكن من الانباء مع حذف التفاصيل التي قد ينتفع منها العدو .

وهناك امر هام للسيطرة على الاشاعات وهو الثقة في القادة والزعماء فأذا تحققت الثقة فسيكون لدى الاشخاص الوعي والادراك لما يتلقونه من معلومات عدائية ويحسون ان مايسمعونه ليس الا اكاذيب .

مواجهة الاشاعات :

ان مواجهة الاشاعات فن يرتكز على اصول وقواعد المنهج العلمي الاجتماعي يرتبط بالتوقيت الزمني من جهة وبالتراث الثقافي والعقائدي للجماهير من جهة اخرى وبشخصية رجل الاعلام من جهة ثانية . فالاشاعة هي عمل محكم التخطيط وبعيدة الاهداف . فلكي نواجهها ونقاومها يجب توعية الجماهير باهداف الاشاعات عن طريق الندوات والاحاديث واعداد برامج خاصة اذاعية وتلفزيونية واذا انتشرت

الاشاعات التي تثير الرعب والخوف فيجب الا تعرض الافلام التي يغلب عليها طابع الجريمة وانما تقدم برامج ترفيهيه . والاستعانة بالقادة واعلام البلد للتحدث الى الجماهير حول موضوع الاشاعة .

(٣) ان الملل والخمول ميدان خصب لخلق الاشاعة وترويجها . ولذا فأن العمل والانتاج بما يعود على الناس بالنفع يساعد على الحد من انتشار الاشاعات .

(٤) ومن الوسائل الاخرى حسن اختيار الباحثين والمحللين للاشاعات اي المعرفة بكل مايحيطها وتبيان الحقائق بأساليب مطمئنة وكسب ثقتهم عن طريق وسائل الاعلام وخنق الاشاعات الكاذبة بواسطة الحقائق فأن ذلك سيقضي كلياً على مجال انتشار الاشاعة .

(٥) كما ان ادخال دراسة الاشاعة ضمن برامج الدراسات الاجتماعية في المدارس والجامعات له دور كبير في تحصين النفس ومقاومة الاشاعات .

(٦) واحياناً اخرى يكون تجاوز الاشاعة افضل من التأكيد عليها وذلك في حالة كون تلك الاشاعة يعطيها قيمة اكثر مما تستحقه . اذ ذاك يكون عامل الوقت وسرعة جريان الاحداث يفرض تجاوزها .

والآن وبعد ان كونت هذه المعلومات عن الدعاية والاشاعة اصبح بأمكانك استنتاج العلاقة بينهما .

الرأي العام :

ليس للرأي العام تعريف واحد يتفق عليه الباحثون والدارسون . وذلك ان الرأي العام ليس اسماً لشيء واحد بل هو تصنيف لعدد من الاتجاهات . وعلى الرغم من اختلاف هذه التعاريف فأن الدارسين لظاهرة الرأي العام يتفقون على الاقل على الامور الاتية :

ان الرأي العام يشتمل على آراء جمع كبير من الافراد . وان هذه الآراء تتصل بالمسائل المختلف عليها وذات الصالح العام . وان هذه الآراء يمكن ان تمارس تأثيراً على سلوك الافراد والجماعات .

يشير (البورت) بأن الرأي العام هو تعبير صدر عن مجموعة كبيرة من الناس عما يرونه في مسألة من المسائل او مقترح من المقترحات الواسعة النطاق بحيث يمكن استدعائهم لهذا التعبير . سواء أكانوا مؤيدين للفكرة ام معارضين لها وبحيث تكون نسبتهم العددية كافية لاحداث تأثير ما بطريق مباشر او غير مباشر .

ويرى (دوب) بأن الرأي العام هو اتجاه مجموعة من الناس نحو مشكلة معينة او حادث معين عندما يكون هؤلاء الناس من مجموعة اجتماعية واحدة وان الرأي العام هو ليس مجموع الآراء الفردية ولكن كنتيجة للنقاش بين الافراد حيث تسود آراء منذ البداية حول موضوع معين ثم تصل الجماعة الى رأي اخير تستقر عليه في حين كان هذا الرأي في اول الامر رأياً فردياً . وبموجب هذا التعريف فأن الرأي العام هو حاصل ضرب الآراء الفردية في بعضها وليس حاصل جمعها .

١٠ـ اهداف الرأي العام

من اهم الاهداف :

١ ـ تحديد او تجديد او تبديد المعايير الاجتماعية . فهو يضع القوانين ويلغيها وهو يعبر عن رغبات الجمهور . والرأي العام قوة كبيرة تصدر حكمها في الحال على السلوك الذي ينتهك حرمة المعايير الاجتماعية والاخلاقية او التقاليد .

٢ ـ رعاية المثل الاجتماعية ودعم الخلفية الخلقية . ويشاركه في هذا الصدد القوة التي تضع الحق وتحقه والعادات والتقاليد التي سار عليها الشعب على مر العصور والاجيال والعقل الذي يحكمه الشعب في فضائل السلوك ونقائصه .

٣ ـ اذكاء الروح المعنوية ورفعها نحو القضايا الهامة وهو ينشط اهتمام الافراد ويجعل منهم قوة متحمسة مجتمعة وراء القضايا العامة في وسط آمن اقتصادياً وصحياً ونفسيا . وان انقسام الرأي العام والصراع الطبقي من اكبر عوامل الضعف للروح المعنوية .

٤ ـ مساندة ، الهيئات ، الحكومية ، والمؤسسات ، الاجتماعية ، والجمعيات ، الخيرية والتشكيلات السياسية فكل هذه الجهات تعمل لكسب الرأي العام .

انواع الرأي العام

١ ـ الرأي العام الكامن : هو الذي لا يظهر بصراحة ووضوح

٢ ـ الرأي العام الفعلي او الواقعي : وهو الذي يتحول الى سلوك فعلي عند الحاجة

٣ ـ الرأي العام المستتر (الباطن) : وهو الذي لا يعبر عنه نتيجة خوف الجماعة من عواقب التعبير عنه بسبب تعارضه مع القوانين او الاعراف السائدة .

٤ ـ الرأي العام الصريح (الظاهر) : وهو الذي يعبر بصراحه عن آراء الناس واتجاهاتهم جهراً ودون خوف .

٥ ـ الرأي العام الثابت (نسبيا) : وهو الذي ينبع من العادات والتقاليد وهو الذي لا يسهل تغييره .

٦ ـ الرأي العام المتغير (المؤقت) : وهو الذي ينبع من التأثر بالاعلام والدعاية ويسهل تغييره

٧ ـ الرأي العام الكلي (الشامل) : وهو الرأي الجامع التقليدي المستمر المستقر المتوازن الناشيء من العوامل الحضارية والثقافية للمجتمع ومن اهمها نظام التنشئة الاجتماعية .

٨ ـ الرأي العام الموقفي : وهو الذي يظهر حيال مشكلة وقتية في موقف معين وهو غير ثابت ويتأثر بوسائل الاعلام والدعاية والشائعات ازاء موضوع محدد وهو يزول بزوال المؤثر .

٩ ـ الرأي العام اليومي : ويتأثر بالاحداث اليومية وتؤثر فيه وسائل الاعلام والمصالح المباشرة للفرد والجماعة .

١٠ ـ الرأي العام الرائد : ويؤثر في وسائل الاعلام ولا يتأثر بها وله دور في تغيير اراء الاخرين واتجاهاتهم .

١١ ـ الرأي العام القائد : وهو رأي القائد والصفوة والمفكرين والاعلام الذي يستخدم للتأثير في الجماعة لتحقيق الاهداف .

١٢ ـ الرأي العام المثقف : رأي جماعة المثقفين ويؤثر كثيراً فيمن هم اقل ثقافة .

١٣ ـ الرأي العام المنقاد : رأى السواد الاعظم من الناس وتؤثر فيه وسائل الاعلام بشكل هائل .

١٤ ـ الرأي العام الديمقراطي : يقوم في اطار ديمقراطي من الحرية والمناقشة

١٥ ـ الرأي العام التسلطي : يقوم في اطار استبدادي يخدم الجماعة المتسلطة .

١٦ ـ الرأي العام المضلل : يقوم في اطار الدعاية والشائعات لمعلومات غير صحيحة

١٧ ـ كما ان هناك تقسيماً على اساس جغرافي وهو :

الرأي العام المحلي . القومي . العالمي : ويكون التعبير عن ذلك بطريق الصحف والاذاعات ووسائل الاعلام الاخرى . هذا فيما يتعلق بالمحلي والقومي . اما العالمي فيكون التعبير عنه بوسائل الاعلام ايضاً ولكن بلغات متعددة وموجهة الى العديد من الشعوب ويكون الرأي العام في القضايا العالمية .

الرأي العام والاتجاهات

ان الرأي العام ليس مرادفاً تماماً للاتجاه . فالرأي العام يرتبط بعناصر الخلاف او الاخذ والعطاء حول الموضوع او المشكلة .

ويرى (دوب) ان لامجال للتحدث عن الرأي الا اذا كانت هناك مشكلة قائمة تتطلب حلا .

ويلاحظ ان الاتجاه يميل الى الثبات النسبي والاستمرار . بينما الرأي العام متغير نسبياً .

أما قياس الاتجاهات فيختلف عن قياس الرأي العام . في ان الاول يتم عن طريق اختبارات نفسية بينما الثاني يتم عن طريق بناء استفتاء يتوصل من خلال فقراته الى الرأي العام حول مشكلة قائمة .

ونجد هناك فرقاً بين مايعبر عنه الافراد عن آرائهم عن طريق الكلام وبين الرأي الحقيقي الذي يصدر عنه السلوك . وهذا التعبير عن الرأي سواء عن طريق الكلام او عن طريق السلوك يكون في بعض الاحيان غير صادق ولا يعد مؤشراً للاتجاه او الرأي .

وبذلك لا يمكن التوصل الى الحقائق الا عن طريق اتباع طرق البحث العلمي في قياس كل من الاتجاه والرأي .

من ذلك نستطيع التوصل الى ان الاتجاهات اكثر عمومية من الآراء التي هي وسيلة التعبير اللفظي او السلوكي عن الاتجاهات .

خصائص الرأي العام

ان اهم خصائص الرأي العام هي : =

١ ـ يعتمد على المعرفة والمعلومات والمفاهيم والخبرات ولا يشكل نمطاً من المعرفة

٢ ـ يتحكم فيه العقل والعواطف معاً .

٣ ـ يمكن دراسته وقياسه من خلال الاعلام والمناقشات والمحاضرات التي يشترك فيها الجمهور .

٤ ـ يكون على عدة مستويات محلي وقومي وعالمي .
٥ ـ يتأثر بالكوارث والصعوبات التي تواجه الشعب .
٦ ـ لا يفرض او يلقن .
٧ ـ يتأصل الرأي العام في البيئة الاجتماعية والثقافية للمجتمع .
٨ ـ الرأي العام قد يكون ظاهراً او غير ظاهراً ، ففي الحالة الاولى تشترك اجهزة الاعلام المختلفة والمنظمات الاجتماعية والثقافية في التعبير عنه . وفي الحالة الثانية يكون الرأي العام كامناً ينمو بين صفوف الشعب ولا يلبث ان ينفجر ويتحول الى ثورة عارمة كما حدث في جميع الثورات التحررية في العالم .

قوانين الرأي العام

يحدد (كانتريل **Cantril**) عدة قوانين للرأي العام اهمها الآتي : ـ
١ ـ يتقرر الرأي العام بالاحداث اكثر من الاقوال الا اذا فسرت الاحداث على انها اقوال .
٢ ـ يتقرر الرأي العام على اساس المصالح الذاتية ومن الصعب تغييره . ولا يبقى لمدة طويلة الا اذا شعر الناس ان مصالحهم الذاتية مهددة بالخطر .
٣ ـ وعندما تتأثر المصالح الذاتية يحتمل ان يسبق الرأي العام السياسة الرسمية .
٤ ـ الرأي العام حساس جدا بالنسبة للاحداث
٥ ـ الرأي العام كالرأي الفردي مبنياً على الرغبة ، وعندما يكون الرأي العام مبنيا على الرغبة اكثر من بنائه على المعلومات ، فأنه يحتمل ان يتغير تغيراً شديداً مع الحوادث .
٦ ـ عندما يكون الرأي مؤيداً بأقلية ضئيلة او غير متبلور بصورة كاملة . فأن حقيقة الواقع تميل الى ان تجذب الرأي في صفها .
٧ ـ قد يتغير الرأي العام بصورة مؤقتة نتيجة للاحداث الاستثنائية الكبيرة ولا يستقر الا بعد ان تتضح الامور .

يعد الرأي العام قوة تنبه المجتمع الى الاخطار التي ستواجهه مما يؤدي الى توحيد الجماعة نحو هدف عام .

وللرأي العام ايضاً دور هام في تكوين الخبرات الفردية والجماعية واثرائها وتكييفها مع ظرف المجتمع وعناصر ثقافته .

كما ويدعم الرأي العام السلوك السوي ويقاوم السلوك الشاذ . ويحافظ الرأي العام على الروح المعنوية للجماعة .

وتستطيع المدرسة مع الاتحادات الطلابية والمؤسسات الاجتماعية الاخرى في وضع البرامج المختلفة للانشطة المتعددة لتحقيق الاهداف الموحدة والتي يتداولون فيها الاراء بهدف الاسهام في تنظيم المجتمع المدرسي والمشاركة في تدعيم الخدمات لارساء قواعد الآراء الاشتراكية السليمة في نفوس الطلبة . وكذلك تداول الآراء في كل مامن شأنه تدعيم النواحي التربوية والثقافية والاجتماعية بما يتمشى مع فلسفة الدولة .

اثر الرأي العام في سلوك الفرد والجماعة

يعد الرأي العام جوهر الجماعة الاجتماعية وهو جوهر حي ويعد من الروابط المهمة للتركيب الاجتماعي مثل الدين او القومية او المهنة ... الخ ونرى ان بعض الافراد لديهم اراء تخالف رأي الجماعة التي ينتمون اليها وانتماء الفرد لجماعات متعددة كالعائلة والاصدقاء في العمل يؤدي الى تأثره يرى كل فئة من هذه الفئات ولذلك هناك دراسات توضح الرأي العام وردود فعل الفرد الذي يختلف فيها من فئة الى اخرى اذا كانت اراوءه تعبر عن شخصية او انها مجرد آراء الفئة التي ينتمي اليها . وحيث تمتاز الآراء الشخصية المتكونة نتيجة الدراسة والتمحيص وبالثبات وسرعة اتخاذ القرارات على عكس الآراء الشخصيية المنبعثة عند آراء الجماعة الا ان تعلق الافراد بالقيم الاخلاقية وتأثرهم بما يدفعهم الى اخفاء بعض المزايا الخاصة والتظاهر بخصائص اخرى ولكي يمكن التوصل الى معرفة رأي الشخص عن طريق اتجاهه وشخصيته دون تحريف وذلك عن طريق كسب ثقته واطمئنانه بأن تؤخذ آراءه بعين الاعتبار وهي مهمة بالنسبة للدراسة والبحث .

والرأي العام يؤثر في كافة المجالات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ويساعد في عملية التخطيط الاجتماعي والاقتصادي والتربوي اضافة الى حل المشكلات في هذه المجالات .

تكوين الرأي العام

لا يوجد اتفاق عام حول العملية التي يتشكل فيها الرأي العام . فيصبح من المعقول الافتراض بأن الرأي العام هو التعبير المباشر عن القيم والاتجاهات

الاجتماعية المتواجدة ، ولكن ليست هذه هي الحالة دائماً ، ففي حين ان التوجهات القيمية الاساسية تبقى ثابتة نسبياً خلال الحياة فأن الرأي العام يمكن ان ينقلب بشكل كبير وسريع . وقد ظهر من الدراسات الاجتماعية بأن تكوين الرأي العام متأثراً الى درجة كبيرة بالخلفية الاجتماعية وعضوية الجماعة حيث اشارت هذه الدراسات الى مفهوم المجموعات المصدرية (Referenc -Group) اي تلك المجموعات المؤثرة في تشكيل معتقدات الشخص ، واتجاهاته وقيمه وهذه المجموعات هي الاساس والاصناف التي ينتمي اليها الشخص .. واظهرت هذه الدراسات ايضاً بأن الاداة الرئيسية الاخرى في تشكيل الرأي العام هو الفرد ذو القدرة على التأثير حيث ان كل جماعة لها قادة رأي وهؤلاء الاشخاص يمارسون تأثيراً قوياً على تشكيل الرأي العام .

ومعنى ذلك ان هناك اموراً كثيرة تدخل في تكوين الرأي العام ، ولا سبيل الى حصرها ولكننا نستطيع ان نضع ايدينا على بعض هذه الامور او على اهمها ومنها مايلي : ـ

اولا ـ الاعلام والدعاية :

المقصود بالاعلام عبارة عن تزويد الجماهير بالمعلومات الدقيقة ، والاخبار الصحيحة والحقائق الواضحة ، والنتائج المبنية على الارقام والاحصاءات ... ولا يكون الاعلام صحيحاً في الغالب مالم يكن مبنياً على هذه الاسس .

اما الدعاية فأنها محاولة التأثير في الجماهير عن طريق عواطفهم ومشاعرهم وفي سبيل هذه الغاية يتقاضى الداعية عن بعض الحقائق الهامة والاسس التي تحدثنا ، او يحدث فيها تحويراً يظهر بهذه الاسس بشكل آخر .

ومن هنا كان لابد للاعلام بصوره المختلفة والدعاية باشكالها المختلفة ان تؤثر تأثيراً بعيد المدى في تكوين الرأي العام .

ثانيا ـ الهمس والشائعات

وهاتان الوسيلتان خطيرتان حيث تعملان على بلبلة الافكار والتأثير في الخاصة والعامة من الناس وبعض الناس يميل الى تصديق الشائعات دون محاولة منهم للوقوف على الحقيقة ، وقد لا يكتفي احدهم بتصديق الشائعات حتى يضيف اليها

من عنده ، ويأتي بعده من يضيف اليها شيئاً آخر وهكذا . وهنا يكمن الخطر من الشائعة مهما كانت بسيطة في اول امرها وهناك دوافع اخرى كثيرة تحمل الناس على ترويج الشائعات ومنها : دافع حب الظهور ودافع التسلط ومنها الرغبة في التأييد العاطفي للمذعور من الناس بقصد ان يشاركه الناس فيما يشعر به من قلق او خوف او كراهية ونحو ذلك .

وسنتكلم عن الاشاعة بالتفصيل لاحقاً .

ثالثا ـ الزعماء السياسيون والمصلحون الاجتماعيون ومن اليهم :

ان كل من هذين النوعين من القادة يؤثر في الرأي العام تأثيراً لاسبيل الى انكاره وان كان النوع الاول من القادة وهو النوع المساير لاتجاهات الامه اسرع نجاحاً واقوى تأثيراً من النوع الثاني . ذلك ان قوة الفرد دائماً تأتي من قوة الجماعة ، وارادة الفرد انما تقوى بأرادة الجماعة . وهذا هو السبب الذي من اجله ينجح الزعماء السياسيون بأسرع مما ينجح المصلحون الاجتماعيون او قادة الفكر غير السياسي . وفرق آخر بين القيادة السياسية والاجتماعية ، هو ان القيادة السياسية ظاهرة جماعية وليست فردية .

رابعاً ـ المشكلات اليومية (سياسية ام اقتصادية ام اجتماعية) :

مما لاشك فيه ان الحوادث والمشكلات تهز المجتمعات هز عنيفاً وتترك فيه آثار قوية ولكنها مع ذلك آثار تتعرض للزوال بزوال المشكلات . فاضراب العمال في الدول الرأسمالية مثلا في مصنع من المصانع احتجاجاً على قلة الاجور ينتج عنه رأي مؤقت سرعان مايزول بزوال هذا الاضراب . غير ان هناك من الحوادث مايؤثر في الرأي العام تأثيرا طويل الاجل رهيب النتائج .

خامساً ـ التراث الحضاري

المقصود بالتراث كل مايحيط الامة من تجارب سابقة وخبرات قديمة وتاريخ سياسي وثقافي واجتماعي وفني . والمعتقدات الدينية تشكل جانباً من هذا التراث .

ان التراث الحضاري اذن هو كل موروث من علم وادب وفن ودين وعرف وتقاليد وحضارة مادية ومعنوية . وبسبب هذا التراث الحضاري للامة يكون استمساكها برأي من الآراء او فكرة ونحو ذلك .

سادسا ـ التربية والتعليم :

مما لاشك فيه ان للمدرسة والجامعة اكبر الاثر في تكوين المواطن الصالح ، فعمل المدرسة هو نقل التراث الثقافي للامة من جيل الى آخر . اما عمل الجامعة فهو تكوين الطالب من الناحية الفعلية البحتة من ذلك نستنتج ان للتربية والتعليم دور كبير في تكوين العقول وتوجيه الرأي العام ، فالعناية بالتربية والتعليم امر لازم لايجاد الوحدة الفكرية بين ابناء الامة الواحدة وكذلك ربط التعليم بالمجتمع والتعاون معه .

سابعاً ـ الاوضاع القائمة للدولة :

ان هذه الاوضاع على اختلافها تترك اثارها في تكوين الرأي العام سواء كانت هذه الاوضاع سياسية ام اقتصادية ام اجتماعية ونحو ذلك . فالفرق كبير بين النظام الدكتاتوري والديمقراطي والاشتراكي . ففي الحالة الاولى يميل الحاكم الى التعسف وعدم السماح للمحكومين بابداء رأيهم في المشكلات العامة . وفي الحالة الثانية يوجب الحاكم على نفسه ان يشرك معه المواطنين في كل المشكلات القائمة ويجيز لهم ابداء الرأي .

اما من حيث الوضع الاقتصادي ، فالشعب الجائع لايمكنه ابداً ان يستخدم العقل وان يقنع بالمنطق ، ويكون لقمة سائغة لمن يتلاعب في مثله الاخلاقية ومبادئه الانسانية .

قياس الرأي العام :

لقياس الرأي العام طرق كثيرة عند علماء الاجتماع ينتفعون بها كثيراً في دراساتهم الخاصة بالمجتمع . ومنها طريقة الاستفتاء (Questionaire) وهي عبارة عن مجموعة من الاسئلة مرتبة بطريقة معينة حول مسألة معينة يراد معرفة اتجاه الرأي العام فيها معرفة دقيقة بقدر المستطاع .

ومنها طريقة المسح (Survey Method) وتقوم على تجميع منظم لاكبر قدر ممكن من المعلومات لمعرفة الرأي العام للمجتمع في مشكلة ما . سواء اكان هذا الرأي ظاهر او في حالة كمون او اخفاء . ويلجأ صاحب هذه الطريقة في جمع المعلومات بالاضافة الى المقابلات الشخصية الى الوسائل الاعلامية المعروفة كالصحف والاذاعة . ويأخذون من هذه الوسائل الاعلامية المختلفة اكبر قدر ممكن من المواد التي تعبر عن الاتجاهات السائدة في المجتمع .

والفرق بين الاستفتاء والمسح هو ان الاستفتاء يكون حول موضوع واحد بالذات اما المسح فيتسع لموضوعات عديدة في وقت لاحق . ولذلك تتعدد وسائل المسح وتتنوع ، فيكون منها المقابلات الشخصية والمحادثات والصحف والاذاعة وكذلك ملاحظة سلوك اللناس في اجابتهم عن سؤال بعينه .

وهناك طريقة اخرى مهمة وهي طريقة (تحليل المضمون) وترجع اهمية هذه الطريقة في نظر رجل الاعلام الى انها تساعده دائماً على معرفة اتجاهات الراي العام العالمي بالذات وبمقدار علمها بهذا الرأي العالمي يكون نجاحها دائماً في رسم سياستها الخارجية ويعتمد رجل الاعلام للوقوف على هذا الرأي العالمي على الصحف والمجلات والكتب والنشرات . وبرامج الاذاعة والتلفزيون وغيرها من الوسائل . ثم يقوم رجل الاعلام بتفريغ جميع المعلومات وذلك في جداول يبين فيها الآراء المؤيدة والمعارضة . ثم ينظم جدولاً اخر يبين فيه النسب المئوية للتكرارات المؤيدة والمعارضة ... وبهذه الطريقة يستطيع رجل الاعلام ان يكون لنفسه صورة دقيقة عن الرأي العام العالمي .

الفصل الثامن

القيادة

مفهوم القيادة
الفرق بين القيادة والرئاسة
كيفية اختيار القادة
السلوك القيادي
النظريات التي تفسر القيادة
اشكال القيادة
انواع القيادة والمناخ الاجتماعي
المعلم قائد
التدريب على القيادة
الاسلوب الناجح للقيادة

(القيادة)

مفهومها

يعيش الانسان حياته في جماعة يؤثر فيها ويتأثر بها . فهو يولد في جماعة صغيرة هي أسرته ثم يتدرج في حياته الجماعية بتطور نموه فتتسع دائرة الجماعة من الاسرة الى الحي الذي يسكنه الى المدرسة الى المدينة الى الوطن الاكبر الذي يعيش فيه . وكما يتولى الاب قيادة الاسرة ويسعى دائماً لاسعادها وتحقيق اهداف افرادها بما لايتعارض مع الهدف العام للأسرة . فكذلك لكل جماعة قائد يرعى شؤونها ويوجهها لتحقيق اهدافها بما لايتعارض مع الصالح العام والأهداف العامة للوطن . ومن هنا نستطيع ان نقرر ان اساس القيادة هو العمل مع الجماعة ولصالحها . ومن ثم يكون تعريف القيادة بأنها سلوك الفرد حين يوجه نشاط جماعة ويساعدها لتحقيق هدف معين . فالقائد مهمته مساعدة الجماعة على التعاون فيما بينها لتحقيق الهدف المشترك الذي يحدده فعندها سيتفاعل الاعضاء بطريقة تضمن تماسك الجماعة . فالقيادة تنبع من الجماعة ويشعر الاعضاء بالحاجة اليها وتؤمن بأهداف الجماعة وتشعر بمشاعرها وتستمد منها سلطانها . وتخلص من هذا الى ان العناصر الأساسية اللازمة لقيام قيادة هي :

١ ـ جماعة من الناس .

٢ ـ لها هدف مشترك تسعى لتحقيقه .

٣ ـ شخص يوجه هذه الجماعة ويتعاون معها لتحقيق هذا الهدف .

فالقيادة ظاهرة اجتماعية شأنها شأن غيرها من ظواهر المجتمع المختلفة تنشأ تلقائياً عن طبيعة حب الأجتماع . وبذلك تؤدي وظائف اجتماعية ضرورية . وهي لاتقتصر على تناول الميدان السياسي اذ انها تتناول جميع ميادين النشاط الاجتماعي والاقتصادي والديني والاخلاقي .

ويعرف بعضهم القيادة بأنها فن معاملة الطبيعة البشرية او فن التأثير في السلوك البشري لتوجيه جماعة من الناس نحو هدف معين بطريقة تضمن طاعتهم وثقتهم واحترامهم وتعاونهم .

وقد عرف "Tead" القيادة بأنها « القدرة على التأثير في جماعة كي تتعاون لتحقيق هدف تشعر بحيوته » .

ويعرفها آخرون من الناحية النفسية بأنها فن تعديل السلوك ليسير في الاتجاه المرغوب . وهي فن وعلم . فهي تحتاج الى دراسة خاصة وبحث عميق في نواحي العلوم الانسانية كعلم دراسة الانسان وعلم النفس والاجتماع . وفن التأثير في السلوك البشري يعد جوهر القيادة . ويقول (W. Pigors) « بأن القيادة عملية تأثير متبادل يؤدي عن طريق تظافر الافراد على الرغم من الفروق بينهم الى توجيه النشاط الانساني سعياً وراء مسألة مشتركة . »

وقد يلتبس الامر على بعضهم فلا يستطيعون التفرقة بين القيادة والادارة .. فالادارة عملية توجيه ومراقبة او اشراف وتنسيق وانعكاس في المنظمة تقوم لتحقيق غرض بنجاح واقتصاد في الوسائل المستخدمة . سواء أكان ذلك في الادوات ام الاشخاص . مع مراعاة طلبات الأفراد . وهي تحديد وتوضيح وظيفة المؤسسة . ووضع سياستها العامة . وتوزيع السلطة على القائمين بالعمل . واختيار الموظفين وتدريبهم والأشراف عليهم . وحشد الموارد الموجودة وتنظيمها والتي يمكن الحصول عليها لتحقيق اغراض المؤسسة .

القيادة والرئاسة :

هناك فروق بين القيادة والرئاسة . فالقيادة تنبع من داخل الجماعة وتظهر تلقائياً غالباً . وتكون مسبوقة بعملية تنافس عليها من قبل عدد من اعضاء الجماعة . والجماعة هي التي تحدد هدفها وليس القائد . والتفاعل الدينامي بين الأفراد شرط اساسي لظهور القيادة .

اما الرئاسة فتكون نتيجة لنظام وليس نتيجة لاعتراف تلقائي من جانب الافراد بمساهمة الشخص في تحقيق اهداف الجماعة . ويختار الرئيس الهدف ولا تحدده الجماعة نفسها . وتتميز الجماعة بمشاعر مشتركة قليلة او عمل مشترك ضئيل وهي تسعى لتحقيق هدف الجماعة ويوجد تباعد اجتماعي اكبر بين الرئيس واعضاء الجماعة . وتستند الرئاسة الى السلطة والسيطرة .

والرئيس الناجح هو الذي يقرب في سلوكه مع الجماعة من القائد اي ان يجمع بين صفات الرئيس وصفات القائد . (٢٨ ـ ص ٢٦٩ ـ ٢٧٠) .

كيفية اختيار القادة :

لما كانت القيادات لا يمكن التعرف عليها الا في الموقف الاجتماعي فان البحوث تشير الى ان اكتشاف القادة لا يمكن ان يتم الا عن طريق ملاحظة أداء القائد في الجماعة التي تكون فيها القيادة . والملاحظة قد تكون عن طريق خبراء خارجيين مدربين على الملاحظة او عن طريق تقويم اعضاء الجماعة لبعضهم البعض او بالطريقتين معاً يضاف الى ذلك القدرة على انجاز عمليات معينة . وهذا يعني انه من الممكن اكتشاف القادة من مداخل عديدة . منها المدخل السوسيولوجي الذي يؤكد على ان القيادة ظاهرة اجتماعية . والمدخل السيكولوجي الذي يؤكد على اهم السمات النفسية . والمدخل النفسي الاجتماعي الذي يؤكد على التفاعل الاجتماعي بين القائد وجماعته .

ومن اهم مناهج البحث في دراسة ظاهرة القيادة مايأتي :

المنهج الاول : يسعى الى التوصل الى تحليل السمات النفسية والاجتماعية للافراد .

المنهج الثاني : ويطلب فيه من افراد جماعة ما ان يختاروا من بينهم قادة . ثم يتم استخدام المنهج الاول وتطبيقه عليهم بتحليل سماتهم لمعرفة اهم مايتميزون به من سمات تميزهم عن غيرهم وهم غير القادة .

أما الأدوات المستخدمة فلا تختلف كثيراً عن الادوات التي يستخدمها علماء النفس واهمها الملاحظة العلمية المنظمة والمقابلة ومقاييس الشخصية بانواعها وطريقة القياس الاجتماعي (السوسيومتري) . وتستخدم ايضا وثائق تاريخ الحياة الشخصية .

وقد ركز بعض الباحثين جهودهم في دراسة **السلوك القيادي** منهم « همفيل » الذي رأى ان هناك تسعة ابعاد رئيسية لهذا السلوك هي :

١ ـ المبادأة : ويقصد بها ان القائد ينتظر منه ان يكون اكثر اعضاء الجماعة اسهاماً في الافكار التي تصبح موضوعاً للنقاش فيها . وكما ان اول من يهتم بالسلوك الذي يصدر عن الجماعة وتمضي في سبيله .

٢ ـ العضوية : ويقصد بها درجة التفاعل مع غيره من اعضاء الجماعة ودرجة مخالطته لهم وتبادله للخدمات معهم في جو غير رسمي .

٣ ـ التمثيل : اي درجة انغماس القائد في الدفاع عن جماعته وفي العمل من اجلها .

٤ ـ التكامل : مقدار مايصدر من القائد من اعمال لاتستهدف صالحه الفردي واعمالاً يقصد بها اشاعة جو من المحبة والسرور بين الاعضاء وانقاص حدة مابينهم من خلافات وكذلك درجة تآلفة بين الفرد وجماعته .

٥ ـ التنظيم : قدرة القائد على ان يحدد عمله وعمل الجماعة ، وعلى ان يخطط لهذه الأعمال وينظمها .

٦ ـ السيطرة : مقدار السيطرة والسيادة التي يفرضها القائد على جماعته وهي تعمل او تتخذ القرارات او تعبر عن رأيها .

٧ ـ تبادل الاعلام : درجة مساهمة القائد في توصيل المعلومات الى اعضاء الجماعة واستقائها منهم وتسهيله لتبادل المعلومات بين افراد الجماعة بعضهم وبعض وكذلك درجة علمه بما يتصل بها من الأمور .

٨ ـ الأعتراف : درجة انغماس القائد في التعبير عن تقبله واعترافه باعضاء الجماعة ورفضه او عدم تقبله لهم .

٩ ـ الانتاج : ويقصد به فرض القائد لمستويات من الانتاج يقتضي منهم بلوغها وتشجيعه لهم على ان يبذلوا جهداً اكبر في سبيل الغاية المشتركة .

النظريات التي تفسر القيادة :

تتعدد نظريات القيادة بتعدد البحث في سيكولوجية القيادة وفيما يأتي اهمها :

لقد ركزت البحوث المبكرة عن القيادة على دراسة شخصية القائد وسماته وخصائصه الجسمية والعقلية والانفعالية والأجتماعية . ان هذه النظرية تؤكد على ان القواد يولدون قواداً وانه لايمكن لشخص لايملك صفات القيادة ان يصير قائداً . الا ان هذه النظرة لم تصمد امام الواقع فأشرت نتائج البحوث والدراسات الى انه ليس هناك سمة عامة او دلائل موحدة تفسر القيادة على اساس سمات معينة في كل المجالات ولقد ركز بعضهم على توافر السمات الخاصة او توافر سمات فوق العادية . وتقدم البحث العلمي حول سمات القادة وخاصة القائد الجيد ولم تعد تختار على اساس افتراضي ولكنها تشتق من نتائج الاختبارات والمقاييس العلمية واجريت دراسات عدة عن السمات الجسمية والعقلية والاجتماعية والانفعالية . وقد بذلت محاولات عديدة للوصول الى معايير مناسبة اهمها :

السمات الجسمية :

القادة يكونون اطول من الأتباع واثقل وزناً منهم خصوصاً حين يشترط في القائد ان يكون اقوى من اعضاء الجماعة وحين يكون هدفه الجماعة والدفاع عنها يكون اكثر حيوية واوفر نشاطاً من الاتباع .

السمات العقلية والمعرفية :

القادة اكثر تفوقاً من ناحية الذكاء العام من الاتباع خاصة في الجماعات التي تكون ذات طبيعة اكاديمية على انه لوحظ ان القائد الذي تزيد نسبة ذكائه عن المتوسط لذكاء افراد الجماعة يستطيع التفاهم بينه وبين اتباعه بسهولة .

وقد يلاحظ ايضاً ان القائد يميل الى ان يكون اغنى ثقافة واثرى معرفة واوسع افقاً وابعد نظراً وانفذ بصيرة واقدر على التنبؤ بالمفآجات والاستعداد لها واعلى مستوى في الأدراك والتفكير وافضل من حيث الطلاقة اللفظية واحكم في الحكم على الأشياء واسرع في اتخاذ القرارات .

السمات الأنفعالية والأجتماعية :

نجد القادة هنا يتصفون بالثبات الأنفعالي والنضج الأنفعالي وقوة الأرادة والثقة في النفس . كما ان القادة يتسمون اكثر من الأتباع بالتعاون وتشجيع روح التعاون بين الأعضاء والقدرة على التعامل مع الجماعة وكذلك يكون القائد (ميل الى الانبساطية وروح الفكاهة والمرح بين الاتباع واقدر على الاحتفاظ بأعضاء الجماعة ومراعاة مشاعرهم وكسب ثقتهم في انفسهم . والقائد اكثر اعضاء الجماعة ميلاً الى المشاركة والأسهام بشكل ايجابي في النشاط الاجتماعي وهو اقدر على خلق روح معنوية عالية في الجماعة . والقدرة على ان يضع نفسه موضع الغير وعلى ان يشعر بمشاعر الغير وان يتصف بالتسامح مع الحزم عند اللزوم . وان تكون علاقته بأفراد الجماعة الموجود فيها علاقة ودية وان كان ذلك لايعني رفع الكلفة بينهم كلياً . ويجب ان يشارك الجماعة في آمالهم وحاجاتهم .

ان هذه السمات ليست ثابتة للقيادة لكل زمان ومكان وانما لكل جماعة ظروفها واهدافها ومشكلاتها لذلك فسمات القيادة التي تصلح لمجتمع لاتصلح لغيره .
(٢٨ ـ ص ـ ٢٧٠ ـ ٢٧٢)

نظرية المواقف :

ان القيادة هي نتيجة مباشرة للتفاعل بين الناس في مواقف معينة وليس نتيجة لصفات معينة في شخص ما وذلك لأن الظروف المحيطة بأي قائد تجبره على التصرف بطريقة معينة . وتمتاز هذه النظرية بديمقراطيتها الشديدة فهي لاتقصر القيادة على عدد محدد من الناس وانما تجعلها مشاعاً بين الجميع . وان القيادة موقفية

بمعنى ان الموقف الذي يحدد القائد وهذه النظرية تعطينا مفهوماً وظيفياً وديناميكياً للقيادة . وتوسع من قاعدة القيادة .

النظرية المشتركة :

وهي تجمع بين النظريتين السابقتين وتقوم هذه النظرية على اساس وجود صفات عامة لازمة لأي قائد وصفات خاصة بالقيادة في كل موقف من المواقف .

يوضح الفين جولدنر **(Gouldner)** في كتابه « دراسات في القيادة » ـ ان الذكاء المرتفع والغباء أيضاً ليست من سمات القائد وانما الذكاء المتوسط هو السمة اللازمة . وبالأضافة الى ذلك فان القدرة على تكوين العلاقات الاجتماعية مع الناس والقدرة على القيام بها ينتظره الغير . والأتزان الأنفعالي هي بعض السمات العامة اللازمة لأي قائد في المجتمع . وبذلك ظهرت النظرية المشتركة .

كما ان جيب **(Gibb)** يوضح ان هناك ثلاث نظريات للقيادة هي :

١ ـ النظرية المركزية او المحورية :

وهذه النظرية تنظر الى القيادة على انها سمة مركزية تميز القادة حيثما وجدوا . وان القادة في شتى المجالات . والمواقف الأجتماعية المختلفة . والثقافات المختلفة يمتلكون هذه السمة المركزية .

٢ ـ النظرية التجميعية التكاملية :

وتؤكد هذه النظرية على ان القائد لابد ان يتمتع بمجموعة من السمات مثل الذكاء والمعرفة والمهارات المتكاملة تشكل شخصية القائد .

وهناك بعض الملاحظات على هذه النظرية من اهمها . انه ليس ضرورياً بالنسبة للأفراد الذين يمتلكون هذه السمات ان يصبحوا قادة بالفعل . وان القائد في موقف ماليس بالضرورة ان يكون قائداً في مواقف اخرى فالقائد هو الموقف .

٢ ـ نظرية التفاعل :

وتؤكد هذه النظرية على ان القيادة في جوهرها ظاهرة تفاعلية تنبثق حينما تتشكل الجماعة . والقيادة هي وظيفة أو دالة للشخصية والموقف الأجتماعي او للتفاعل بينهما (الشخصية ـ الموقف الاجتماعي) .

وان القيادة في هذه النظرية تشمل : أ ـ شخصية القائد .

ب ـ الأتباع او المرؤوسين (اتجاهاتهم . حاجاتهم . وميولهم . مشكلاتهم) .

جـ ـ وحدة الجماعة ذاتها من حيث بناء العلاقات الشخصية بها وخصائصها .

د ـ المواقف كما تحددها الظروف .

هذا وقد اوضح (جيب) ان اهم ملامح او خصائص نظرية التفاعل مايأتي :

١ ـ الجماعات عبارة عن آليات او ميكانيزمات لتحقيق اشباعات الفرد .

٢ ـ ان اي جماعة ماهي الانسق من التفاعلات .

٣ ـ ان التمايز في الدور **(Role)** هو السمة الغالبة في كل الجماعات

٤ ـ ان القيادة كأي دور سلوكي آخر هي وظيفة او دالة **(Function)** لأسهامات الفرد والنسق الأجتماعي في تفاعلهما الديناميكي .

اشكال القيادة :

تتعدد اشكال القيادة بحسب انواع الجماعات وطريقة اختيار او تعيين اسلوب القيادة وفيما يأتي اهم اشكال القيادة :

القيادة الجماعية :

تتضمن توزيع المسؤوليات القيادية بين افراد الجماعة حسب قدرات كل منهم وليس هناك شيء في طبيعة القيادة نفسها يتطلب توزيعها . ان الجماعة قد تؤدي الوظائف القيادية في يد قائد واحد او قد توزعها على عدد من الاعضاء . وهكذا نجد ان القيادة الجماعية تنبع من المباديء الديمقراطية . وفيها تستخدم المشاركة كأسلوب قيادي اي اشراك القادة للاعضاء في القيادة وهذا يعني تخويل الاعضاء سلطة اتخاذ القرارات وكلما ازدادت المشاركة الأيجابية كلما كان ذلك محققاً لمفهوم القيادة الجماعية ومن أهداف القيادة الجماعية خدمة الفرد من حيث الاهتمام به واشباع حاجاته . وكذلك خدمة الجماعة من حيث تنمية القدرة على القيادة وتحقيق الولاء

والتعاون وتحقيق الثقافة الجماعية وتنظيم العمل وزيادة الانتاج وتحمل مسؤوليات القيادة والاعتماد على النفس .

ولهذا الشكل من القيادة مميزات منها انها تنمي شخصية الفرد وتشعره بأنه من الممكن ان يكون قائداً . تعد الطريق السليم لحل مشكلة توافق الفرد مع المجتمع وتوافق المجتمع مع الفرد . وكذلك تتسم بالديمقراطية . وتزيد من فعالية الجماعة وتكفل تحقيق اقصى الفائدة من مهارات كل عضو من اعضاء الجماعة وهناك عيوب لهذا الشكل من اشكال القيادة فقد تؤدي الى الفوضى وعدم تحديد المسؤوليات وان يصبح لكل فرد ان يقول الكلمة النهائية فيما يتصل بعمل الجماعة . وقد تؤدي الى انخفاض الروح المعنوية في الجماعة . وقد تثير الصراع بين القائد والأتباع

القيادة الادارية :

لقد اظهرت نتائج البحوث ان اسس القيادة الادارية الناجحة ان يعطي للمرؤسين قدراً كبيراً من الحرية في وضع خطة العمل وتحديد الأهداف ومعالجة المشكلات المتصلة بالعمل . وكذلك العمل على تماسك الجماعة وتضامنها وقوة بنائها . والعمل على ضمان الأمن والراحة في العمل جسمياً ونفسياً واظهار الود والفهم وتبادل الاحترام في علاقات العمل وفي كل انماط السلوك الاجتماعي . والأهتمام بالأفراد والأنتباه لهم وفهم مشكلاتهم والعمل على حلها . وتحويل العمل المتمركز حول الذات الى عمل متمركز حول الجماعة . وكذلك اتباع المنهج العلمي في الوصول الى القرار السليم واستشارة اهل العلم والخبرة في داخل الجماعة وخارجها والمعاملة الانسانية لأفراد الجماعة .

القيادة العسكرية :

وهي فن التأثير على الرجال وتوجيههم نحو هدف معين بطريقة تشمل طاقاتهم وثقتهم واحترامهم وولاءهم وتعاونهم . والقائد العسكري الجيد هو الذي يتحلى بالسمات القيادية الديمقراطية والثقافة العامة والصحة النفسية .

ومن دلائل النجاح في القيادة العسكرية ارتفاع الكفاءة القتالية للجماعة والتزام الأفراد بقواعد الضبط وارتفاع الروح المعنوية .

انواع القيادة والمناخ الاجتماعي :

اجريت عدة دراسات حول انواع القيادة والمناخ الاجتماعي لدراسة تأثير الانواع والمناخ الاجتماعي على سلوك الفرد والجماعة .

وسنعرض لأنواع القيادة والمناخ الاجتماعي لكل نوع وقد يصعب وضع حدود بين الأنواع المختلفة للقيادة . وسنركز بصفة خاصة على :

١ ـ القيادة الديمقراطية .
٢ ـ القيادة الاوتوقراطية .
٣ ـ القيادة الفوضوية .

القيادة الديمقراطية :

وهي نابعة من حاجات الجماعة لذلك فهي تعمل على تحديد رغبات الجماعة ثم بث روح النشاط والتعاون بين الجماعة لتحقيق هذه الأهداف . كما يتسم هذا النوع بالأحترام المتبادل . ويعمل القائد على تشجيع اسهام كل فرد في العمل الى اقصى حد ممكن ومساهمة كل عضو في مناشط الجماعة وفي تحديد اهدافها . وهو يعمل على توزيع وتوسيع المسؤوليات اكثر من ان يركزها في شخصه . ويكون القائد موضوعياً في مدحه او نقده لعمل الافراد . ويشترك القائد في مناقشات الجماعة ويشجع الأعضاء في مناقشتهم ويوجههم ويحيط الاعضاء علما بخطوات العمل والهدف الذي تسعى الجماعة لتحقيقه ويترك للجماعة حرية توزيع العمل بين الأفراد . ويشعر الافراد بأهميته مساهمته الأيجابية في التفاعل الأجتماعي . ولهم حرية اختيار رفاق للعمل والاعمال التي يرغبون فيها حسب قدراتهم وميولهم . والجماعة تكون متماسكة ومترابطة والروح المعنوية مرتفعة . واذا ترك القائد مكانه يكون الانتاج والنشاط نفسه عند وجوده وعند غيابه . ويتميز المناخ الاجتماعي ايضاً بالود والثقة بين الافراد وبين القائد . ويسود الشعور بالاستقرار والراحة النفسية .

القيادة الاوتوقراطية :

وهي تحكم الفرد دون استشارتهم فالقائد يخطط حسب رغبته وحاجته ويوظف جهود الاخرين للعمل على تحقيق اهدافه مستعملاً في ذلك اساليب تحكمية وهو اذ يمارس تصرفاته يتمتع بحرية واسعة ، كما يغلب عليه الكبرياء . والقيادة

الأوتوقراطية قاسية لاتبالي بالشعور بالعواطف الانسانية حتى بالنسبة للفئة الملتفة حولها . والقائد الاستبدادي يملي بمفرده نشاطات الأعضاء ونوع العلاقات الداخلية التي يجب ان تسود بينهم . وهو الذي يثيب ويعاقب ويهب ويحرم كيفما يشاء ، وقد يكون دكتاتوريا في علاقته مع أعضاء جماعته . ولذلك نجد الدوافع ضعيفة وضئيلة في الجماعة الخاضعة لهذا النوع من القيادات فالفرد يعمل تحت الخوف والأرهاب . فيهتم بضمان طاعة الأعضاء حتى لقد يعمل على انقسام الجماعة وتقليل الأتصال بين اعضائها لتحقيق ذلك . وليس للأفراد حرية في اختيار رفاق العمل بل يعين القائد العمل ورفاق العمل . اما اذا ترك القائد العمل او تنحى عنه فان ذلك يؤدي الى انحلال الجماعة او الهبوط بروحها المعنوية اما السلوك الاجتماعي فيميزه روح العدوان وكثرة المنافسة او الخضوع واللامبالاة ويزداد اعتمادهم على القائد ويسود انعدام الثقة بين بعضهم البعض وبين القائد ويزداد كرههم للقائد . ويسود الشعور بالأحباط والحرمان وعدم الاستقرار وحدة الطبع .

(٢٨ ـ ص ٢٨٢ ـ ٢٨٥)

القيادة الفوضوية :

يوجد هذا النوع من القيادة في جو تسوده الحرية المطلقة لكل فرد . ولا يتدخل القائد في تنظيم مجرى امور الجماعة ولا يحاول ابداء الرأي او التوجيه . ولذلك تظهر الآراء المتضاربة ويغلب العمل الفردي وعدم الجدية واللامبالاة فيتحول النظام الى فوضى وتظهر آثار تفكك الجماعة .

وهذا النوع من القيادة يتصف بأن القائد يبدو متمرداً على النظم والتقاليد ويدعو اتباعه الى التمرد عليها . كما انه ضد اي تشكيل منظم . ويسيطر على تابعيه بصورة مباشرة . ويستعمل العاطفة دون المنطق في اقناع تابعيه ولا يقبل اي رئاسة فوقه . وهو ايضاً متهيج دائماً وسريع القرارات .

اما المناخ الأجتماعي وانتاجية العمل قد تكون في غياب القائد مساوية او اكثر او اقل مما لو كان موجوداً وذلك حسب ظروف التفاعل الاجتماعي . وافراد الجماعة يختارون اصدقائهم ورفاق العمل بحرية كاملة . كما ان حالة التذمر والقلق تبدو على اعضاء الجماعة بدرجة متوسطة في الوقت الذي يكون السلوك الاجتماعي بين اعضاء الجماعة انفسهم متميزاً بالثقة المتبادلة والمودة .

المعلم قائداً :

يعد المعلم قائداً ماهراً متى استطاع ملائمة الظروف لتلاميذه بحيث يقومون بأعمال ناهضة بناءة وبحيث يحاولون الوصول الى الاهداف المرسومة . ويختلف تنظيم انواع النشاط التعليمي من صف الى صف ومن مرحلة الى اخرى . فمن الممكن ان تحدد الأهداف التعليمية لتلاميذ مفصلة او ان تترك لرغباتهم كأفراد وقد يقوم المعلم وحده بوضع الاهداف وبتفيذ الخطط . وقد يكون هذا العمل مشتركاً بين الجميع في الفصل الواحد . وهكذا تختلف مدى مشاركة التلاميذ كجماعة في النشاط التعليمي .

ومعنى هذا اننا نجد بعض جماعات التلاميذ تقدم مقترحات وطرقاً مختلفة لتنفيذها ويقومون بالتخطيط .. ويندر ان نجد عند هؤلاء التلاميذ كراهية للمعلم او المادة الدراسية او المدرسة . ويغلب ان يسود الود علاقات التلاميذ حين تتاح لهم فرص التعاون في العمل يكثر التفاعل الودي بين الاعضاء حين تتحمل الجماعة مسؤولية القيام بتخطيط نشاطاها . وتختفي او تقل الجماعات المندرجة او الشلل في الصف او تختفي نتيجة للعمل التعاوني الجمعي .

ان التلاميذ الذين يعرفون هدفهم يحسنون اختيار مايقومون به من اعمال اكثر من اولئك الذي يتبعون تعليمات لايفهمونها . ومتى اصبح الهدف هدف الجماعة اكثر مما هو هدف المعلم لايصبح من الضروري او اللازم ان يحث المعلم الجماعة لكي تعمل لتحقيقه .

كما ان الاشتراك في التخطيط يعلم التلميذ كيف يتخذ القرارات وكيف يكون فعالاً في تفاعله مع اعضاء الجماعة . ان الطريق الى تعلم العضوية الصالحة في الجماعة هو ان تتاح الفرص للأفراد لكي يمارسوا هذه العضوية وان يخطئوا وان يتعلموا من اخطائهم ومحاولاتهم . ويشعر العضو الصالح بأن اسهاماته ومقترحاته ستجد قبولاً من الجماعة بنفس الروح التي يقدم بها هذه المساهمات والأقتراحات .

اما اذا تركزت المبادأة في يد المعلم وحده فأن التلاميذ لن يتعلموا المساهمة باقتراحاتهم في نشاط الجماعة ولا تتاح لهم خبرة في القيادة اذا كان المعلم يخطط كل خطوة من خطوات العمل المدرسي .

ويستطيع المعلم ان يكتشف أصحاب المواهب الممتازة والمتفوقين في نواحي النشاط العلمي والممتازين في التحصيل المدرسي من جهة وفي نواحي النشاط

الترويحي من جهة أخرى للربط بين كافة انواع المهارات وتنميتها حتى لاتندثر هذه المواهب من محيط المدرسة الصاخب . ويتحقق ذلك عن طريق أتاحة الفرصة لظهور القادة في جماعات الدراسة وأوقات الفراغ على السواء . بحيث لاتكون المدرسة أداة للتلقين السلبي بل مجالاً للفاعلية والنشاط الايجابي . فكثير من الطلاب من ذوي القدرات المعتدلة يقفون على هامش ادارة الجماعة لانهم لايسلكون القدرة على القيادة التنظيمية . وهؤلاء لايحتاجون سوى اكتشاف قدراتهم والعمل على ابرازها بأتاحة الفرصة لهم لتولي المراكز الرئيسية .. وبهذا تتطور مقدرتهم القيادية بالممارسة فتتاح لهم فرصة التعبير عن الذات .. ومن الممكن توزيع الطلبة الى فرق صغيرة قليلة العدد يمارس فيها اصحاب المقدرة على القيادة التنظيمية هذه الفرصة ومن لايجد في نفسه القابلية على القيادة فسيكون عضواً حتى يبدي الرغبة في القيادة .

وتساعد الاتحادات الطلابية أيضاً في تدريب التلاميذ على الحكم الذاتي فعن طريق المناقشات وادارة الجلسات وتقديم المقترحات يجد التلاميذ فرصة طيبة لممارسة الميل الى القيادة والتبعية .

التدريب على القيادة :

تهتم المجتمعات الديمقراطية بمشكلة التدريب على القيادة . فالنظرة القديمة الى هذه المشكلة كانت ترى ان القيادة ليست دالة للمجتمع . وان القادة يولدون ولا يصنعون . ولذلك فليست هناك حاجة الى التدريب على القيادة . ولكن النظرة الحديثة ترى ان القيادة لها دور مهم في اي مجتمع . وان نمط القيادة هو في الغالب دالة للنمط العام السائد في المجتمع . ومن هناك كان اهتمام المجتمعات الديمقراطية بتنمية التدريب على القيادة التي تتفق مع اتجاهات هذه المجتمعات وقيمها .

وتوضح البحوث الحديثة ان التدريب عملية لاتتنافى مع الديمقراطية . فهو ليس نظاماً جامداً يتركز حول القائد . وينتظم التابعين في نمط معين يحدده لهم ولكنه نوع من التنظيم ينبع من تعاون مجموعة من الأفراد ومشاركتها في تحديد اهدافها . والعمل معاً للوصول اليها . ومثل هذه العملية تؤدي الى تغيير في شخصية الفرد . لأن المرء يكتشف في نفسه بواعث جديدة نحو العمل المجدي .

والتدريب ـ يهم المربي . والأداري ورئيس العمل والقائد العسكري ورؤساء اللجان والمشرفين والرياضيين ورجال الدين ورؤساء النقابات . وكل شخص يعمل مع

جماعة من الجماعات الأنسانية . وقد ساعدت البحوث الحديثة على ادراك ان القيادة مثلها مثل غيرها من المهارات . يمكن تعلمها وتعليمها . كما ساعدت هده البحوث على ان يدرك الفائدة في كل مجال ان المهارة في العلاقات الأنسانية عامل أساسي في القيادة المنتجة الفعالة . فازداد اهتمامها ببرامج التدريب وطرائقه واجراء البحوث التجريبية .

ولتوضيح اهمية التدريب واثره . نذكر تلك الدراسات التي قام بها (بافيلاس) وفيها قارن بين سلوك ثلاثة من المشرفين على ملاعب الاطفال ممن اعطوا تدريباً على القيادة لمدة ثلاثة اسابيع . وبين سلوك ثلاثة آخرين ممن لم يعطوا هذا التدريب وقد لوحظ ان قبل التدريب . تعدد العلامات الدالة على نقص الكفاءة القيادية للمشرفين الستة . فقد كان مستوى الروح المعنوية لديهم . ولدى الاطفال منخفضاً وكانوا يلجأون الى أساليب غير ديمقراطية في ادارة الملاعب مثل اصدار الأوامر دون اعطاء الأطفال فرصة التدريب على تحمل المسؤوليات واتخاذ القرارات بأنفسهم . أما بعد التدريب . قد أظهر المشرفون الثلاثة تقدماً كبيراً على المشرفين غير المدربين . فزاد استخدامهم للأساليب الديمقراطية في ادارة الملاعب . وارتفع مستوى الروح المعنوية لدى الاطفال . فازداد حماسهم للعمل . واشتراكهم في النشاط الجمعي . وتحسن مستوى العمل كما وكيفا . وقل الأنقسام داخل الجماعة . (٢٨ ـ ص ٢٩٣) .

أما برنامج التدريب فقد كان تدريباً أثناء العمل . وخبرة عملية في النشاط الجمعي الديمقراطي في اعداد برنامج التدريب وتنفيذه وقد شمل هذا البرنامج :

١ ـ مناقشة اتجاهات الجماعة واهدافها بقصد ادراك اسس العمل الجمعي ادراكاً سليماً . بدلاً من تعلم مجموعة قد لاتكون مرنة بالقدر الكافي لمواجهة كل المواقف الاجتماعية .

٢ ـ مناقشة الصفات التي يجب ان يتحلى بها القائد . واحتمالات العمل المختلفة الميسورة له .

٣ ـ تعلم اساليب ملموسة عن طريق عمليات مختلفة . مثل ملاحظة المدرب في قيادته للجماعة . وملاحظة كل منهم للآخر . ثم تبادل النقد والمناقشة . واكتساب الخبرة في كل من التبعية والقيادة حتى يدرك اهمية مشكلات الروح المعنوية .

ويهدف التدريب الحديث ـ بمفهومه الحديث ـ الى زيادة حساسية الفرد بما يحدث فعلاً في الجماعات ، والى اكسابه فهماً أحسن للذات في علاقتها بالجماعات ، وتتطلب تلك الحساسية معرفة بالعمليات الجماعية وأسبابها وقدرة على التعرف على ما يحدث في الجماعة والتعمق في بحث العوامل المسببة وعلاقاتها . وقد يستطيع ان يعرف الفرد السلوك الجماعي عن طريق القراءة ، او الأستماع الى النظريات ، الا ان القدرة على تشخيص العمليات الجماعية التي لن تكتسب غالباً الا عن طريق ملاحظة الجماعات في عملها ، وعن طريق تحليل هذه الملاحظات في ضوء المعرفة بالأسس والمفاهيم . ولذلك كانت الملاحظة العملية ، والقليل من الشروط الرئيسية للتدريب على الحساسية

ويتطلب انماء الأدراك الذاتي للسلوك ، ان تتاح للفرد فرصة الأختبار نفسه في موقف العمل ، وان يتعرف في المواقف المناسبة على نظرة الاخرين بنفسه وهو عضو في المواقف الجماعية ، او غيرها . كذلك من الضروري ان يعطي فرصة لتحليل خبراته كعضو متغير نشط في جماعة تتعرض لمراحل رئيسة من النمو والأنتاج .

وهناك طريقة من طرائق التدريب ابتكرها وطبقها (مورينو) تعرف بطريقة (تمثيل الادوار) ، تهدف الى انماء المهارات واكساب الافراد البصر في مجال العلاقات الانسانية عن طريق تمثيل المواقف التي تعبر عن مشكلات الحياة الواقعية ومع ذلك فأن النقد الأساسي الذي يوجه لهذه الطريقة هو اصرار صاحبها على اعتبار (التلقائية) المصدر الرئيس للسلوك الانساني ، واهماله كل العوامل الاخرى .

والمهم في هذا المجال ، هو ضرورة توفير المرونة الكافية في برامج التدريب بصورة تمكنا من الأخذ بمنهج او آخر بحسب طبيعة الموقف ومقتضياته .

الأسلوب الناجح للقيادة :

طالما ان القيادة صفة للموقف الذي توجد فيه جماعة الافراد ذات هدف مشترك ، فأنه من العسير علينا علمياً تحديد السمات الواجب توفرها في القائد بوجه عام . ولكن مما لاشك فيه انه يمكن تحديد سمات القائد الاداري ، والقائد الفني ، والقائد العسكري ، والقائد الأجتماعي والقائد السياسي ، وغير ذلك من انواع القيادة ، على شرط ان تحدد الشروط التي يعمل فيها كل واحد من هؤلاء القادة .

ومما لاشك فيه أن الشخص المتردد المنطوي لا يصلح لأي نوع من أنواع القيادة ، كما ان الفرد محدود الذكاء لا يستطيع قيادة جماعته بنجاح ، ونستطيع ان نسرد كثيراً من الصفات التي يجب ان يخلو منها القائد . وبالتالي نستطيع تحديد الصفات التي يجب ان تتوافر في القائد . ولكن ليس معنى وجود صفات مثل الأتزان الانفعالي ، والجرأة ، والحكم الصادق ، والذكاء المرتفع وغيرها دليلاً كافياً على الصلاحية للقيادة ، لأن كثيراً من الأفراد يمتلكون صفات لا يمارسونها ، وهكذا يكون للممارسة دور كبير في شخصية القائد ، فليست العبرة اذن بما يملك الفرد من صفات ولكن العبرة بما يفعله وهكذا تحدد القيادة الناجحة بمقتضى ما يملكه الفرد من صفات وما يفعله معاً ، ولا يمكن الفصل بين هذين الأمرين في السلوك القيادي الناجح لأن القيادة الناجحة تنشأ من استعمال طرق ايجابية فعالة للتأثير في نشاط الجماعة لتحقيق أغراض معينة .

واذا ماتساءلنا : « ماهي أفضل طرق القيادة الناجحة ؟ نجد ان الأجابة عن هذا السؤال تاتي الينا من عدد من المصادر وسنجد ان الآراء متعارضة الى حد كبير ، ولكننا سنعتمد في مناقشتنا على المعلومات المستندة على البحوث العلمية في مجال القيادة الأدارية ، ونجد ان الاسلوب القيادي الناجح يتلخص كما يأتي :

١ ـ ان مهمة المشرف او القائد هي التخطيط والتنظيم والتدريب وتوثيق الروابط داخل الجماعة العاملة ، وليست مهمته ان يشترك مع أفراد المجموعة في الأعمال المعينة التي وزعت عليهم الا في حالات استثنائية حتى يركز على وظائفه القيادية . وقد أثبتت البحوث العلمية ان المشرفين الناجحين يقضون اكثر من نصف وقتهم في وظائف الأشراف الفعلية كالتخطيط والتنظيم والتدريب وتنمية العلاقات الأجتماعية داخل الجماعة وما الى ذلك . كما اظهرت هذه البحوث والدراسات ان وظيفة المشرف الناجح تتلخص كما يأتي : ـ

أ ـ الأحتفاظ الدائم بعضوية الجماعة ، فيعمل على زيادة تقبل الجماعة له عن طريق زيادة الأندماج بهم ، وتبادل بعض الخدمات معهم ، والبعد بقدر الأمكان عن التدخل في تحديد مايقومون به من أعمال .

ب ـ تنظيم الأنتاج ، مع التركيز على التخطيط الذي وضع لزيادة الأنتاج عن طريق العناية بالشروط الدافعة للعمل ، وتحديد عمله وعمل المجموعة ، فيقرر الأهداف ، ويثير الحوافز للمجموعة لتحقيق هذا الهدف .

جـ ـ تركيز الأهتمام على تنظيم الناحية الفنية للعمل وتنسيقها ، دون ان يضيع وقته في الجزئيات البسيطة عديمة الفائدة .

د ـ العمل على تدعيم نواحي الأتصال المختلفة . فلا يقتصر على توصيل المعلومات للجماعة من الأدارة . بل يعمل على اسماع صوت الجماعة للأدارة وخاصة الآراء والأفكار المتعلقة بالعمل والأنتاج . كما يعمل على تدعيم علاقات المجموعة فيما بينها داخل العمل وخارجه .

٢ ـ ومن اهم معالم القائد الناجح ان يكون موجها نحومرؤوسيه كما وليس معنى ذلك انه لا يهتم بالعمل والأنتاج . فهو يعتبر ان الانسان هو الذي يعمل وينتج . ولاشك ان الانتاج الجيد او الانتاج السيء نتيجة للأنسان الذي يعمل . والفترة الأساسية وراء ذلك هي ان الفرد يبذل أقصى جهده لأجادة الأنتاج اذا شعر ان رئيسه او المشرف عليه يهتم به شخصياً ويقوي شعور الفرد بذلك حينما يعرف الرئيس أو المشرف اسماءمرؤوسيه ومشاكلهم الشخصية . وحينما ينتقل اليهم ويحدثهم في مكان عملهم حيث يخلو الحديث من الرسميات ويزيد من التقارب والتآلف بين الرئيس والمرؤوس وحينما يحاول المشرف الأسهام في حل مشكلات مرؤوسيه بطريقة ايجابية .

اما القائد الموجه نحو العمل فقط . فغالباً ماتكون علاقته بمرؤوسيه على ضوء العمل فهو لايهتم الا بالانتاج الصحيح السليم . أما الأفراد الذين يقومون بهذا العمل فقيمتهم مرتبطة بالعمل . ومثل هذا الرئيس او المشرف حينما يسأل عن سبب تغيب احد الافراد لايفعل ذلك كي يعرف طبيعة المشكلات التي حالت دون حضوره الى عمله . بل يفعله كي يؤكد ان له عيناً ساهرة على العمل وانه لايود ان يتكرر هذا الغياب لتأثيره على العمل والأنتاج . ومثل هذا الرئيس لايقابل الفرد بلفت النظر او اللوم او التأنيب ويتبلور اتجاه الافراد الذين يعملون تحت قيادة مشرف موجه نحو العمل في أداء العمل تحت ظروف قلقة غير مستقرة . بتجنب المشرف بينما تبلور شعور المرؤوسين الذين يعملون تحت قيادة مشرف موجه نحو مرؤوسيه . تحت ظروف مشبعة بالامن والطمأنينة بالالتفاف حول المشرف لانه انسان منهم يهتم بشؤنهم الخاصة . ويميل الى مناقشتهم . والاندماج بهم . ويعتني بتدريبهم ولا يشعرون بأي تهديد من ناحيته . ويعتبرونه شخصاً أميناً يركنون اليه لمناقشة مشكلاتهم الخاصة وشؤون العمل .

ويعبر القائد الموجه نحو مروؤسيه عن اتجاهاته نحوهم بأساليب متعددة . نذكر منها على سبيل المثال مايأتي :ـ

أ ـ مساعدة مرؤوسيه على تنمية القدرة على توجيه الفرد لنفسه توجيها صالحا ، وهذه القدرة لاتتيسر للفرد الا اذا أدرك الاسس العامة التي يقوم عليها عمله . ولذلك تعد مهمة القائد الناجح مهمة تعليمية . فهو لايترك الشخص الجديد يحاول محاولات عشوائية ولكنه يبصره بالأسس العامة للعمل وكيفية انجازه بالطريقة السليمة . وبذلك يضمن المجهود الأيجابي منه حتى يتكيف للنظم القائمة عن ادراك وفهم .

ب ـ مساعدة مرؤوسيه على الترقي ، فيعمل على الحاقهم ببرامج التدريب المختلفة حتى يكتمل نضجهم المهني ، كما يعمل باستمرار على تشجيع المرؤوسين على الأداء الحسن ، ويعبر عن تقديره لهم بأسلوب واضح حتى يشعر المرؤوس بتقدير رئيسه له . فيشجعه ذلك على استمرار التحسن .

جـ ـ ادراك امكانيات كل فرد من مرؤوسيه ، فيضع كل فرد في العمل المناسب له ، بحيث يتيسر لكل فرد من افراد الجماعة ان يمارس عمله وهو مقتنع بأنه يؤدي العمل الذي يتفق مع قدراته وامكانياته .

د ـ اعطاء كل فرد حقه . ويتمثل ذلك في الأعتراف بالآراء التي يقدمها المرؤوسين ، والا يقلل من شأنها او يحطمها ، بل يساعد مرؤوسيه على ابداء الرأي وان يعمل على تحقيق مايمكنه من هذه الآراء التي تتعلق بصالح الجماعة وصالح العمل وبذلك يتيح الفرصة لكل فرد كي يشعر بأنه يؤدي عملاً يشترك في تنظيمه وفي اقرار وسائل تنفيذه ، وبذا يزيد احترام الفرد لعمله واخلاصه له .

هـ ـ اظهار حدود امكانياته أمام مرؤوسيه ، فلا يدعي انه السلطة العليا او الفني الأول الذي لايهتم بآراء غيره من الفنيين ، ويتمثل هذا جيداً في طلب المشورة الفنية من الأدارات الفنية الأخرى حينما تعترضه مشكلة تستلزم هذه المشورة . وهو يعمل ذلك مدفوعاً بفهمه الحقيقي لحدوده وامكانياته وعلاقته بغيره من الأجهزة الفنية أو الأدارية في المؤسسة .

(٣) ـ ومن اهم مشكلات القيادة مشكلة تفويض السلطة ، وكثير من المشرفين والرؤساء يتصورون ان تركيز السلطة في أيديهم ييسر لهم نوعاً من السيطرة والتحكم في العمل والواقع ان الدراسة العملية لهذه المشكلة أوضحت ان القائد الناجح هو الذي يفوض السلطة لمرؤوسيه ، ففي اتخاذ القرارات المتعلقة بالعمل ، يوجد فرق بين قائد أو مشرف يملي قراراته على موظفيه فينفذون الأمر بحذافيره ولا يهتمون كثيراً ان كان هذا الأمر يؤدي الى تحقيق الهدف

بأحسن طريقة ممكنة ام لا .. وبين قائد او مشرف لاينفرد باتخاذ القرار ، فطالما ان مرؤوسيه يعرفون طبيعة عملهم فانه يتركهم يتخذون قراراتهم بأنفسهم ، واذا جد تعارضاً في الاراء فأنه يحاول التوفيق بينها عن طريق المناقشة .

بيد أن تفويض السلطة أمراً سهلا بالنسبة لكثير من القادة ، وذلك لأن ثمة مجموعة من الدوافع المتعارضة تعمل متضادة في هذا الموقف . ولذلك يحسن ان يساعد المشرفون والقادة بنوع من التوجيه حتى يتمكنوا من التغلب على الدوافع المضادة وتقوية الدوافع الموجبة وفيما يأتي بعض المقترحات في هذا الصدد ،

أ ـ زيادة عبء العمل الأداري على المشرفين وخاصة في مجال التخطيط ولاشك ان هذا الأسلوب قد يفيد في زيادة عبء العمل على المشرف حتى يجعله يفكر تفكيراً جدياً في تفويض سلطته ليتفرغ لمهامه الاخرى .

ب ـ التوصيف الواضح لمسؤوليات الوظيفة وطبيعة أعمالها وعلاقتها بأعمال المرؤوسين ، وهذا لايساعد على تفويض السلطة بقدر مايساعد في الكشف عن الأداري الذي ينزع الى السيطرة على كل السلطات التي تصل احيانا الى القيام بالأعمال التي يجب ان يقوم بها بعض المرؤوسين .

جـ ـ تدريب المشرفين على نظام المتابعة ، حتى تضمن المؤسسة ان المشرف اذ يفوض السلطة لايغفل عن مراقبة هذا التفويض ، حتى يستطيع ان يتدخل في الوقت المناسب ليحول دون وقوع الخطأ ولتجنب ماقد يحدث من مشاكل .

د ـ الأستعراض الدوري لسير العمل بوجه عام من المديرين وبذلك نضمن توجيه المشرفين الى تقويم عملية التفويض ، لأنه عن طريق حصر أوجه النقص يمكن ابداء الرأي في الأساليب التي تتبع لعلاج الموقف .

ولا تقتصر أهمية تفويض السلطة على أتاحة الوقت الكافي للمشرف للأهتمام بنواحي الاشراف الفعلية ، ولكنها تفيد كذلك بالنسبة للمرؤوسين حتى انها تتيح لهم فرصة مباشرة القيادات الصغيرة فيقدرون على تحمل المسؤليات وتنمية الأتجاهات الموجبة نحو العمل والزملاء والانتاج ويجب ان تتم عملية تفويض السلطة بمنتهى الحيطة والحذر مثلها في ذلك كمثل الأب الذي يهدف الى تعويد ابنائه الحرية في تصرفاتهم . فلا يقصد بذلك ان يدعهم وشأنهم يفعلون مايريدون ، بل ان الدقة والرقابة للتصرفات يجب ان تكون مهمة الوالد المستنير . ان عملية تفويض السلطة

التي يمارسها المشرف الناجح تحتاج منه الى صفات كثيرة حتى يستطيع ان يحتفظ بتماسك الجماعة ، وحتى يضمن عدم الأساءة الى الجماعة او الى المبادىء التي تسير عليها المؤسسة .

الفصل التاسع
ديناميـة الجماعة

ماهي الجماعة
بناء الجماعة
تماسك الجماعة
انواع الجماعات
ماذا يفيد الفرد من الجماعة
مفهوم الوضع الاجتماعي والدور
الادوار وتكوين الشخصيات
العلاقة بين المنظومة الاجتماعية والادوار
التبعية المتبادلة بين الادوار
العلاقة بين الدوروالشخصية الفردية والسلوك العياني والتبعية المتبادلة بين مختلف المقومات

« ديناميـة الجماعة »

كان قديماً يقال ان الانسان يولد بغريزة تسمى غريزة حب الاجتماع تدفعه الى ان يكون دائماً مع غيره من الناس . وان هذه الغريزة موروثة وعامة في البشر بيد اننا نرى ان الطفل عند ميلاده يتعلم حاجته الى الجماعة واعتماده عليها ويولد في ثقافة معينة ووسط اجتماعي معين . فالطفل يكتسب من الجماعة اللغة التي تساعده على التفاعل مع غيره كما يكتسب منها العادات والتقاليد . كما تحدد الجماعة له دوره فيها وفكرته عن نفسه اي ان الجماعة هي التي تحول الطفل الى كائن اجتماعي .

ماهي الجماعة

ان لفظة الجماعة قد تطلق على شخصين او اكثر على اساس القرب المكاني بين الافراد ويعرف البعض الجماعة على اساس الانتماء الى هيئة او منظمة رسمية ... ومهما تكن التعاريف فقصدنا هو الافراد الذي يسلكون تبعاً لمعايير مشتركة . ولكل منهم دور في الجماعة يؤديه . مع تداخل هذه الادوار بعضها مع بعض والسعي لتحقيق هدف مشترك .

لكل جماعة بناء حتى تلك الجماعات التي يتم تنظيمها بشكل غير رسمي . اذ يوجد في كل جماعة انماط من التقبل والنبذ . ويتميز بعض الاعضاء بالقوة بينما يتميز البعض الاخر بالضعف وهناك من لديه مايعطيه للجماعة اكثر من غيره . ويمكننا الكشف عن البناء الاجتماعي للجماعة والعلاقات السائدة بطريقة البحث السوسيومترية .

بناء الجماعة

عندما يجتمع عدد من الافراد لحل مشكلة من المشكلات سواء اكان ذلك برغبتهم ام بعدما يصبح للجماعة بنيان . ويتوقف ذلك على مدى ما لدى الافراد من حرية في التفاعل مع بعضهم . ومدى التوجيه الذي يقوم به قائد الجماعة . وكلما استمر بقاء الجماعة مدة من الزمن نجد ان كل فرد في الجماعة يصبح له دوره ويصبح للجماعة تكوين هرمي وهنا تتحكم الفروق بين الافراد اذ يختلف

افراد كل جماعة من حيث الخبرات والمهارات والقدرات فاذا ادرك كل عضو في الجماعة قدراته وقدرات غيره فسيتم التفاعل . واذا تحدد مركز كل فرد في الجماعة وفي بنيانها بدأ سلوك الافراد نحو بعضهم البعض فيتحد شكلاً منظماً وكأنه يسير طبقاً لقواعد معينة .

ويتوقف استمرار بنيان الجماعة على مدى استقرار الجماعة . ويرى علماء النفس ان تماسك الجماعة والروح المعنوية يتوقفان على مدى استمرار البنيان ، ويساعد تحديد الادوار على تسهيل تحقيق الاهداف التي تسعى اليها الجماعة . وهناك نظرتان الى بناء الجماعة اولهما تنظر الى الجماعة ككل وتبحث عن انماط السلوك المرتبطة بوجودها ، وتبعد عن النظر الى مفاهيم الشخصية الفردية ، وتركز على الجماعة وهي تنظم له خصائصه التي تختلف عن خصائص الافراد الذين تضمهم ومن انصارها مكدوجل وليفين . وثانيهما تنظر الى كيان الجماعة اجتماعياً الذي يستجيب له الفرد ومن انصار هذه النظرة البورت وفرويد . (٢٨ ـ ص ٧٣ ـ ٧٤) من الجدير بالذكر ان البنيان قد لايظهر في بداية نشأة الجماعة ولكن بالتدريج تتضح التوقعات وتتحدد الادوار والمعايير . وكلما زاد تفاؤل افراد الجماعة نمت في الجماعة معايير للسلوك تسير جنباً الى جنب مع نمو بنيان الجماعة . وطبيعتها واهدافها هي التي تقرر المجالات التي تتحدد فيها المعايير .

ولا شك انه عند بدء تكوين الجماعة يكون هناك من الاعضاء من تتعارض قيمه مع قيم الجماعة . فتحاول الجماعة اجتذابهم وكثيراً مايضطر العضو الى التخلي عن كثير من معتقداته في سبيل مواصلة العضوية في الجماعة . ويبين هنا قوة الجماعة في تغيير الاتجاهات النفسية للافراد . وما دام الفرد يتقمص الجماعة التي ينتمي اليها تصبح الجماعة اهم عامل في تغيير الاتجاهات . (٢٣ ـ ص ١٩٨ ـ ٢٠٠)

تماسك الجماعة (الشعور بالانتماء)

يقصد بالتماسك مجموع القوى التي تؤدي الى ابقاء عضويه الافراد في الجماعة . ويتوقف التماسك على وجود شيء مشترك بين الاعضاء . اذ ان الاختلافات تولد فقدان الامن وعدم وحدة الهدف . فالاشتراك في معايير وقيم واحدة يكون اكثر ترابطاً . ويتوقف التماسك تبعاً لذلك على مدى شعور الفرد بالانتمائية للجماعة . اذ بدون هذا الشعور لن يتحقق التماسك .

وفي بداية تكوين الجماعة يشعر الافراد بالتوتر والتحفظ وبالتفاعل وبالادراك يتحقق الانجذاب ويتم نوع من التنظيم الداخلي الذي ينسق سلوك الافراد . ويمكننا الكشف عن البناء الاجتماعي للجماعة والعلاقات السائدة بطريقة البحث السوسيومترية .

انواع الجماعات

تقسم الجماعات من حيث تكوينها ووظيفتها الى جماعات اولية وثانوية وجماعات رسمية وغير رسمية .

١ ـ الجماعات الاولية والثانوية :

يقصد بالجماعة الاولية التي تكون العلاقات بين الافراد قائمة على اساس العلاقة وجهاً لوجه . كما تتميز العلاقة فيها بأنها وثيقة ومستمرة . تعد الاسرة اهم الجماعات الاولية الاصدقاء . اما ماعدا ذلك من الجماعات فتعد جماعات ثانوية (منظمات الشباب والنوادي ... الخ) .

٢ ـ الجماعة الرسمية :

تسمى الجماعة رسمية اذا كان دور كل فرد فيها محدداً ومكتوباً في بعض الاحيان . وفي مثل هذه الجماعات يجب على الفرد ان يسلك السلوك المطلوب منه او من غيره وتعد هذه الجماعات من الجماعات المنظمة وتنظيمها يقلل من اثرها في سلوك الافراد بخلاف الجماعات غير الرسمية .

ماذا يفيد الفرد من الجماعة

الجماعة وسيلة يحقق الفرد عن طريقها رغباته واهدافه . كما انها الوسيلة التي يمكن عن طريقها تغيير سلوك الفرد . واليك بعضاً مما قد يفيد الفرد من انتمائه لجماعة من الجماعات .

١ ـ تحقيق الرغبات الشخصية والاجتماعية التي يعجز الفرد عادة عن تحقيقها بمفرده .

٢ ـ الشعور بالانتمائية الى جماعة تتقبله ويتقبلها فيشعر بالامن والطمأنينة ويشبع حاجاته الانتمائية وحاجاته التي تتعلق بالمركز والمكانة .

٣ ـ يمكن تغيير سلوك الفرد عن طريق الجماعة ، فكل جماعة لها معاييرها وقيمها التي يتحتم على الفرد المنتمي اليها اكتسابها ، فالجماعة بوتقة تنصهر فيها معايير الافراد المختلفة التي تتحول الى معايير مشتركة بين الافراد .

٤ ـ تتوقف القوى الضابطة في المجتمع على قدرة الجماعات على السيطرة على افرادها وسلوكهم تبعاً لمعايير الثقافة والقيم الاجتماعية الضرورية لثبات المجتمع وحفظ كيانه وتقوية الرابطة بين افراده .

٥ ـ يتمكن الفرد عن طريق الجماعة من اكتساب الميراث الذي يمكنه من التفاعل تفاعلاً ايجابياً مع افراد مجتمعه .

٦ ـ تساعد الجماعة الفرد على ان يعرف نفسه عن طريق المقارنة بغيره من الافراد لتكوين فكرة سليمة عن نفسه .

٧ ـ تساعد الجماعة الفرد على ممارسة انواع من النشاط يستقبل فيها كفاياته ويكشف كفايات اخرى .

ان الجماعة هي التي يعمل افرادها متعاونين لتحقيق اهدافها ويقاس مدى نجاحها بمدى الترابط الموجود بين افرادها . واليك الشروط التي يجب توافرها في مثل هذه الجماعة : ـ

٢ ـ الشعور بالانتمائية الى الجماعة :

كل فرد في الجماعة يهمه الانتماء اليها مما يؤدي به الى ان يسلك تبعاً لمعاييرها مما يدل على اهتمامه بها . ولا شباع الحاجة الى الانتماء يجب ان يتقبل الفرد الجماعة التي ينتمي اليها كما تتقبله هذه الجماعة . والحاجة الى الانتماء من الحاجات النفسية الهامة . اذ يشعر الفرد بحاجته الى ان ينتمي الى وطن واسرة وينتمي الى جماعة من الاصدقاء وغير ذلك من الجماعات التي يجب ان يعتز بانتمائه اليها . والفرد اذا شعر بعزلته وعدم انتمائه لمثل هذه الجماعات اعتراه القلق والضيق والحزن . فاذا ماشعر بأنتمائه للجماعة ادى هذا به الى القيام بما يجب عليه نحوها مما يعطي سعادة لشعوره بالقدرة على البذل من اجل الجماعة . كما ان شعوره بالانتماء يكسبه الرضا والراحة لشعوره بأنه بين افراد يعرفهم ويعرفونه ويحبونه . ولا شك ان الجماعات تختلف فيما بينها في مدى ماتقدمه لافرادها من شعور بالسعادة بالانتماء اليها ، وتلعب المدرسة دوراً كبيراً عن طريق نشاطاتها

وبألوانها المتعددة الى استمرار وجود الدافع للانتماء الى جماعات المدرسة والذي يساعد الطالب في تلبية الدوافع الى الظهور والتعبير عن الذات .

٢ ـ استعداد الفرد للقيام بدوره في الجماعة :

والفرد الذي يرغب فعلاً في الانتماء الى الجماعة ويشعر بانتمائه اليها . لابد انه يرغب في ان يقوم بدوره فيها ويشارك في نواحي نشاطها المختلفة ولا يعيش بين افرادها على الهامش دون عمل فيها .

٣ ـ اشباع الحاجات الفردية :

من العوامل التي تساعد الفرد في الجماعة وتساعد على قوتها ووحدتها ان تساعد الجماعة الافراد على اشباع حاجاتهم الفردية . وينتمي الافراد الى جماعات لاسباب فردية على امل ان تشبع الجماعة فيهم حاجاتهم الخاصة . فلابد ان تهيىء الجماعة الفرص لأعضائها لاشباع مثل هذه الحاجات .

٤ ـ اشباع العلاقات الشخصية :

تعمل الجماعات على زيادة الرابطة بين افرادها بأتاحة الفرص التي يختلط فيها الافراد بعضهم مع بعض ليتعارفوا ويتقاربوا وتؤدي الفرص التي تخلقها الجماعات الى تجمع الافراد ذوى الميول المشتركة .

وكلما زادت الميول المشتركة بين الافراد زادت الوحدة والرابطة والصداقة بين افراد المجموعة ، زادت رغبة الفرد في الانسجام مع الافراد .

٥ ـ وجود اعمال جماعية يشترك فيها الافراد :

والاعمال الجماعية التي يعهد بها الى الافراد تؤدي الى ايجاد خبرات مشتركة بينهم فاذا وجد الافراد في الجماعة مايعملونه سوياً ادى هذا الى اتحاد اهدافهم والعمل على بلوغها .

مفهوم الوضع الاجتماعي والدور :

هناك تعريفات كثيرة لم يتفق عليها من قبل علماء النفس ومهما يكون من امر فان تقسيم الادوار قائم في كل جماعة ومجتمع . فلكل شخص مكانة من ثبت الاعمار والاعمال والقرابة والجنس . بل ان عدم انتساب الفرد الى جماعة يتضمن وصفاً خاصاً ودوراً خاصاً . والوضع الاجتماعي جهاز مستقر يبقى رغم تغير الفرد . ويعني (وضع الفرد الاجتماعي) هذا المكان الذي يحتله من جهاز بعينه . وفي فترة بعينها . ولقد كان استخدام هذا المصطلح يشير فيما مضى الى امتياز الفرد من حيث علو المكان ورفعة المركز . اما اليوم فهو يشير الى شتى المكانات والمراكز في غير مااعتبار معياري .

اما (الدور) فيعرفه (لنتون) بأنه جملة النماذج الثقافية المرتبطة بوضع اجتماعي معين وتشتمل هذه النماذج على اتجاهات وقيم وسبل سلوك معينة تصدر عن الشخص مرتبطة بوضعه الاجتماعي وتشتمل ايضاً على اتجاهات وانواع سلوك معينة . يتوقعها الشخص من جانب الغير المنتمين الى نفس جهازه . وعلى أية حال فان تصور (الدور) لا يمكن ان يدرس الا ضمن اطارات من الصلات البينية . (٤٨ ص ـ ١٠١) .

من هذا نرى ان الوضع الاجتماعي يرتبط بالدور وارتباط كل دور بوضع اجتماعي . ولكن هذا الارتباط لايبلغ حد الاندماج فبينما يستند الوضع الاجتماعي الى شروط تتعلق بالسن والجنس والعمر والمركز .... الخ . ويستند الدور الى الوضع . فالدور هو الوجه الديناميي للوضع الاجتماعي . فهو الاثبات والدليل الواضح على قيامه ووجوده .*

الادوار وتكوين الشخصيات :

ان معظم الخواص التي تحددنا وتميزنا كأفراد هي نتاج العلاقات الاجتماعية المتبادلة من حيث ان كل فرد يرتبط بعلاقات مع الاخرين خلال حياته ولا توجد علاقة متبادلة مشابهة الاخرى . ان شخصية الفرد تتعرض الى عملية تكيف مستمرة . قد يكون هذا التكيف قليل في بيئة مستقرة او منعزلة كالقرى البعيدة اذ قليلاً

---

* Goldstein, Jeffrey, Social psychology, New York, Academic Press, Inc. 1980, p. 276.

ماتتغير الادوار وعلى العكس فان التكيف قد يحصل بسرعة اكبر عندما يطلب من الاشخاص القيام بأدوار متعددة معقدة وفي بعض الاحيان غير مترابطة في مفهوم الجماعات الذين تتغير عضويتهم بأستمرار .

قد يكون لاشتراكنا في الادوار التي تقوم بها نوع من التأثير على انواع الذين اصبحنا على شاكلتهم او بصورة اصح نصبح على شاكلتهم بأستمرار بالرغم من انه يمكن اعتبار الدور بدلة نفسية نرتديها او ننزعها وتؤثر على مظهرنا وتصرفاتنا في تلك اللحظة ..... وكون هذه الاستعارة مناسبة لايعني بالضرورة ان يبقى اي تأثير عندما نتوقف عن تمثيل الدور بسبب واحد هو ان التصرفات المتوالية التي تشكل الدور يتم تعلمها اي انه قد تم تعزيزها . فعندما يتم تعلمها ستعود وتظهر بسرعة اكبر في المواقف التي لها احتمال التعزيز اضافة الى ذلك فان القيام بسلسلة التصرف لمناسبة للدور تتطلب ان نتعلم انواع معينة من الادراك الحسي ـ طرق معينة ننظر فيها الى انفسنا وبيئتنا ـ ان تمثيل الادوار هو نوع من تأكيد الذات . اذ اننا عندما نجد انفسنا في موقف تتأكد توقعاتنا من انفسنا من حيث قيمنا او ماشابه . عندما نتحرك من موقف الى اخر ومن دور الى اخر ، تظهر مظاهر متعددة في شخصيتنا الى الاخرين والينا ايضاً .

ان اول زوج من الادوار التي نشترك فيها هي علاقة الطفل بالام ، وعندما يشعر الشخص بنفسه سيكون قد دخل مسبقاً في مجموعة اكثر تعقيداً من علاقات الادوار وهي علاقاته بعائلته وسيتعلم تقويم نفسه وسلوكه من خلال تقويمهم واستجاباتهم له فلا يصبح شخصاً بنظره فقط بل يميل الى اقتباس نظرة الاخرين اليه . بل ان اجزءاً مهماً جداً في علاقة الادوار هو التقييم المتبادل . فالاخرين يشيرون بصورة مباشرة او غير مباشرة ، الى رأيهم عن الطريقة التي تؤدي بدورنا فيها في علاقة الادوار او نحن نستجيب بالمثل . وعندما يخرج الطفل من البيت الى الملاعب المجاورة والى المدرس يشترك في مجموعات من علاقات الادوار المنظمة بشكل اكثر تعقيداً ويتعلم ان يستخدم افكار الاخرين التي تتسع دائماً في تقييم واعادة تكوين فكرته عن ذاته .

وثمة مسائل ثلاث ينبغي دراستها هي :ـ

أ ـ العلاقة بين المنظومة الاجتماعية والادوار :

تصور الدور هو تصور عملياتي بمعنى ان التصور مرادف للعملية التي يشير اليها . اذ يعيننا على دراسة الثقافة الخاصة بالسكان . فبوسعنا ان ننظر الى سكان جميع منطقة ما ، نظرة اجمالية تنطوي على الطبقية والتشابك المتمفصل (بمعنى طبقات من الجماعات المترابطة المتميزة) . وثمة امران يتضحان عن طريق الدور . هما : الخصائص المميزة للثقافة والعلاقة بين مختلف الثقافات وبين الطرائق الخاصة التي ينبغي ان يتم وفقاً لها الاضطلاع بالوظائف الضرورية لحياة الجماعة . وفي هذا مايرينا اهمية تصور الدور والوضع الاجتماعي في علم النفس الاجتماعي . ومن هذا نستطيع التنبؤ بوضع الاشخاص الاجتماعي وادوارهم عند معرفتنا لنمط الحياة في الجماعة . فالشخصية غالباً ماتصاغ وتشكل حتى فيما يتصل بدقائقها عن طريق الدور . هذا الى ان انتظام الوضع الاجتماعي مع الدور في فلك منتظم هو امر خاص بكل فردٍ من مجموع الافراد فهناك كثيراً من الافراد نستطيع مقارنتهم ، ولكن يستحيل على الفردين المقارنين ان يبلغا حد التوحد . وان الطبع الفريد لذلك الفرد الخاص بوضعه ودوره هو الذي يجعل من الوضع الاجتماعي والدور حلقات تصورية بين علم النفس الاجتماعي وعلم النفس الفردي .

ب ـ التبعية المتبادلة بين الادوار :

يلح (لنتن) وكثير من المؤلفين على ما لهذا التصور من اهمية . ويمكننا ان نتبين توزع الادوار في الجماعة او المجتمع ففي جماعة التوأمين مثلاً نلاحظ نشأة التمايز الذي يمكن التعبير عنه بلغة الدور . فهذا التمايز هو ضرب من التشاطر والتغالق في مختلف قطاعات الحياة ، بحيث ان الدور الذي يضطلع به الواحد يجر الاخر الى دور معين .

ومهما يكن من امر فان التبعية المتبادلة بين الادوار تتخذ صوراً مختلفة هي :

١ ـ قد تتخذ صور التبعية المتبادلة صور التناظر ، وذلك حين يتمخض الدور عن نظير ، فيثير العدوان عدواناً مماثلاً .

٢ ـ وقد تتخذ التبعية المتبادلة صور التنام ، حين يتمخض العدوان عن الخضوع .

٣ ـ وقد تتخذ التبعية المتبادلة صور دفاعية حين يتمخض الدور بما يحدث من توتر ، عن دور اخر يحقق افراغ هذا التوتر . وقد يكون من المفيد ان نشير هنا الى ظاهرة المغايرة . كما يحدث عنه (جانية) وهي تشير الى ان السلوك

يختلف تبعاً لما يتم عليه ، في انفراد او امام الغير ، فالفرد لايستطيع ولا ينبغي ان يكون هو بعينه في مختلف الجماعات ، فمن طبيعة التكيف ان يستلزم التمايز والتغاير .

جـ ـ العلاقات بين الدور والشخصية الفردية والسلوك العياني :

يتخذ الدور تبعاً للنمط الثقافي . والدور هو ماينبغي للفرد ان يضطلع به في جهاز معين ، بينما السلوك العياني هو مايضطلع به الشخص بالفعل . وليس من شك ان التفرقة بين الدور والسلوك العياني نجد مايبررها . اذ ان الدور يستحيل تنفيذه بدقة . فلكل فلكل فرد طريقته الخاصة في اداء الدور . وهذه الطريقة الشخصية المعنوية في تأدية الدور تتجسم في السلوك العياني . وعليه يتسم الدور من هذه الناحية بالمثالية .

وثمة تصور اخر هام يتصل بتعدد الادوار ، ويسند التفرقة بين الدور والسلوك العياني . فهنالك وضع اجتماعي راهن ووضع ضمني كامن ويضطلع الفرد بأدوار مختلفة تبعاً لاوضاعه الاجتماعية المختلفة . وهنا كان احتمال قيام التعارض والصراع بين الادوار . وكما نفهم الشخصية ، يحتم علينا ان نضع في اعتبارنا دينامية السلوك الفردي ، بمعنى ان ندخل في حسابنا مايضطلع به من جهد للمصالحة بين الادوار المختلفة ولئن كان الصراع نادراً بين الادوار في المجتمات البدائية . فانه اكثر انتشاراً في مجتمعاتنا الحديثة لما تتميز من تعقد شديد . ويذهب بعض المحللين النفسين الى ان تنافر الادوار يتسم في نشأة العصاب . فمن الممكن ان ينشأ الصراع بين الادوار وتظهر الرغبة في التعبير عن الذات هذا وقد يضطلع الدور بوظيفة الدفاع عن الشخصة مما يبدو في بعض الدراسات عن تكييف الشخص مع الدور ، وتعد وظيفة الدور في صياغة الشخصية غاية في الاهمية ، مما يحمل على التمييز بين وجهين للتطابق ، فيوجد التطابق المباشر عن طريق التقليد والتطابق غير المباشر حيث يتطابق الطفل ، لامع الدور الذي يقوم به الاب ، وانما مع دور مفترض يرغب الاب ان يضطلع به طفله . وبالاضافة الى الوظيفة الدفاعية للدور ، والى وظيفته كعامل في صياغة الشخصية فهو يعين كوسيلة من وسائل البحث وكوسيلة للتكوين المهني ، وذلك بالتعليم عن طريق العمل .

التبعية المتبادلة بين مختلف المقومات

ان التصور الخاص بالتبعية المتبادلة بين المقومات ، بمعنى المحددات ليعد من اهم التصورات من الناحية المنهجية ، فقد تمسك بعضهم ومازال يتمسك حتى اليوم بالعملية الامر الذي تراه في علم نفس البنية الخارجية (المورفولوجيا) ، وما يذهب اليه من تفسير (وجداني الجانب) والشخصية في هذا الفرع من الدراسة اذ ينظر اليها من زاوية واحده ، الا وهي بنية الجسم ومعنى ذلك ان صياغة الشخصية ترتد بحسب هذه النظرة الى عامل فحسب ، ترتبط به عن طريق خط مباشر ويختلف ذلك تمام الاختلاف عن تصور العملية الشبكية الذي يرد الظاهرة الى عديد من العوامل المتداخلة .

اننا حين نضطلع بالبحث ، فأننا نقوم بتحديد الحقل الخاص بالدراسة فقد تجد العلية الخطية في مثل هذه الحالة ماقد يبررها بعض الشيء وذلك لاقتصارها المحدد ، كما هو الشأن عند (ليفين) ولكن مهما يكن من أمر فأن هذا النمط من التفكير في اطار من العلية الخطية ينتسب اليوم الى الماضي ، وذلك لسببين ، السبب الاول ان الباحث لايستطيع اليوم ان يقف في ميدان بحثه عند النظرة الجانبية الوجه ، ولا يستطيع ذلك حتى حين يقصر درسه على حقل راهن محدد بل يميل الآن الى الاستعانة بالعلية الشبكية ، اذ ان الباحث يشعر اليوم بالرغبة في ان يقف على مايتم في ميادين البحث الاخرى سيما مايتصل منها بميدان بحثه فليس بوسعه ان يحبس نفسه وراء الحدود الضيقة لحقل تخصصه

ويرجع السبب الثاني الى الاتجاه العام الذي يذهب الى الاعراض عن كل قطيعه فكرية ، بيولوجية كانت او نفسية او اجتماعية فأن المقومات بمعنى المحددات – والاسباب التي يتم الكشف عنها في هذه الحقول المختلفة تتشابك وتتمفصل بعضها عن البعض الاخر ففي حالة الجريمة مثلاً تكشف الابحاث الاجتماعية عن عامل الفقر ، بينما تكشف الابحاث النفسية عن اهمية الطابع اللامبالي الذي يرتبط ارتباطاً ايجابياً باضطراب علاقة الطفل بأمه ، وانه لمن شأن العلية الشبكية ان تشابك بين العوامل ، او قل في مثلنا هذا ان تشابك بين الفقر والطابع اللامبالي .

ولعل من اهم الصور التي تتخذها التبعية المتبادلة بين المقومات هذه التي تتشابك بين النضج والتعليم ، فتتمخض عن امكانيات عريضة وخطوط عامه غير محدودة المعالم والنضج من هذا الوجه ينطوي على التحديدات بمعنى ان قيام بعض الامكانيات من الغاء بالضرورة لبعضها الاخر وعلى ذلك النضج ضروري للتعلم ، ومن

هذا يتعذر او يستحيل على الطفل ان يضطلع بالتعلم حين نقدم له من مواد لاكتساب مايعلو على عمره . ومع ذلك فالتعلم ضروري ايضاً للنضج . مما يتضح بالنظر الى بعض الاستعدادات التي تظل كامنة عند الفرد حتى يتيح لها التعلم فرصة الظهور والنمو . ومن هنا تبدو لنا صياغة الشخصية من الزاوية الوصفية كنتاج للنضج والتعلم جميعاً .

ان التعلم في اساسه عملية تطبيع اجتماعي فالحياة الاجتماعية تطبع جميع اوجه السلوك فهي تطبع الدوافع والتكتيكات بمعنى الوسائل المؤدية للهدف . كما تطبع الاهداف والموضوعات والقيم فكل هذه الاوجه للسلوك الانساني يمكن ان تتعدل متأثرة بالحياة الاجتماعية ولنظرية التحليل النفسي اهمية قصوى من هذه الناحية وسيما فيما يتصل بمبدأي اللذة والواقع . ويمكن النظر الى الواقع من زاوية التجارب الاجتماعية فننظر بالتالي الى الصدام مع الواقع على انه صراع بين مطالب الفرد ومقتضيات البيئة . ولكن يمكن من ناحية اخرى ان ننظر الى الواقع من زاوية الرغبات الفردية . فننظر بالتالي الى تطور الشخصية وتبدل السلوك في اطار من الصراع بين الرغبات الفردية ومن (مترتبة الحاجات) بمعنى ان الفرد حين يجد نفسه مضطراً الى الإعراض عن حاجة من الحاجات فما ذلك الى تمسكاً منه بحاجة اخرى اكثر اهمية . ذلك ان المقتضيات الاجتماعية ليس لها من وزن او قيمة الا بانعكاس على الرغبات الفردية . تبدو الشخصية اذن كنتاج لتعلم هو في اساسه تطبع . او هو ينحصر على الاخص في عملية التطبيع الاجتماعي التي تستند فيما تستند الى عملية التطابق .

يرجع تصور التطابق الى التحليل النفسي . ففي الموقف الاوديبي يشعر الطفل بالضيق والاحباط من جراء ثنائية مشاعره . فهو يحب ويبغض اباه في نفس الوقت . وينتهي الطفل مع التطور الى تقبل ابيه عن طريق التطابق معه . فيباطيء اوامره ونواهيه وهكذا ينشأ وفقاً للتصور الفرويدي الاول مايسمى بالآنا الاعلى او الضمير الاخلاقي ومعنى هذا ان الضمير الاخلاقي ينشأ من تطابق الطفل مع ابيه ومن مباطنته لاوامره ونواهيه . ولقد اضطلع البعض ببيان امكانية التطابق بعد الطفولة وفي مراحلها الجد المبكرة . ويتضح الامر الاول فيما نراه من تطابق مع المدرسين والرؤساء والقادة . ويتضح الامر الثاني فيما نراه قبل نشأة الأنا الاعلى من تطابق لايستند الى صلة الحب . وانما ينتج عن الصراع بين حاجات الطفل وبيئته . كما يحدث مثلاً عند توقيت تغذيته .

فالطفل يحتاج وفتئذ الى حب امه ورضاها عنه من اجل هذا يتعلم ان يسلك وفقاً لما تريده ويباطيء ماتستصوبه من اوامر ونواه وفي هذا مايرينا اهمية العلاقة الانفعاليه بين الطفل وبيئته وخاصة امه . وكل اضطراب انفعالي يستطيع اعاقة التطابق ويستطيع بالتالي اعاقة التطبيع الاجتماعي .

وقامت الباحثة (ميلاي كلاين) بينت فيه اهمية العلاقة بالام ابان الطفولة . وقد اتخذ (بولبي) من هذه الفكرة اساساً لغرضه العلمي في دراسته لـ (٤٤) من صغار اللصوص . وقد كان الشائع ان ينظر للمجرم ايا كان بحسبانه مجرداً من الضمير او الأنا الاعلى حتى استطاعت الدراسات اللاحقة ان تدحض هذا الزعم . هناك ضمير اخلاقي بدائي عند المجرم . يتميز بالسادية الماسوشية . ومعنى هذا ان المجرم قد وقف بتطوره عند مرحلة من المراحل البدائية للتطور .

ولقد استعان (بولبي) بالمعطيات التاريخية والعلاجية في دراسة الـ (٤٤) لصاً كما استعان بجماعة اخرى موازنة تتكون من (٤٤) حدثاً لم يتحقق لهم التكيف ويتشابهون مع الآخرين في جميع الاوجه ماعدا السرقة . ومعنى هذا ان (بولبي) قد استخدم المنهج الطبيعي كمدخل مبحثي . اذ استعان بجماعتين تتفقان الا من وجهة واحدة . ولقد سمحت المقارنة بالكشف عن ان الكثير من افراد جماعة اللصوص يتميزون بالطابع اللامبالي (اي بهذا اللون الذي يتسم في الانعدام الكامل للتعلق العاطفي بأي كائن . كما يتسم ايضاً في الاكاذيب وفي العزلة) . ولقد كان هناك ولا شك فى حالة هؤلاء الاطفال اللامبالين اضطراب خطير في العلاقة مع الام . مما تتمخض عن نزعة عدائية تجاهها، وعن نشأة اللامبالاة كدفاع ضد اي محاولة لتوظيف واستثمار الليبيدوفي حبها وضد ماقد يصدر عنها من عدائية . معنى هذا ان الطفل يحتمي باللامبالاة من خطر التعلق بأمه . ومما يلحق بذلك من تأثيره بمظاهر كراهيتها له . وفي هذا مايريده على نحو واضح قيام التطابق مع الام في مرحلة جد مبكرة ، بمعنى ان يسلك الطفل تبعاً لما تريده الام .

سنتناول بالدرس التطبيع الاجتماعي عند الانسان وما يطبعه من مهمات متميزة واوجه الشبه والاختلاف بين التعلم في المتاهة الحيوانية والتطبيع الاجتماعي في التيه الاجتماعي .

١ ـ يزيد التيه الاجتماعي في تعقده عن المتاهة الحيوانية فمهمة الحيوان في المتاهة اسهل بكثير من مهمة الانسان في المجتمع اذ يميز الحيوان بين الطريقة الطويلة من القصيرة . هذا الى ان المتاهة ليس لها اي طابع شخصي متميز فالنجاح والجزاء فيها محددان تماماً . اما في حالة الطفل فأن التيه لا يقتصر على الوجه المكاني . فليست المكانية غير جانب من جوانبه . وذلك مايطبعه من طابع شخصي متميز ففي السلوك التربوي يستحيل او يكاد يستحيل تحقيق ثبات الشروط بالمعنى الدقيق للكلمة .

٢ ـ يختلف التيه الاجتماعي عن المتاهة الحيوانية لتدخل عامل اللغة فالطفل قبل ان يفهم اللغة يتعلم كما يتعلم الحيوان عن طريق المحاولة والخطأ ولكنه حين يتعلم اللغة فأنه يستطيع الافادة من الثقافة وما تنطوي عليه من تجارب السلف . وذلك عن طريق الشرح النظري . اضيف الى هذا ان المصطلحات اللفظية تجعل من الممكن التعلم ان يتم مباشرة وعلى الفور . فالتجربة بالنسبة للحيوان هي تجربة عيانية ويستحيل ان تتم في صورة رمزية .

٣ ـ يختلف الخطر في الشبه الاجتماعي عنه في المتاهة الحيوانية فهو في المتاهة تصميمي . بمعنى انه يرجع الى التصميم القائم بالتجربة بينما يرتبط الخطر في المجتمع بالثقافة او يرتبط بالواقع التاريخي والمجتمع . ولكن ليس هناك مع ذلك كبير اختلاف بين التيه والمتاهة من حيث التعلم ففي الحالتين لا يهم القائم بالتعلم هذا الحظر او الدافع اليه . فالعوائق والمحضورات تبدو مصطنعة واصطلاحية . وفي هذا مايكشف عن اهمية الصلات البينية سيما الحب الحافز على التعلم .

٤ ـ يختلف الدور الذي تضطلع به المنافسة في التيه الاجتماعي عنه في المتاهة الحيوانية . فالتنافس الاجتماعي يعقد التطبيع . وان اعان عليه من بعض الاوجه . فأجتماع الاطفال مثلاً يسهل على المربي مهمة تعليمهم بعض الامور التي يجهلها الطفل الوحيد . كقصور العدالة مثلاً والحق ان التنافس يلعب دوراً غاية في الاهمية ان لم يكن مسرف الاهمية في مجتمعنا الحديث . ولكن هذا التنافس . الذي تضطلع به الذات بالنسبة الى غيرها تعمل على صياغة الشخصية وتطورها ومن هنا فأن احباطها على نحو معين عند الطفل يثير عدائيته . وينتهي به الى ان ينكر ذوات الغير بقدر مايطمح الى تأكيد ذاته . وطبيعي ان معظم الدور الذي يضطلع به التنافس في حياة الطفل بقدر ما يضعف لديه الشعور بالامن فكلما شعر الاباء بالامن قلت اهمية التنافس في حياة ابنائهم .

٥ ـ يختلف التيه الاجتماعي عن المتاهة الحيوانية لما يتميز به من طابع شخصي متميز . فليس للمجرب من دور هام بالنسبة الى الحيوان ، وان كان من الممكن لهذا الدور ان يعظم لقيام المجرب بأطعامهم واعقابهم بيديه . واما فيما يتصل بالطفل فأن التعلم يتم عبر نسق من الصلات البينية فالثواب والعقاب يرتبط عنده اعظم الارتباط بالاشخاص . وفي هذا مايكشف عن اهمية الدور الذي يضطلع به الحب او الكراهية في صلتهما بالاستحسان او الاستهجان وما يلحقه وبهذا كله من ثنائية المشاعر تجاه الوالدين .

٦ ـ يختلف التيه الاجتماعي عن المتاهة فيما يطبع الاول من اتجاهات مميزة للاباء والانتشارات عائلية خاصة . ففي الصين مثلاً تقل مطالب الاب تجاه الام ، بينما تزيد ماتمنحه الام لطفلها . فالانتشارات العائلية تختلف بأختلاف البيئات الاجتماعية الامر الذي اشارت اليه (ماركريت ميد)واكدت الى ان الانتشارات العائلية يعين على اظهار بعض العوامل الانفعالية دون سواها فقد يجعل هذا الانتشار من الاب النواة الانفعالية للعائلة . وقد يستند هذا الدور الى الام وبذلك يمكن ان تتباين طبيعة الصلات العاطفية . فقد تستند الى الصراع بين الابن وابيه .... وهكذا الى كثير من الصور التي يمكن ان تنظم فيها الصلات بين الاخوة . فمن امتياز للابن الاكبر . ومن تنافس لاستخلاف الاب الى التسابق للظفر بالاخت او للاستئثار بالام . وبديهي ان نجد هذه الاختلافات البيئية الاسرية مايزيدها تبايناً في الاختلافات الفردية

٧ ـ يختلف التيه الاجتماعي عن المتاهة فيما نجده في الاول من اهمية عاملي التقليد والتطبيق وهذان العاملان ضروريان لتطبيع الانسان . ويتم التطابق غالباً مع الوالد الذي ينتسب الى جنس الطفل نفسه . فالابن مع ابيه والبنت مع امها ولكن كيما يتم هذا . ينبغي ان يسود التفاهم والوئام علاقات الوالدين الواحد بالاخر . ففي قيام الصراع بينهما مايقيم العوائق امام محاولات الطفل التطابق السوي . ذلك لان الطفل يخشى منذ اتخاذه احدهما نموذجاً للتطابق ان يتمخض ذلك عن فقده لحب الاخر . ويتضح من ذلك امكانية اضطراب التطابق او انحرافه . ففي حالة التطابق المتقاطع يتطابق الطفل مع الوالد الذي ينتسب الى جنس غير جنسه . فيتطابق الابن مع امه والبنت مع ابيها هذا الى احتمالات التطابق مع نموذج جانح او مجرم او غير ذلك من اوجه الخروج عن المجتمع .

٨ ـ يختلف التيه الاجتماعي عن المتاهة لما يشتمل عليه الاول من عوامل انسانية حقاً ان كثيراً ماتحدث في تجارب المتاهة عن الثواب والعقاب . ولكن في بعض التجارب يعيش الحيوان مايشبه القلق بمعنى التوقع للمشاعر الاليمة . والضمير الاخلاقي هو ضرب من القلق المتصل بمنظور ينطوي على عقاب لايمكن تجنبه وان اتسم هذا العقاب بعدم التحدد .

فيتضح الاختلاف بين الانسان والحيوان من تبيننا لاستحالة عقاب الاخير (بعد الفعل) ومن هذا ينعدم عنده الشعور بالاثم . فالعقاب يكون دائماً (اثناء الفعل) اما الانسان فان العقاب ينزل به اثناء الفعل اذ من الممكن ان يظل الاثم مستتراً فلا يعاقب الا عند اكتشافه .

وخلاصة ذلك . فيما يتعلق بالتحديد الوقتي للعقاب . ان العقاب عند الحيوان لا يأتي قط عقب التغذية . وانما ينزل اثر اختياره للطريقة الخاطئة ولو اننا عاقبنا الحيوان بعد تناوله الغذاء لكان في ذلك مايعمل على تعميم العقاب واننا نلاحظ هذا الامر عند الاطفال حين لا يأخذ المربي حيطته وينتج عن ذلك احياناً الخلط بين الوسائل التأديبية للتربية واهداف السلوك. بحسبانها جميعاً خطرة فقد ينتهي الطفل الى رفض بعض القيم ومعارضتها . وذلك لان العقاب لم يقل مباشرة بأثره بعض الوسائل فحسب . وانما نال ايضاً الهدف النهائي للسلوك . الامر الذي تجد له كثرة من الامثلة في ميدان التغذية حين يعاقب الطفل من اجل طريقة تناوله نوعاً من الطعام او الفاكهة فينتهي به الامر الى الاعراض عن هذا النوع بل وكراهيته كشيء ضار . ان هذه المقارنة بين المتاهة الحيوانية والتيه الاجتماعي ابرزت اهمية العوامل الذاتية والصلات البينية في صياغة الشخصية . (٤٨ ـ ص ١١٦ ـ ١٢١) .

ان تحقيق الاهداف بطريقة جماعية يؤدي الى شعور الافراد بالسعادة المشتركة في تحقيق الهدف مما يؤدي الى زيادة الرابطة بينهم . وبأستطاعة المدرسة ان تعيد الى اذهان الطلاب الغايات التي تلتزم بها والمثل العليا التي تسعى اليها ويعد هذا من الحوافز النافعة التي يمكن الافادة منها لتطوير دينامية الطلبة ولخلق جو الالفة وروح التعاون البناءة اي تنمية روح الجماعة والعمل معاً في سبيل التسامي بالروح وابعادها عن شوائب الانانية الذاتية . فتأليف الفرق الرياضية في المدرسة وتنشيط روح الخطابة بين الطلبة وتشجيع التمثيل المسرحي والروايات هذه كلها تعد وسائل ناجحة لغرس روح التعاون وخلق النشاط التحفزي .

(اختبار تقويمي)

والآن بامكانك الاجابة على الأسئلة الاتية : ـ

١ ـ اكتب مقالة قصيرة عن « كيف تكون دعائياً ناجحاً » ؟
٢ ـ هل يجب ان يصنف علم النفس الى علم بيولوجي او اجتماعي ؟
٣ ـ ماهي الوظائف الرئيسة للأتجاهات . وماهي الطرق التي بها تؤثر بشكل هام على تفاعل الفرد الأجتماعي ؟
٤ ـ ماهي الظروف التي يحتمل ان تكون فيها الدعاية فعالة ؟
٥ ـ هل يمكن ان يشغل اي فرد اي دور في اية مجموعة ؟
٦ ـ ماهي الظروف الأكثر احتمالاً لتثبيت وتطوير التناسق الاجتماعي ؟
٧ ـ وضح الطرق الرئيسة التي بها يمكن ان تؤثر عضوية الجماعة على سلوك الفرد .
٨ ـ ماهي العوامل التي تحدد القيادة ؟
٩ ـ هل ان السلوك الجمعي الفعال يعتمد اكثر على التعاونية منه على التنافسية .
١٠ ـ ناقش طرق قياس الاتجاهات . افحص المدى الذي به تعرف ابعاد الاتجاهات .
١١ ـ ناقش العلاقة بين علم النفس الاجتماعي وعلم الاجتماع والانثروبولوجيا الاجتماعية . الى اي مدى يكون الاتصال بين هذه المجالات ذات فائدة ؟
١٢ ـ اكتب مقالة عن التأثيرات الحضارية والأجتماعية على الطفل النامي او الجوانب التطورية للسلوك الأجتماعي .
١٣ ـ اشرح وقوم قيمة ديناميكية الجماعة .
١٤ ـ لماذا يحدث الصراع بين الجماعات ؟ وهل هذا الصراع حتمي ؟
١٥ ـ ناقش كيف ان مساهماتنا الى سلوك الاخرين تختلف عن مساهماتنا لأنفسنا ثم ضمن اجابتك اشارة الى المضامين الممكنة لدراسة الشخصية والأتجاهات .
١٦ ـ ماهي محاسن ومساوىء تعريف العدوان في نطاق سلوكي ؟
١٧ ـ الى اي مدى يمكن ان يعرف الفرد بدوره الذي يقوم به المجتمع ؟
١٨ ـ ماهي محددات البحوث التجريبية في علم النفس الأجتماعي ؟
١٩ ـ « ان سلوكنا الأجتماعي معتمد في اكثر جوانبه على معرفتنا بالعالم المتداخل . وان المعرفة تكتسب من خلال عمليات المساهمة » ناقش .
٢٠ ـ كيف يمكن للآخرين ان يؤثروا على مستوى تقدير ذاتنا ؟
٢١ ـ الى أي حد يعد السوسيرمتري مفيدا في دراسة النمو الأجتماعي في الاطفال ؟

٢٢ ـ بأي اتجاه تعتقد انه يجب على علم النفس الاجتماعي بأن يتطور في محتواه ام في طرحه ؟

٢٣ ـ لماذا يعد ضروريا التمييز بين المعتقدات ، الآراء ، الأتجاهات ، والقيم ؟ هل يتعامل عالم النفس مع هذه المفاهيم على اساس انها مستقلة الواحدة عن الأخرى ؟

٢٤ ـ هل ان تعقد الشخصية يخلق صعوبات بالغة في ربط سلوك الفرد بمعايير وقيم المجتمع .

٢٥ ـ اشرح ومثل تعدد العوامل المتضمنة في « مشكلة نفسية » نموذجية في مجال علم النفس الاجتماعي .

٢٦ ـ الى أي مدى ساهمت الأساليب التجريبية في فهمنا للتفاعل في المجموعات الصغيرة ؟

٢٧ ـ ماهي العوامل الرئيسة التي تحدد اتجاهات الشخصية ؟

٢٨ ـ « المدرسة بيئة مهمة للتفاعل الأجتماعي بين الأطفال » ناقش .

٢٩ ـ كيف يمكن معالجة السلوك غير مقبول اجتماعياً لدى احد التلاميذ ؟

٣٠ ـ تشير ابحاث الأتصال الى ان وسائل الأتصال تكون أداة للتدعيم اكثر منها آداة للتغيير « ناقش مع الأشارة الى الظروف والعوامل الوسيطة المؤثرة على ظرف الأتصال .

٣١ ـ « تخضع اساليب الدعاية الى القوانين العامة التي تحكم عملية الأدراك والدافعية والمعرفة » . ناقش هذه العبارة مشيراً الى بعض اساليب الدعاية .

٣٢ ـ ماهي مساهمات علم النفس الاجتماعي في الميدان التربوي ؟

٣٣ ـ قارن بين مصطلحات التعاون والتنافس والصراع مع اعطاء امثلة

٣٤ ـ اكتب بأيجاز عما يأتي : ـ

١ ـ اساليب قياس توافق الجماعة .

٢ ـ عملية غسل الدماغ .

٣ ـ تأثير وسائل الأتصال على الأتجاهات .

٣٥ ـ عوامل جنوح الاحداث متعددة . اختر واحدة منها وناقشها .

٣٦ ـ ايهما اقوى تأثيراً الاسرة ام المدرسة في عملية التنشئة الاجتماعية عزز جوابك بأمثلة .

٣٧ ـ وباستطاعتك ان تضع اسئلة اخرى حول موضوعات اخرى .

والآن سنضع امامك اسئلة حول موضوع الاتجاه وعليك ان تختار الجواب الصحيح من بين الأجوبة .

آملين ان ترشدك الى وضع اسئلة لموضوعات اخرى من مواضيع علم النفس الاجتماعي

١ ـ توصف الاتجاهات بـ :

أ ـ المحركات الوظيفية .

ب ـ الدوافع اللاشعورية .

جـ ـ ميول سلوكية .

د ـ استجابات اشراطية .

٢ ـ تعرف الأتجاهات بأنها افكار ذات مضامين انفعالية وانها تختلف عن بقية الافكار في أنها :

أ ـ توجه في مستوى انفعالي معين .

ب ـ تحدث عرضياً اكثر مما تحدث من خلال التعلم الرسمي .

جـ ـ تغطي مجالاً واسعاً من الخبرات الكلية للفرد .

د ـ أقل وضوحاً في التعريف واعترافاً من قبل الفرد .

هـ ـ توجد في مستوى لاشعوري .

٣ ـ السبب الأساسي في اهمية دراسة الأتجاهات من قبل علماء النفس والمعلمين هو

أ ـ انها صعبة التغيير .

ب ـ انها سهلة في تحويلها الى تعصب .

جـ ـ انها تعمل كدوافع مؤثرة .

د ـ انها صعبة التقويم .

هـ ـ انها تنمو لاشعوريا وعندما تتكون فأنها لاتحتاج الى تعزيز .

٤ ـ أي العبارات الآتية اقل قبولاً فيما يتعلق بنمو الاتجاهات ؟

أ ـ يتم تعلمها بالأرتباطها بأشباع حاجة .

ب ـ تنمو عرضياً وعموماً بشكل لاشعوري

جـ ـ تنمو عادة خلال عملية الأشتراط .

د ـ تنمو عادة كناتج عرضي للخبرة .

هـ ـ تنمو خلال نضج الميول الفطرية للفرد

٥ ـ في تدريس موضوع في الجبر ، فأن مسؤولية المدرس الأساسية هي :ـ

أ ـ تدريس المفاهيم المقدمة .

ب ـ تعليم المفاهيم المقدمة .

جـ ـ تعليم الاتجاهات في المادة الدراسية المقدمة .

د ـ تعليم المفاهيم والأتجاهات .

٦ ـ الأتجاهات ، التعصبات ، ووجهات النظر الشخصية الاخرى التي تؤثر على السلوك الانساني هي : ـ

أ ـ تكتسب مباشرة وبشكل مقصود .

ب ـ تتشكل أساساً خلال النضج .

جـ ـ يتم اكتسابها كناتج عرضي للخبرة .

د ـ يتم اكتسابها كناتج عرضي بعدم الضمان والأمان .

٧ ـ أي مما يلي له تأثير اكبر على اتجاهات شخص يكونها نحو موضوع او موقف :

أ ـ مفهومه لذاته .

ب ـ عاداته السابقة .

جـ ـ طبيعة خبرته الاولى مع موضوع الموقف .

د ـ تفسيره للخبرة .

هـ ـ تكيفه الشخصي والأجتماعي .

٨ ـ الطريقة المثلى في تكوين الأتجاهات في (الامانة) و (الاندماج) لدى الطفل هي : ـ

أ ـ تذكيره بأن هذه هي الطريقة الوحيدة للتكيف مع المجتمع .

ب ـ لحمايته بعناية من جميع الأتصالات مع الناس غير الأمناء .

جـ ـ تزويده بالممارسة لدمج الأمانة مع مفهومه لذاته .

د ـ تزويده بالنماذج التي يمكن تقمصها .

ه ـ لأشراطه ضد (عدم الأمانة) .

٩ ـ الوسيلة الأكثر فعالة في تغيير اتجاه طفل نحو موضوع معين هي : ـ

أ ـ اعطاؤه الفرصة لتبادل الأفكار مع الآخرين ذات العلاقة .

ب ـ لارغامه عن طريق المنطق لرؤية خطأه .

جـ ـ لتزويده بالحقائق نحو الموضوع .

د ـ للأشارة الى عدم الثبات في اتجاهاته .

هـ ـ لبناء مشاعره للأمان الشخصي كمقدمة للوسائل اعلاه .

١٠ ـ أي مما يلي يحتمل ان يكون أقل فعالية في تغيير الأتجاهات :

أ ـ الجذب العقلي المستند على المنطق .

ب ـ الجذب الأنفعالي .

جـ ـ ضغوطات الجماعة .

د ـ الأتصال مع اتجاه الشيء الذي هو مهدف لأحداث التغيرات المرغوبة فيه
هـ ـ استخدام أسماء الاشخاص المحترمين كأمثلة .

١١ ـ لكي تكون المدرسة فعالة في تعزيز اتجاهات مناسبة لدى الأطفال في مواقف مختلفة فأنها تحتاج الى ان تضع التأكيد على : ـ
أ ـ تدريب التلاميذ لأختيار الاتجاهات على اساس التمييز المنطقي .
ب ـ اعطاء نماذج لأتجاهات مناسبة لأمكان تقمصها من قبلهم .
جـ ـ اثابة ظهور الاتجاه الايجابي .
د ـ معاقبة ظهور الاتجاه السلبي .
هـ ـ تزويد الأطفال بالآمان وجعل الاتجاهات المناسبة تنمو اوتوماتيكياً

١٢ ـ الهدف الأساسي من فصل العلوم الأجتماعية هو :
أ ـ تأكيد القيم الخلقية .
ب ـ تكوين اتجاهات ومهارات اجتماعية .
جـ ـ تنمية الفخر والأعتزاز بالمجتمع الديمقراطي .
د ـ تعليم حقائق اساسية .
هـ ـ العمل كمحور حيث يمكن تكامل المواد الاخرى معه .

المصادر

١ ـ ابراهيم اكرم نشأت . جنوح الاحداث في العراق وبحوث نفسية واجتماعية اخرى . بغداد مطبعة دار السلام ، ١٩٦٠ .

٢ ـ ابو العزم . فتوح وفارس خليل . القيادة وتخطيط مجتمعنا الاشتراكي . القاهرة . مكتبة القاهرة الحديثة . ١٩٦٦ .

٣ ـ ابراهيم . نجيب اسكندر . الاتجاهات الوالدية في تنشئة الطفل . القاهرة . دار المعرفة . ١٩٥٩ .

٤ ـ ابراهيم . نجيب اسكندر . الدراسة العلمية للسلوك الاجتماعي . القاهرة . مؤسسة المطبوعات الحديثة . ١٩٦١ .

٥ ـ كاظم . عبد الرحمن اسماعيل وآخرون . علم النفس الاجتماعي . بغداد . مطبعة وزارة التربية . ١٩٨٣ .

٦ ـ الآلوسي . جمال حسين واميمة علي خان علم نفس الطفولة والمراهقة . بغداد مطبعة جامعة بغداد . ١٩٨٣ .

٧ ـ التهامي . مختار . الرأي العام والحرب النفسية . القاهرة . دار المعارف بمصر . ١٩٦٧ .

٨ ـ الجسماني . عبد علي . علم النفس وتطبيقاته التربوية والاجتماعية . بغداد . مكتبة الفكر العربي . ١٩٨٤ .

٩ ـ الحسن . احسان محمد . المدخل الى علم الاجتماع الحديث . بغداد . مطبعة بغداد . ١٩٧٦ .

١٠ ـ الحلي . احمد حقي وآخرون . مبادىء التربية بغداد . مطبعة جامعة بغداد ١٩٨٠ .

١١ ـ الدباغ . فخري . جنوح الاحداث . الموصل . دار الكتب للطباعة . والنشر ١٩٧٥ .

١٢ ـ الدباغ . فخري . الطب النفساني . ط ٢ . الموصل مطبعة جامعة الموصل ١٩٧٧ .

١٣ ـ الزوبعي . عبد الجليل وآخرون . علم نفس الطفل . الطبعة الثالثة . بغداد مطبعة وزارة التربية ، ١٩٨٣ .

١٤ ـ الرحيم . عبد المجيد . علم النفس الاجتماعي . القاهرة . مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٩ .

١٥ ـ السيد ، فؤاد البهي . الاسس النفسية للنمو من الطفولة الى الشيخوخة . القاهرة دار الفكر العربي ، ١٩٦٨ .
١٦ ـ الشرقاوي ، انور محمد . انحراف الاحداث ، دار الثقافة للطباعة ، والنشر ، القاهرة ١٩٧٧ .
١٧ ـ العيسوي ، عبد الرحمن محمد . دراسات في علم النفس الاجتماعي ، بيروت ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، ١٩٧٤ .
١٨ ـ الفخري ، سالمة وآخرون . سيكولوجية الطفولة والمراهقة . بغداد ، مطبعة جامعة بغداد ، ١٩٨١ .
١٩ ـ جابر عبد الحميد واحمد خيري كاظم . مناهج البحث في التربية ، وعلم النفس القاهرة ، دار النهضة العربية ، بدون تاريخ .
٢٠ ـ جابر عبد الحميد وعماد الدين سلطان . الفرد وسيكولوجية الجماعة ، القاهرة دار النهضة العربية ، ١٩٦٤ .
٢١ ـ جلال ، سعد . اسس علم النفس الجنائي ، القاهرة ، دار المعارف بمصر ١٩٦٦ .
٢٢ ـ جلال ، سعد . علم النفس الاجتماعي ، الطبعة الثانية ، الاسكندرية منشأة المعارف ١٩٨٤ .
٢٣ ـ جلال ، سعد . المرجع في علم النفس ، القاهرة ، دار المعارف بمصر ١٩٦٦ .
٢٤ ـ جوسلين ، ترجمة محمد لطفي وآخرون . المدرسة والمجتمع العصري ، القاهرة عالم الكتب ١٩٧٧ .
٢٥ ـ حجازي ، مصطفى . الاحداث الجانحون ، الطبعة الثانية ، بيروت ، دار الطليعة ١٩٨١ .
٢٦ ـ حسين ، كريم عكله ، الاتجاهات النفسية للفرد والمجتمع ، بغداد ، مطبعة الرسالة ١٩٨٥ .
٢٧ ـ حمزة ، عبداللطيف . الاعلام والدعاية ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، دار الفكر العربي ١٩٧٨ .
٢٨ ـ زهران ، حامد عبدالسلام ، علم النفس الاجتماعي ، الطبعة الرابعة ، القاهرة ، عالم الكتب ، ١٩٧٧ .
٢٩ ـ رشتي ، جيهان احمد ، الاعلام ونظرياته في العصر الحديث ، الطبعة الاولى القاهرة دار الفكر العربي ، ١٩٧١ .
٣٠ ـ رضا ، محمد جواد . التعليم الثانوي ، بغداد ، مطبعة المعارف ، ١٩٦٦ .

٣١ ـ شهاب ، بهيجة احمد . المدخل الى الخدمة الاجتماعية ، الموصل ، دار الكتب للطباعة والنشر ، جامعة الموصل ، ١٩٨٢ .
٣٢ـ سويف مصطفى . مقدمة لعلم النفس الاجتماعي . ط ٥ ، القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٧٨ .
٣٣ ـ سلامة ، احمد عبد العزيز وعبد السلام الغفار . علم النفس الاجتماعي . القاهرة ، دار النهضة العربية ، ١٩٧٤ .
٣٤ ـ غالب ، مصطفى . في سبيل موسوعة فلسفية (ابن سينا ، الغزالي ، الفارابي ، اخوان الصفا) ، بيروت ، دار مكتبة الهلال ، ١٩٧٩ .
٣٥ ـ عبد الدائم ، عبد الله . التربية عبر التاريخ ، الطبعة الرابعة ، لبنان ، مطبعة العلوم ١٩٨١ .
٣٦ ـ عبد الرحيم ، طلعت حسن . علم النفس الاجتماعي المعاصر ، ط ٢ ، القاهرة ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، ١٩٨١ .
٣٧ ـ فهمي ، محمد سيد . الاعلام في المنظور الاجتماعي ، الاسكندرية ، المكتب الجامعي الحديث ، ١٩٨٤ .
٣٨ ـ فهمي ، مصطفى وعلي القطان . علم النفس الاجتماعي (دراسات نظرية وتطبيقات عملية) . ط ٢ ، القاهرة ، مكتبة الخانجي ، ١٩٧٧ .
٣٩ ـ كريون ، لاندريه . ترجمة عبدالحليم محمود ابو بكر،المشكلة الاخلاقية والفلاسفة ، القاهرة ، مطابع دار الشعب ، ١٩٧٩ .
٤٠ ـ كمال ، علي . النفس (انفعالاتها وامراضها وعلاجها) ط ١ ، بغداد ، ١٩٦٧ .
٤١ ـ كمال ، علي . النفس (انفعالاتها وامراضها وعلاجها) ط ٢ ، دار واسط للطباعة بغداد ، ١٩٨٣ .
٤٢ ـ لندا ، دافدوف ،ترجمة سيد الطواب وآخرون . مدخل علم النفس ، الرياض ، دار المريخ للنشر ، ١٩٨٣ .
٤٣ ـ مخيمر ، صلاح وعبده رزق . المدخل الى علم النفس الاجتماعي ، القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٦٨ .
٤٤ ـ مرعي توفيق . الميسر في علم النفس الاجتماعي ، الطبعة الاولى ، الاردن ، دار الفرقان للنشر والتوزيع ، جامعة اليرموك ، ١٩٥٩ .
٤٥ ـ موسى ، عبدالله عبدالحي. المدخل الى علم النفس ، ط ٣ ، القاهرة ، مكتبة الخانجي ١٩٨١ .

٤٦ ـ نادر ، البيرنصري . اراء المدينة الفاضلة . ط ١ ، بيروت . المطبعة الكاثوليكية ، ١٩٥٩ .

47. Back, Kurt. Social Psychology, New York, John Wiley & Sons, Inc. 1977.

48. Brigham, Severy & Schlender, A contemporary Introduction to Social Psychology, New York, McGraw– Hill, Inc. 1975.

49. Brow, Roger. Social Psychology, New York, Collier-Macmillan Ltd, 1965.

50. Doby, John. T. Introduction to Social Psychology, New York, Meredith Publishing Company, 1966.

51. Ginsburg, G. P. Emerging Strategies in Social Psychology Research, New York, John Wiley & Sons, Ltd. 1979.

52. Goldstein, Jeffrey. H. Social Psychology, New York, Academic Press, Inc. 1980.

53. Gross, Alan, E. & Others. An Introduction to Research in Social Psychology, New York, John Wiley & Sons, Inc. 1972.

54. Heine, Patricke, J. Personality and Social Theory, Great Britain, Clarke Doble & Brendon, Ltd, 1971.

55. Hollander, Edwin, P. & Raymondo H. Classic Contributions to Social Psychology, New York, Oxford University Press, Inc., 1972.

56. Lindesmith, Alfred, R. & Aselml , S. Social Psychology, 3rd ed. New York, Rinehart & Winston Inc. 1968.

57. Lindgren, Henry C. An Introduction of Social Psychology, 2nd ed. New York, John Wiley & Sons, 1973.

58. Insko, Chester, A. & John S. Experimental Social Psychology, Academic Press Inc. 1972.

59. McDavid, John, W. & Herbert, H. Psychology and Social Behavior, New York, Horper & Row Publishers, 1974.

60. Penner & Dertke, Social Psychology, New York, Addison-Wiley Publishing Company, Inc. 1972.

61. Sandstrom, C.I., The Psychology of Childhood and Adolescence, London, Hazell Watson & Viney Ltd, 1979.

62. Sampson, Edward, E. Social Psychology and Contemporary Society, New York, John Wiley & Sons, In. 1971.

63. Sears, Freedman, C. Readings in Social Psychology, New Jersey, Prentice-Hall, Inc. 1971.

64. Severy, Lawrence, J. & John, C. A Contemporary Introduction to Psychology, New York, McGraw-Hill Book Company, 1976.

65. Stotland & Canon. Social Psychology, New York, W.B. Sounders Compamy, 1972.

محتويات الكتاب

	الصفحة
المقدمة	٧
الفصل الاول : علم النفس الاجتماعي	٩ ـ ٣٠
مقدمة في علم النفس الاجتماعي	
تعريفه	
تطوره التاريخي	
صلته بالعلوم التاريخي	
صلته بالعلوم الاخرى .. علم النفس العام ،	
علم الاجتماع . علم النفس التكويني ، الاثنروبولوجيا . الاقتصاد	
اهمية علم النفس الاجتماعي في مجالات الحياة	
الفصل الثاني : علم النفس عند المسلمين	٣١ ـ ٥٠
الفارابي ـ النفس عند الفارابي .	
المدينة الفاضلة عند الفارابي	
ابن سينا ـ النفس عند ابن سينا .	
الاحساس الظاهر . الاحساس الباطن	
الغزالي ـ آراءه في المجتمع . آراءه في التربية	
ابن خلدون ـ آراءه في المجتمع . آراءه في التربية	
الفصل الثالث : تطور مناهج البحث في دراسة الجماعة	٥١ ـ ٧١
المنهج التجريبي	
المنهج الوصفي	
المنهج التاريخي	
المنهج السوسيومتري	
المنهج العلاجي	
اساليب اخرى في دراسة السلوك الا جتماعي	
قياس القيم . اختبار الذكاء الجمعي . الوثائق الشخصية	
الفصل الرابع : التنشئة الاجتماعية	٧٣ ـ ٩٦
عملية التنشئة الاجتماعية	
النمو الاجتماعي من الطفولة الى الشيخوخة	

الصفحة

الذات ومفهوم الذات
دور الاسرة
دور المدرسة
دور جماعة الاصدقاء

الفصل الخامس : الامراض الاجتماعية (الباثولوجيا الاجتماعية) ٩٧ — ١٥١

جنوح الاحداث
من هو الحدث ؟
اتجاهات الحدث
ما هو الجنوح ؟
صور جناح الاحداث
انماط الاحداث المنحرفين
الاسباب المؤدية الى الجنوح
الاتجاه البيولوجي
الاتجاه النفسي
الاتجاه الاجتماعي
دراسة ورعاية الاحداث ووقايتهم من الجنوح
الاعراض الاجتماعية في بعض الامراض النفسية :
القلق
عقد النقص
الاحباط
الصراع النفسي
العدوان

الفصل السادس : الاتجاهات النفسية والاجتماعية ١٥٣ — ١٩٣

تعريف الاتجاهات
طبيعتها
تكوينها
الاتجاهات في مرحلة الطفولة
دور المجتمع في تكوين الاتجاهات
تعديلها

الصفحة

انواعها
طرق قياسها
الاتجاهات والمعتقدات
الاتجاهات والمعلومات
الاتجاهات والنمطية
الاتجاهات والقيم
الاتجاهات والتعصب الصغرى

الفصل السابع : الدعاية والاعلام ١٩٥ ـ ٢٢٦

- مفهوم الدعاية
اهدافها
قوانينها
انواعها
اساليبها
سيكولوجيتها
تأثير الدعاية في سلوك الفرد والجماعة
كيف نتعرف على الدعاية
حماية انفسنا من الدعاية
مفهوم الاعلام
اهمية الاعلام في المجتمع الحديث
الفلسفات التي بني عليها الاعلام
الاعلام واثره في سلوك الفرد والجماعة
الفرق بين الدعاية والاعلام .
- الدعاية والاشاعة
- الرأي العام
مفهومه
اهدافه
انواعه
الرأي العام والاتجاهات
خصائصه
قوانينه

الصفحة

اثر الرأي العام في سلوك الفرد والجماعة
تكوينه
قياسه
الفصل الثامن : القيادة ٢٢٧ ـ ٢٤٧
مفهوم القيادة
الفرق بين القيادة والرئاسة
كيفية احتيار القادة
السلوك القيادي
النظريات التي تفسر القيادة
اشكال القيادة
انواع القيادة والمناخ الاجتماعي
المعلم كقائد
الاسلوب الناجح للقيادة
الفصل التاسع : دينامية الجماعة ٢٤٩ ـ ٢٧٢
ما هي الجماعة
انواع الجماعات
ماذا يفيد الفرد من الجماعة
مفهوم الوضع الاجتماعي والدور
الادوار وتكوين الشخصيات
العلاقة بين المنظومة الاجتماعية والادوار
التبعية المتبادلة بين الادوار
العلاقات بين الدور والشخصية الفردية والسلوك العياني
التبعية المتبادلة بين مختلف المقومات
اختبار تقويمي ٢٧٣ ـ ٢٧٧
المصادر
المحتويات ٢٧٩ ـ ٢٨٢